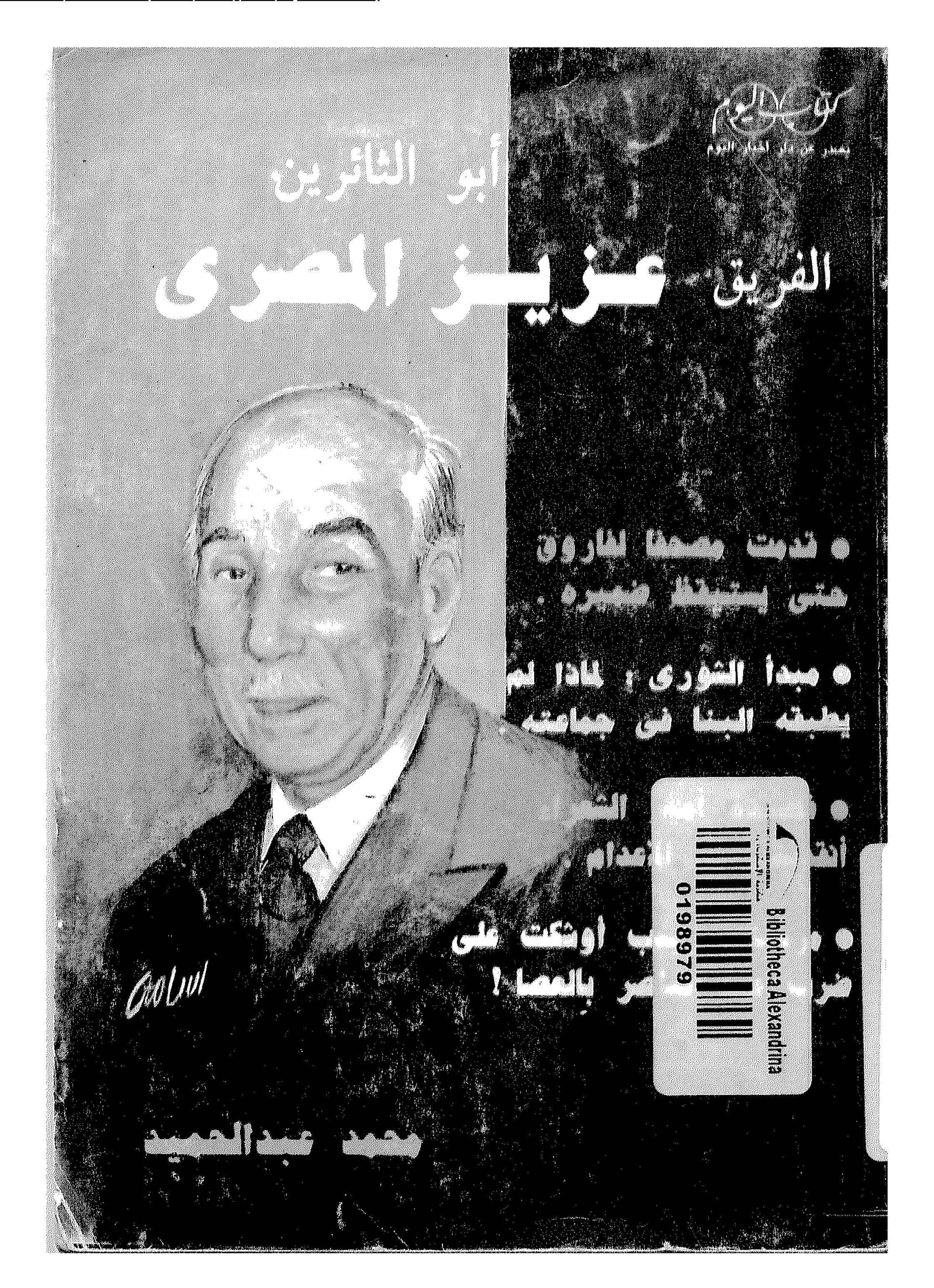

كتاب اليوم
يصدر عن دار أخبار اليوم
أبو الثائرين
الفريق عزيز المصرى
• ندمت مصحفا لفاروق حتى يستطلا ضميره
• مبدأ الشورى : لماذا لم يطبقه البنا فى جماعته
أعدام
أوشكت على
بالعصا !
Bibliotheca Alexandrina
01198979
محمد عبد الحميد





يصدر عن دار اخبار اليوم

ابو الثائرين
الفريق عزيز المصرى

« محمد عبدالحميد »

العدد ٣٣٣



● العدد ٣٣٣ ●

اسسه

مصطفى امين وعلى امين

رئيس مجلس الادارة :

إبراهيم سعده

المشرف على التحرير

● جمال الغيطانى ●

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ٢٤ جنيها مصريا

البريد الجوى

● دول اتحاد البريد العربى ١٥ دولارا امريكيا او ما يعادله ، اتحاد البريد الافريقى ٢٠ دولارا امريكيا او ما يعادلها ، اوربا وامريكا الشمالية ٢٥ دولارا امريكيا او ما يعادلها ، امريكا الجنوبية واستراليا واليابان ٣٥ دولارا امريكيا او ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور .

● ترسل القيمة الى الاشتراكات ٢ (١) ش الصحافة

القاهرة ت ٥٧٤٨٧٠٠

تلكس دولى : ٢٠٣٢١ تلكس محلى ٢٢٨٢

غلاف .. أسامة أحمد نجيب

الرسوم محمد عفت

رقم الايداع : ٩٢/٣٩٢٥ الترقيم الدولى : 9 - 0383 - 08 - 977 ISBN

الاهـــداء

● رحم الله سبحانه وتعالى والدى واسكنه فسيح جناته .. لقد علمنى وتعلمت منه ان يكون اعتمادى الدائم على الله عز وجل ، وان ادبر كل حياتى بما لا يغضبه ، وان يكون عطائى لله وحده رب العالمين .. وإلى والدتى الحبيبة اطال الله فى عمرها ، فلقد ورثت عنها ان الضيق لابد ان يعقبه الفرج ، وان رضاء النفس كنز لا يفنى ، وان التواضع دليل الأصل الطيب ، وان ابتسامتها لفرحها واسعاد الآخرين .

● إلى زوجتى رفيقة مشوار عمرى التى سبحت فى عطائها ، ورسوت على شاطىء حبها ، وسعدت بإخلاصها ودفء الحياة معها .. والى ارق المخلوقات الحلوة التى يسرى هواهم وعشقهم فى دمى .. إلى اولادى (غادة ووائل ورشا) الذين طال بعض رؤوسهم من راسى .. ارجو ان يذكروا الله حتى يتذكرهم .. وان يعتمدوا عليه فهو الحى الباقى .. وان تكون الفضائل جمعاء هى سلوكياتهم وطبائعهم مع الاقبال فى السراء والضراء على قراءة القرآن الكريم ..

« محمد عبدالحميد »

مايو ١٩٩٠

« المقدمة »

ان حياة الانسان وفكره وحتى آرائه ومعتقداته تتاثر بعصره ، والظروف التى وجد فيها ، والأحداث التى عاشها بحلاوتها ، والمرارة التى تقطر من آهات آلامها والانسان ايضا عشيرته ، وزملاؤه وأصدقاؤه ، والمجتمع الذى عاش على أرضه وشرب من ماء نهره ، أو من قاع بئره .. والانسان تؤثر فيه أحداث العالم من حوله ونظرة المجتمع الانسانى الى بلده سواء بالخير أو الشر .. والانسان يعرف قيمة انسانيته بحريته .. هل يتنفسها ويمارسها ، وينعم بظلها الوارف الآمن ، وأشعة شمسها الدافئة ، أم هى بعيدة عنه يحلم بها ويتمناها ويقاسى من أجل الحصول عليها .

والانسان قيمة وكرامة إذا حافظ عليهما ودافع من أجلهما وضحى فى سبيلهما بشرف عن ايمان وعقيدة .. والانسان تاريخ يستحق التسجيل والتبجيل والاحترام وان تعلق على صدره نياشين وأوسمة البطولة إذا وقف بجانب الأصالة وتحلى بالأمانة وكان شريفا فى خصومته وشجاعا فى الحرب والسلم من أجل وطنه ومجتمعه وأسرته والعمل الذى يمارسه . والانسان بدون انسانية تسبح فى عروقه وترطب مشاعره حتى تصبح جزءا من نسيج عواطفه .. يتحول الى صنم أجوف ساكن يسهل نقله وتحريكه ، وتختفى من حلقه الصرخة ومن عينيه الدمعة ، وهو فى النهاية أشبه بالحيوان تتحكم فيه غرائزه وشهواته .

وعزيز المصرى كانت له حياة ..

كانت حياته نهرا له منبع ..

وكان هذا النهر متعدد الروافد .. تعترضه الصخور مرة والجنادل أكثر من مرة والشلالات مرات ، ثم بعد ذلك تلاحمت هذه الروافد فى مجرى مستقيم أحيانا ومتعرج أحيانا أخرى .. عميق القاع فى مسافة ، شديد التيار عند منحنى وسهل الانسياب فى منطقة أخرى .. كانت حياته سريعة الحركة والايقاع ، مليئة بقصص البطولة

والشجاعة عامرة بالوطنية والمواقف الصلبة ضد استبداد الحكم التركى ، واصرار السلاطين على التتريك على حساب الأمانى العربية . وكان لا يأمن جانب الانجليز الذين كان يتمثل فيهم خبث الثعلب الماكر ، وليونة حركات الثعبان السام ، وأستاذية متعددة الأهداف فى فن الاستعمار الذى تربعت على عرشه لعدة قرون طويلة .

وكانت صراعات عزيز المصرى ضد الأحزاب فى مصر بلا حدود ، كان يرى فى الحياة الديمقراطية مأساة ، فهى عند الأحزاب عبارة عن لعبة الكراسى الموسيقية التى يتصارعون خلالها من أجل الوصول الى كرسى رئاسة الوزارة لتحقيق الوجاهة لرموز هذه الأحزاب والمطامع الشخصية لأعضائها والمغانم العامة بالأساليب المشروعة وغير المشروعة ، وكان الخاسر الوحيد هو الشعب المصرى الذى دفع ضريبة الدم والأرواح غالية من أجل الاستقلال وطرد الانجليز وانهاء احتلالهم البغيض . وكانت أيضا صراعاته ضد الملك وأعوانه داخل القصر ، لأنه كان يرى ان الملك فاروق فضل نزواته على مصالح الشعب المصرى ، وانحاز الى جانب الانجليز للحفاظ على عرشه ، واختار رؤساء الوزارات الذين يضمن من جانبهم الولاء ويأمن حماسهم الوطنى الزائد .

كانت حياة عزيز المصرى مليئة بالعذاب والألم والتشريد ، وتحمل ذلك كله على أمل فجر مشرق جديد تعود فيه مصر للمصريين ، ويعود فيه كل بلد عربى الى أهله ، وأن يتفق العرب على سياسات تضمن لهم استراتيجية واضحة ودائمة وثابتة فى مقابل سياسات الاستعمار التى خططت استراتيجيتها على أساس ان البلاد العربية والاسلامية مغانم حرب وأسلاب سلم أبد الدهر . وعزيز المصرى سجن أكثر من مرة ، وحكم عليه بالاعدام ، وعرض عليه عرش مصر ، ولكنه رفض رشوة الاستعمار .. هذا العذاب كله تحمله .. عذاب النفس والجسد .. فى احدى المرات ضرب فى بطنه بقسوة وشدة أثناء سجنه فى القاهرة ، تحمل الضربة وهو يبتسم وقال للجندى المصرى الذى ضربه وكان من رجال الأمن :

— « اننى أفعل ذلك من أجلكم ، ان المأساة يا ولدى اننا نتقن ضرب وتعذيب بعضنا البعض ، وهذه الضربة كان يجب أن توجه الى جندى انجليزى .. أو الى خائن لوطنه ، وما أكثر الخونة هذه الأيام ».

وسالت دموع حارسه وهو يقدم اليه عميق إعتذاره بلغته المصرية الأصيلة البسيطة ، كان عزيز المصرى يرى عن ايمان ان مفتاح الحل لن يكون بأى حال من الأحوال فى يد الأحزاب .. وان الخلاص لن يتم أو يتحقق إلا من خلال الجيش المصرى ذاته ، بواسطة رجال وطنيين أحرار خاصة بعد مأساة حرب فلسطين وقضية الأسلحة الفاسدة التى انهت وقضت على التفوق العسكرى المصرى أمام الجماعات الارهابية الصهيونية .. لقد انكسر الجيش المصرى ، وكان الانجليز والملك وأعوانه والسماسرة وراء هذا الانكسار المقصود . وشجع على الثورة ، والتقى بالأحرار من الضباط المصريين وبث فيهم من روحه الثورية .

وعندما أعلنت ثورة ٢٣ يوليو تنفس هواء الراحة والاستقرار بعد أن تيقن ان فجر الخلاص قد بزغ وأشرق .

وعندما خرج الملك فاروق من مصر عادت الابتسامة الى شفتيه وصفق قلبه وارتاح فؤاده .. وبمرور الأيام وجد ان المسيرة فى غير الاتجاه الوطنى الصحيح السليم. قال لى فى احدى المرات :

— « ان أى ثورة لابد أن يكون لها ضحايا ولكن لفترة معينة ولمرحلة محددة ولكن ضحايا ثورة ١٩٥٢ فى تزايد مستمر وتلك مأساة !»

وقال لى مرة أخرى :

— « ان الحكم فى مصر يتجه الى ديكتاتورية الفكر والرأى ، وان القرار السياسى من هذا المنطلق لن يتناسب مع المشكلة ، ولن يكون حاسما وتلك كارثة ».

وقال لى مرة ثالثة :

— « ان أى ثورة أو أى جماعة اصلاح لابد أن تقرأ التاريخ جيدا .. وتستوعب دروس الماضى حتى تتجنب أخطاء الماضى فى قرارات الحاضر من أجل المستقبل . وأى ثورة لن يكتب لها النجاح إذا حاربت

فى أكثر من ميدان .. ان الميدان الأول يجب أن يتم فى الداخل .. كان يجب حل مشاكل مصر أولا ووضع خطط طموحة للتنمية ، وبعد ذلك يتم التعامل مع دول العالم .

ان تاريخ حياة الثائر عزيز المصرى .. جزء من تاريخ الدولة العثمانية والبلاد العربية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة .. لقد شوه الاستعمار الانجليزى كفاحه .. وبطولاته وطمسوا تماما معالم صراعاته معهم عبر مشوار حياته .. حاربوه فى استانبول ودمشق ومصر وليبيا واليمن والمملكة العربية السعودية .. ونفوه الى أسبانيا خلال الحرب العالمية الأولى .. وسجنوه فى مصر أكثر من مرة بالتعاون مع الأحزاب السياسية والملك .. وعرضوا عليه عروش العراق ومصر واليمن حتى يصبح عميلا لهم .. ولكنه قال « لا » فى شموخ الثائر الذى يضع راسه بين يديه من أجل مبادئه .

حارب الانجليز والملك والأحزاب ووضع بذرة الثورة فى مصر .. التقى مع جمال عبدالناصر والسادات وبعض رجال الثورة .. ورسم لهم خطوط الحاضر والمستقبل وافق على سياسة جمال عبدالناصر فى البداية ثم اختلف معه فى النهاية .. ووضع خطة انسحاب الجيش المصرى بعد عدوان ١٩٥٦ .. وثار على دخول الجيش المصرى فى حرب اليمن .. وتنبأ بكارثة من جانب الاستعمار ويهود اسرائيل .. ولم يمهله القدر ليشاهد ويسمع بهزيمة عدوان ١٩٦٧ .. وفارق الحياة وآلامه قوية داخل صدره .

لقد فرض عزيز المصرى نفسه على التاريخ ، ولكن التاريخ لم ينصفه ويعطيه حقه من الرعاية والعناية ، ولم يذكر قصة حياته كاملة لأن الانجليز أغفلوا معظم تاريخه فى معاجمهم ووثائقهم ومذكرات ساساتهم وقواد جيوشهم حتى الصهيونية العالمية طمست تاريخه واطلقت عليه كلمات منها :

« مجنون العظمة » و« الثائر الحالم » و« محترف المؤامرات والاغتيالات » و« حليف الألمان » ومسميات أخرى كثيرة .. ذلك كله حدث حتى تطمس حقيقته ولا تطغى عظمته على عظمتهم .. ووطنيته

الثائرة على أحلامهم الاستعمارية .. لقد اشتهر عزيز المصرى فى جميع مواقفه مع الانجليز وأعوانهم .. انه كان يقول لهم فى صلابة وكبرياء وشرف وشجاعة .. كان يقول لهم : « لا ».. أنتم فى جانب والحق فى الجانب الآخر ، عليكم أن ترحلوا لننعم بالاستقلال .

عرفت عزيز المصرى بطريق الصدفة .. كنت فى لقاء مع الآنسة اعتدال حمودة ، كانت شخصية نسائية مصرية جاذبة لحما ودما تعشق الخدمة العامة .. دامت صداقتنا عدة سنوات .. وذات مساء تطرق بنا الحديث الى عديد من الشخصيات السياسية .. قبل ثورة (١٩٥٢) وأخبرتها اننى بمناسبة الحديث عن تلك الشخصيات أبحث عن أى انسان يدلنى على البيت الذى يسكن ويعيش فيه الفريق عزيز المصرى .. وفى هدوء غير مقصود وفى حسم دقيق غير مبالغ فيه قالت : اننى أعرف بيته .. أيضا أعرفه شخصيا .. وأضافت : سوف أتصل به ، وأحدد معه موعدا يجمعنى أنا وأنت ، وكانت تلك هى البداية التى استمرت سنوات طويلة عشت فيها معه .. وتعايشت مع حياته الماضية والحاضرة كنت فيها الابن البار .. والتلميذ النجيب الذى أحب أستاذه فأعطاه بقدر ما تحملت صحته .. وتحمل جسده .. وعشت مع هذا الرجل العسكرى الانسان الفنان المثقف .. عشت معه حتى لفظ أنفاسه وكنت ساعتها خارج القاهرة .. وبعدها قرأت عنه الكثير وكتبت عنه ما هو أكثر حتى كان هذا الكتاب عله يسد نقصا كبيرا فى معرفة حياته ..

● ● ●

الفصـــل الأول



« رجـال الاتحـاد والترقـى ضـربوا الضبـاط العـرب بقسـوة شديـدة »

* احمد شوقى ادخلنى الكلية الحربية وانقذنى من الاعدام .
* خطابى لإمام اليمن حقن دماء المسلمين ونشر السلام .
* عرفت عمر المختار فى ليبيا .. قاوم الايطاليين بعدى .
* قال لى سعد زغلول : تقدم العرب نجاح لمصر .
* لماذا تم اختيارى قائدا عاما للجيش العربى الموحد .

فى عام ١٨٨٠ ولد عزيز المصرى ..

وفى نفس العام كانت مطالب الضباط المصريين ومنهم أحمد عرابى .. فتح باب الترقى أمامهم إلى المناصب العليا وعدم قصرها على الضباط الشراكسة .. وكانت مطالبهم أيضا تحسين أحوال الجنود المصريين وصرف رواتبهم وإلغاء قانون السخرة . كان الشعب المصرى يتحدث عن هذه المطالب .. وموقف الضباط الشراكسة .. وموقف القصر الذى كان يعيش فيه الخديو توفيق .. والحكومة التى كان يؤيدها الاستعمار والخديو .. وعلى الجانب الآخر كانت القاهرة تتحدث عن مقالات الشيخ جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده .. والشاعر المصرى الشعبى المناضل عبد الله النديم .. كان ذلك كله حال مصر اجتماعيا وسياسيا وعسكريا ..

وفى ولادة متعثرة قام بها طبيب سويسرى اسمه « هيس » تنفس عزيز المصرى كلمات الألم التى كانت ترددها والدته طوال ساعات مرت فى بطء شديد وفى قلق بسبب أن موت الجنين كان الشىء الذى توقعه الجميع .. ولكنها إرادة الله سبحانه وتعالى أن ينفجر فى البكاء بعد أن حسبه الجميع ومنهم الطبيب فى عداد الأموات بسبب اللون الأزرق الذى يكسو جسمه كله ..

كانت مربيته مبروكة لاتفارقه .. وكانت والدته تحنو عليه بشدة بعد وفاة والده .. يقول عزيز المصرى : كان من المفروض أن استمتع بشقاوتى فى سن الطفولة .. ولكن مرض والدتى وشحوب لونها جعلنى دائما أحافظ على هدوء البيت من شدة حبى لها .. وماتت أمى ! وماتت معها كل أيامى الحلوة ..

ومرت سنوات ..

وحصلت على شهادة البكالوريا ..

كانت رغبة عزيز المصرى الالتحاق بالكلية الحربية فى فرنسا ولكنه كره هذا البلد التى كانت تحتل الجزائر .. وكانت رغبة شقيقته الكبرى الالتحاق بمدرسة الحقوق . ودخل مدرسة الحقوق .. وهناك تقابل مع المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقى الذى كان أحد أساتذته فى تعليم اللغة الفرنسية .. وشكا له عدم رغبته فى استكمال الدراسات القانونية .. ووعده أمير الشعراء أن يكون سفيره لذى شقيقته الكبرى زوجة على باشا ذو الفقار ..

يقول عزيز المصرى : ونجح أحمد شوقى فى مسعاه .. وقررت الالتحاق بالمهندسخانة المصرية لدراسة الرياضيات وعلم المثلثات والعلوم الحديثة حتى يكون إلتحاقى بالكلية الحربية فى استانبول .. وبسبب هذه الدراسات كنت دائما من الطلبة الأوائل .. وكان ترتيبى الحادى عشر فى مجموع سنوات الدراسة وقد ساعدنى ذلك للالتحاق بكلية أركان حرب التى تخرجت فيها عام ١٩٠٥ . وأثناء سنوات الدراسة أحببت الدراسات العسكرية وعشقت الضباط العظام الألمان الذين كانوا يقومون بالتدريس .. مثل الجنرال « هوشلد » الذى عرفناه صادقا وأمينا وجنديا يحترم مهنته ويحافظ على مواثيقه ويشجع الضباط الأتراك والعرب !

يقول عزيز المصرى : لقد أحببت الألمان من كل قلبى .. احترمت فيهم العقلية الجادة والتفكير السليم ، واحترام الانسان وتقديس العمل والتضحية بكل شىء فى سبيل المثل والمبادىء .. ولقد حاولت كثيرا التعامل معهم أثناء الحرب العالمية الثانية .. وتلك كانت رغبة كل مصرى من أجل طرد الانجليز والحصول على الاستقلال .

كان السلطان عبد الحميد الذى بدأ حكمه فى عام ١٨٧٦ وانتهى فى عام ١٩٠٨ حاكما بغيضا بالنسبة لكافة عناصر الدولة من الأتراك والعرب وغيرهم .. ونتيجة للحكم الديكتاتورى الذى قام على التجسس كأساس للحكم .. وعلى انتشار الحكم البوليسى ظهرت العديد من الجمعيات السرية التى كان الهدف منها فى بداية الأمر المناداة بتطبيق الدستور وانشاء مجلس نيابى .. والاعتماد على الشباب فى حكم

الدولة .. وفى مرحلة تالية كان هدف هذه الجمعيات قيام اتحاد فيدرالى يجمع الدول الواقعة تحت الحكم العثمانى .. مع استقلال كل وحدة سياسية فى الشئون الداخلية وتوحيد السياسة الخارجية والجيش تحت قيادة واحدة .. وفى المرحلة الأخيرة كان هدف هذه الجمعيات عزل السلطان لأن وجوده على العرش أصبح يعوق أى تقدم .. حتى أطلق على الدولة العثمانية : الدولة المريضة .

وهناك جمعيات سرية سبقت وجود عزيز المصرى بداخلها مثل الحركة السرية التى أطلق عليها : حركة تركيا الفتاة وترجع إلى عهد السلطان عبدالعزيز وكان يرأسها مدحت باشا .. ثم تحولت إلى جمعية سرية بعد تشريد الأعضاء وهروبهم إلى مصر وفرنسا .. ثم تم تأليف حركة سرية ، الأعضاء من الضباط وتم اكتشافها عام ١٨٩٢ ميلادية .. ثم نشأت جمعية تركيا الفتاة فى ثوب جديد أساسها القضاء على السلطان عبد الحميد .. ثم نشأت جمعية عام ١٩٠٦ برئاسة كمال أتاتورك .. وتغير اسمها إلى جمعية الوطن والحرية .. ونشأت جمعية أخرى بأعضاء جدد فى سالونيك تحت اسم : العثمانية الحرة . ومن عباءة الجمعيات السابقة نشأت جمعية الاتحاد والترقى التى كان من أعضائها العرب عزيز المصرى وياسين الهاشمى ومحسن العدوى وطالب النقيب وسليم الجزائرى ومن الأتراك أنور باشا وكمال أتاتورك .. وقد قاد عزيز المصرى بعض القوات التركية الموالية للاتحاد والترقى فى الهجوم على استانبول حيث تم خلع السلطان عبد الحميد بعد معارك دامية ..

وشارك عزيز المصرى فى جمعيات المنتدى الأدبى والقحطانية والعربية الفتاة .. وفى القاهرة نشأت جمعية السيد محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار .. ثم ظهرت بعد ذلك جمعية بيروت الاصلاحية .. وأخيرا كانت جمعية العهد التى أقامها وقام برئاستها عزيز المصرى .. والأخيرة كانت سرية ثورية ضمت فقط غالبية الضباط العرب فى الجيش التركى .. وكان هدفها الوقوف ضد تعنت وقسوة نظام الحكم الذى كان يدين بالولاء لجمعية الاتحاد والترقى فى الوقت الذى كان فيه

السلطان محمد الخامس لايملك أى شىء سوى مجرد اللقب . بل ان الجهاز الحاكم عامل الضباط العرب بشدة وتخلى عن المبادىء التحريرية التى جمعتهم فى بداية النشأة والتكوين .

لقد كانت سياسة عزيز المصرى وما كان يؤمن به من أفكار ثورية داخل الجمعيات التى كان عضوا بها أو التى قام برئاستها ، إنما كانت اللبنة الأولى للقومية العربية التى طال انتظارها ، والتى تمثلت فى الجيش العربى الذى كان من المفروض أن يظهر فى سماء الأمة العربية ليحقق الوحدة المنشودة لجميع العرب . ولكن سياسة كل من بريطانيا وفرنسا الاستعمارية .. ورغبة كل منهما فى توزيع البلاد العربية تحت نفوذهما وظهور وعد بلفور .. كل ذلك حول الأمانى العربية إلى سراب عندما تم غرس الوجود الصهيونى داخل أرض فلسطين . وسوف يذكر التاريخ دائما أن عزيز المصرى عندما استقر له المقام فى اليمن كأحد مواد الحملة التركية للقضاء على الثورة اليمنية استطاع بعقله الراجح ، وفكره الثاقب وعسكريته المنظورة وأيضا المقتدرة أن يقضى على ثورة اليمن باستخدام الحكمة التى اعتمدت على السلام وتفضيل السلم على مواصلة الحرب التى كان يراها فى صالح اليمنيين ..

يقول عزيز المصرى :

كانت طبيعة أرض اليمن فى صالح أهلها سواء فى السلم أو الحرب .. كان اليمنى قادرا على فهم وإدراك ومعرفة البيئة التى يعيش فيها .. لذلك أحسن استخدام ارتفاعات الجبال فى سرعة تسلقها والسيطرة على قممها العالية ، الأمر الذى جعل أى جيش صاعد على مرمى بنادق أهل اليمن .. أيضا ساعدتهم البيئة على استخدام حرب العصابات التى تعتمد على الهجوم السريع وحُسن الانتشار وأيضا على التقهقر والهروب بشىء مفاجىء . لقد كان يحكم اليمن فى عام ١٩٠٩ الإمام يحيى بن حميد الدين .. وكان سكان اليمن بإيعاز من الإمام الحاكم القيام بثورة كل عامين أو ثلاثة ـ موعد جمع الضرائب ـ حيث يرفضون دفع الضرائب للدولة العثمانية ويدفعون فقط مايخص الإمام الذى يحكمهم .. وكانت الدولة العثمانية أمام ذلك الرفض ترسل قوة

عسكرية قوامها لواءان وأحيانا ثلاثة ألوية تشرف على جمع الضرائب بقوة السلاح .. وكانت العادة أن القوة العسكرية تفقد معظم أفرادها لحرب العصابات التى كان يجيدها أهل اليمن .

يقول عزيز المصرى : لقد عاينت الطبيعة الجبلية فوجدت أن إحراز نصر دائم أمر مستحيل .. لذلك طلبت تحرير ثلاث فصائل عثمانية من الأحمال التقليدية التى كان يحملها الجندى على كتفيه تماما كما فعلت فى منطقة الجبل الأسود والبوسنة والهرسك عندما كنت أحارب الثوار .. كانت خطتى ممارسة الحرب بأسلوب أهل اليمن .. تلك الحرب التى كانت تعتمد على الكر والفر مع تكبيد العدو خسائر فادحة وموجعة ، بل ومؤثرة ماديا فى المعدات ومعنويا على نفسية أهل اليمن ..

وفى إحدى الأمسيات هدانى تفكيرى لحل يجعل قوتنا العسكرية تحصل على المال المطلوب دون إطلاق طلقة واحدة أو إزهاق روح جندى عثمانى أو مواطن يمنى .. كان قرارى كتابة خطاب إلى الإمام يحيى بن حميد الدين أدعوه فيه إلى الحل السلمى بعد أن كبدت قواته خسائر موجعة عن طريق حرب العصابات التى شلت أفكاره وأدهشتهم إلى حد بعيد . ولقد استخدمت فى ذلك الخطاب الحكمة والعلوم الانسانية وهذا هو نص الخطاب :

وبعد : كان الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين نشر الاسلام فى ربوع الجزيرة العربية ، كانت العرب متفرقة يقاتل بعضها البعض الآخر .. لقد استطاع أن يجمعها تحت راية الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، للعمل على نشر العدالة والعلم والعمل الصالح ، أقول إليك من قلب مخلص أنك حشدت الكثير من الرجال ، ونحن أيضا حشدنا خيرة الجند والضباط ممن عرف عنهم القوة والشراسة .. وأن هذا العدد الكبير من الرجال المسلمين سيدخلون معركة وربما معارك طاحنة ، وفى النهاية سيموت من الطرفين عشرات الألوف من الرجال . أنت إمام ابن إمام ، وعقلك راجح ، وفكرك ثاقب ، وثورتك كمسلم ضد المسلمين فى استانبول لامبرر لها ، ونرى أنه لاداعى لها . ان العقل والحكمة تطالب بحفظ دماء المسلمين من رجالك ، ودماء المسلمين من

رجال الجيش العثمانى .. أنتم قوة ونحن قوة تزيد على قوتك بالعلم العسكرى العصرى .. ولانريد تدمير أهلك وإزهاق روح رجالك .. ورغم ذلك وفى كلتا الحالتين الخسارة واقعة على الجانبين : على جانبك ، وعلى جانبنا . إن الحل الأمثل أن نجلس بعضنا إلى جانب بعض من منطلق الأخوة الاسلامية لنحقن دماء المسلمين .. لنصل إلى حل مناسب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ووافق الفريق أحمد عزت باشا قائد الحملة على فكرتى .. وأيدها عصمت اتيونو الذى كان رئيسا للجمهورية التركية وأيضا مصطفى أتاتورك أول رئيس للجمهورية التركية .. وذهبت للقاء الإمام يحيى بن حميد الدين الذى قام من مكانه وسط حاشيته وأحسن استقبالى واختار لى مكانا إلى جواره .. وعلى مدى يومين كاملين كنت فيها ضيفا عليه تم الاتفاق المشترك على مسودة معاهدة جديدة تضمن حقوق الدولة العثمانية المالية والعسكرية والسيادية على اليمن مع راتب شهرى للامام وتعيين اليمنيين فى وظائف القضاء والدولة .. وتم توقيع المعاهدة واستتب الأمر تماما وابتهج رجال الاتحاد والترقى فى استانبول بهذه المعاهدة وباركوها وأثنوا عليها .

ومرت عدة شهور ..

وجاء تلغراف من القيادة العليا فى استانبول تحتم سفرى وأنور جمال ومصطفى كمال أتاتورك إلى ليبيا لتنظيم قوات القبائل اليمنية ضد الاحتلال الايطالى لبعض المدن على طول امتداد الساحل الشمالى لليبيا . وجاء بالتلغراف : « ان الاختيار وقع على الكفاءات العسكرية الموجودة فى القوة العثمانية التى كان قوامها قرابة (٥٠) ألف ضابط وجندى . وكان الاتفاق أن نلتقى نحن الضباط العظام وما معنا من ضباط وجند فوق الأراضى الليبية .

يقول عزيز المصرى : عقدت اجتماعا موسعا مع مصطفى كمال أتاتورك وأنور .. وكان الاتفاق على أن : القوة العسكرية العثمانية قليلة وجميع المعدات العسكرية العثمانية متخلفة من حيث إمكانياتها القتالية عن الأسلحة التى كانت معنا فى اليمن .. بل إن السلاح الايطالى كان

يفوقها فى قوة النيران خاصة فى الرشاشات ومدافع الميدان .. وكان القرار : أن أكون قائدا لمنطقة طبرق وأنور لمنطقة درنة ومصطفى كمال أتاتورك لمنطقة بنغازى التى كان يحتلها الطليان بقوة عسكرية قوامها (٦٠) ضابطا وجنديا .. فى الوقت الذى كانت القوات العثمانية تصل إلى قرابة (٢٠) ألف جندى وضابط والقوات الليبية كانت تصل إلى عشرة آلاف مقاتل ..

يقول عزيز المصرى :

كانت خطتنا ضرب طلائع الجيش الايطالى على امتداد الصحراء .. دخلنا معارك شرسة بالسلاح الأبيض وحققنا انتصارات ساحقة اتبعنا فيها حرب العصابات .. وبعد قرابة ثلاثة أشهر كان علينا تدبير كل شىء من خلال ماهو قائم .. واستطعنا الحصول على أسلحة ومعدات من أفراد الجيش الايطالى بعد معاركنا معهم ! وتحققت لنا السيادة الكاملة داخل الصحراء .. وأصبح العدو الايطالى يتمركز على امتداد المدن الساحلية بعد أن أرهقنا قواته. بواسطة حرب عصابات كبدتهم خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات .

وطلب مصطفى كمال أتاتورك وأنور السفر إلى تركيا .. شعرا بأن دورهما ليس فى جبهات القتال إنما داخل الدولة العثمانية خاصة بعد أن تأكد لهما الاتفاق التركى مع الانجليز .. والاتفاق التركى مع الايطاليين .. وكانت ليبيا هى الخاسر الوحيد الذى فضلت ألا أترك شعبها نهبا لتلك المؤامرة الدنيئة .. وسافر أتاتورك وأنور وأصبحت قائدا للقوات العثمانية التى ما لبثت. أن تقلصت بعد الاتفاقات السابقة .. وكان لقائى مع عمر المختار .. كان احساسى أن هذا الرجل الليبى المتدين سيكون له شأن كبير فى بلده ضد الايطاليين ..

يقول عزيز المصرى :

فجأة أصبحت مسئولا على ساحل امتداده قرابة (٦٠٠) كيلومتر يربض فوقه جيش ايطالى استعمارى شرس .. فى مقابل شعب ليبى أعزل أمام إمكانيات الاحتلال العالية .. كان الوضع العام العثمانى : خمسة آلاف جندى وعشرة آلاف ليبى ، وعدد محدود من مدافع

الميدان والبنادق .. مقابل أعداد كبيرة من الجنود الايطاليين ومعدات تتدفق من ايطاليا إلى ليبيا .. ورغم ذلك كانت جميع انتصاراتنا مرهقة ومؤثرة للعدوْ الايطالى .. لأننى اتبعت أسلوب حرب العصابات واستخدمت الخيل فى سرعة الهروب والتحرك فى الاتجاه المعاكس للهجوم . ولن أنسى القائد الايطالى يديكولا الذى أذهلته بحرب العصابات هو وجنده .. لقد حيرته بخطط مُحكمة وسريعة لدرجة أنه ما يكاد يصدر أمرا بأى تحرك خلال ساعة .. إلا وجد الهواء والحسرة داخل صدره لاختفائى التام من مسرح العمليات ..

أيضا كانت حكايات لاتُنسى مع القائد الايطالى « سالزا » .. هذا القائد عرض على كميات كبيرة من الذهب .. والقصور فى ايطاليا مقابل التخلى عن مهمتى ولكننى رفضت تماما جميع الاغراءات التى قدمتها القيادة العسكرية الايطالية ..

فى المقابل لحقت الجيوش العثمانية خسائر كبيرة على جميع حدودها سواء مع الروس أو البلغار وغيرهم .. وبدأت الدولة العثمانية تفقد الكثير من حدودها التى استولى عليها الثوار الوطنيون .. وجاءت أخبار تطلب سفرى إلى تركيا .. ولكننى رفضت .. وواصلت نضالى مع أهل ليبيا ..

وبعد ثلاث سنوات كان لابد من العودة بعد أن سلمت كل شىء إلى المناضل الشعبى الليبى عمر المختار .. كنت أراه الرجل المناسب الذى يمكن أن يحمل لواء الثورة وقيادة حرب العصابات ضد الجيش الايطالى المحتل .. ولقد أبلى هذا الرجل بلاء حسنا واستوعب تماما كل دروسى وخططى العسكرية فى حرب العصابات التى طبقها بنجاح بخلاف اضافاته التى استخدم فيها العقل والبيئة والمعرفة الجيدة لطبيعة الصحراء ..

وفى طريقى من ليبيا إلى الاسكندرية .. ثم تركيا عانيت الكثير من الأهوال والمؤامرات .. كان الانجليز يطالبون برقبتى .. وكان الايطاليون يطالبون بإعدامى .. يقول عزيز المصرى : كان موقفى صعبا جدا ! وزاد الأمر صعوبة أننى لم أجد معاملة طيبة من زملاء

السلاح عند وصولى إلى استانبول !! لقد اكشتفت لماذا عرض على أنور باشا رتبة القائمقام ـ عقيد الآن ـ وكان يجب أن يمنحنى رتبة اللواء . لقد كان يعلم أخلاقى واعتزازى بكرامتى .. ورفضت رتبة القائمقام .. وبعد عدة أيام كان مجموعة من الضباط والجنود يقتحمون مكان إقامتى !! واكتشفت المؤامرة الكبرى التى كان هدفها محاكمتى ثم الحكم بإعدامى ! .

وبدأت محاكمة صورية ..

وانتهت المحكمة إلى قرارها الشهير باعدامى !! ووصلت البرقيات والخطابات من أنحاء العالم العربى تطلب من السلطان محمد رشاد محاكمة أنور باشا وفك أسرى ، ولن أنسى قصيدة أحمد شوقى بك أمير الشعراء إلى السلطان .. والذى ناشد السلطان أن يطلق سراحى باعتبارى من أبطال اليمن وبرقة فى ليبيا ..

شعرى اذا جبت البحار ثلاثة ... وحواك ظل فى « فروق » ظليل
وتداولتك عصابة عربية ... بين المآذن والقلاع نزول
وبلغت من باب الخلافة سدة ... لستورها التمسيح والتقبيل
تلك الخطوب وقد حملتم شطرها ... ناء الفرات بشطرها والنيل
قل للامام محمد ولا له ... صبر العظام على العظيم جميل
أن تفقدوا الاساد أو أشبالها ... فالغاب من أمثالها مأهول
صبرا فأجر المسلمين وأجركم ... عند الاله وأنه لجزيل
يامن خلافته الرضية عصمة ... للحق أنت بأن يحق كفيل
والله يعلم أن فى خلفائه ... عدلا يقيم الملك حين يميل
والعدل يرفع للممالك حائطا ... لا الجيش يرفعه ولا الأسطول
هذا مقام أنت فيه محمد ... والرفق عند محمد مأمول
بالله ، بالاسلام بالجرح الذى ... ما أنفك فى جنب الهلال يسيل
ألا حللت عن السجين وثاقه ... ان الوثاق على الأسود ثقيل
أيقول واش أو يردد شامت ... صنديد برقة موثق مكبول
هو من سيوفك أغمدوه لريبة ... ماكان يغمد سيفك المسلول
فاذكر أمير المؤمنين بلاءه ... واستبقه ان السيوف قليل

هذه القصيدة التى كتبها المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقى ووجهها إلى السلطان محمد رشاد .. تأثر بها السلطان كثيرا لاخلاص أحمد بك شوقى لتلميذه عزيز المصرى .. وكان لها تأثير عظيم فى إصدار العفو عنه واطلاق سراحه .

غادرت استانبول إلى الاسكندرية فى شهر أبريل عام ١٩١٣ .. وصلت الاسكندرية بعد يومين ، وركبت القطار إلى القاهرة .. وداخل محطة مصر كانت المفاجأة ! كانت هناك مظاهرة ضخمة من الرجال من جميع الأعمار وكان يتقدمهم رجال الدين والأعيان .. كانوا يهتفون : عاش عزيز المصرى .. عاش بطل اليمن وبرقة وبنغازى وطبرق !

كان يوما لايُنسى ..

ومرت الأيام وكان تفكيرى ينحصر فى سؤال : ماذا أفعل ؟ وكانت الاجابة فى عقلى غير واضحة ! لم أكن أعلم ماهو موقفى عند الانجليز ؟ وماهو موقف الأحزاب فى مصر من وجودى فى القاهرة ؟ كانت قضيتى أن الدول العربية يجب أن تنفصل عن الدول العربية .. وأيضا يجب أن يكون هناك اتحاد فيدرالى يضمها جميعا .. اتحاد أساسه حق كل دولة فى التصرف فى سياستها الداخلية .. أما السياسة الخارجية والجيش فحق للدولة العثمانية .. كانت فكرتى أن انفصال العرب مرة واحدة عن الدولة العثمانية سوف يُوجد فراغا سياسيا وأمنيا عسكريا واقتصاديا سوف تشغله الدول الاستعمارية ! ولقد تغيرت فكرتى فيما بعد حول هذا الاتحاد الفيدرالى ، وكانت دعوتى إلى وحدة عربية يساندها جيش عربى قادر على حماية هذه الوحدة .. ولكن الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى .. الجميع كانوا فى المقابل يخططون لمصالحهم من خلال جيوش عصرية تحمى هذه الأحلام !

كانت قضيتى الأساسية أننى لست سياسيا محترفا .. ولكننى رجل عسكرى أحترف هذه المهنة .. وبدأت أفكر : كيف أحقق أفكارى من منطلق كونى الرجل العسكرى المحترف !! ولكننى لم أعلم أين ميدانى ؟

كانت أمامى عقبة كبيرة ..

كانت العقبة أمامى تتمثل فى الانجليز الذين يحتلون مصر .. والتقيت مع فضيلة الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر .. وكان حماسه سلبيا لأنه كان يخشى بطش الانجليز الذى كان يتجاوز كل ما فيه اهدار لكرامة الانسان . وذهبت إلى لقاء لطفى السيد باعتباره من قمم العناصر المثقفة فى مصر ، وكونه رئيسا لتحرير الجريدة التى تعبر عن حزب الأمة الذى كان يمثل أعيان البلاد والمثقفين الذين كانوا يطالبون بالدستور والمصالحة مع الاحتلال والحصول على الاستقلال بالتدريج . قلت له فى حماس : أريد الجهاد ! قال : وكل مصرى يريد الجهاد . ولكن المشكلة أننا لانملك أى امكانيات عسكرية تجعلنا نحقق هذا المطلب ! وقال لى : انت رجل عسكرى ! ومصر الآن تحتاج إلى رجل وطنى يحترف السياسة !

وحدثت المأساة ..

اعلان الانجليز الحماية على مصر فى الثامن من ديسمبر عام ١٩١٤ .. وبحق كان الموقف فى مصر معتما .. وأيضا كانت ظلاله الحائرة كثيرة !! لقد أحكم الانجليز سيطرتهم الكاملة على مصر .. وكانت خطتهم إضعاف الجانب التركى .. وبدأ الانجليز فى اشاعة مقولة : إن استقلال البلاد العربية هدف يؤمنون به .. ومن هنا كان اتصالهم بالقيادات العسكرية العربية التى تمرد معظمها على حكم الاتحاديين فى الاستانة .. وأيضا أنهم يبغون مساعدة العرب للحصول على استقلال بلادهم ولكن الهدف الحقيقى كما قال عزيز المصرى .. لم يكن يسير فى ذلك الاتجاه .. إنما الهدف إشعال الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك .. وتفاوض معى الانجليز .. وحضر جانبا من هذه المفاوضات الضابط الانجليزى الذى أقحم نفسه فى تاريخ الأمة العربية تحت اسم لورنس العرب !

قلت للانجليز « لا » فى بداية الأمر .. وطلب منى نورى السعيد أحد أعضاء جمعية العهد التى كنت أقوم برئاستها أن أتعاون مع الانجليز من أجل إنشاء الجيش العربى . حلم كل عربى وكان موجودا فى القاهرة خلال هذه الفترة .. وساعده محمد شريف الفاروقى ضابط

اتصال الشريف حسين فى القاهرة .. وعقد مجلس صغير من بعض رجالات الأحزاب وافق معظمهم على أن أكون قائدا عاما للجيش العربى الذى يجرى اعداده فوق الأراضى السعودية وبالذات فى مناطق رابغ وحول جده والمدينة المنورة . وكان قرارى الموافقة ولكن بشرط أن أجلس مع سعد زغلول لأستمع إلى رأيه .. وألح نورى السعيد أن يحضر معى هذا اللقاء ..

كان اللقاء مع سعد زغلول حافلا بالمودة والبشاشة .. ويقول عزيز المصرى : كما أحسن استقبالى وأجلسنى إلى جواره .. وأسهب نورى السعيد فى الحديث عن مساوىء الحكم العثمانى وشرح له كيف قاسى الضباط العرب من رجال الاتحاد والترقى .. ولكن سعد زغلول كان يستمع أكثر منه معلقا أو حتى متحدثا .. وعندما طلب منى الحديث قلت بالحرف الواحد :

اننى مصرى وأعلم مشاكل المصريين مع الاحتلال .. ان الاحتلال هو قضية كل مصرى والرغبة فى انهاء الاحتلال والحصول على الحرية أمل الجميع وحلمهم الذى ضحوا من أجله بالرجال والمال .. لذلك سأركز فى حديثى على تشكيل قوة عسكرية عربية لا هى خاضعة للانجليز ، ولا هى تحت سيطرة الأتراك فما رأيك ؟

وقال سعد زغلول :

اننى مصرى مسلم ، وأنت مصرى مسلم .. ونورى السعيد عراقى مسلم ، وغيرنا فى البلاد العربية الأخرى مسلمون .. مسلمون فى شبه الجزيرة العربية والخليج والسودان .. نحن جميعا يجمعنا الدين الاسمى واللغة العربية ولو كنا حزمة واحدة لما دخل بلادنا الأتراك ولا الانجليز ولا الفرنسيين أو الايطاليين .. نحن فى ظل الظروف الحالية نخسر أكثر مما نكسب .. وكل بلد عربى تحت الاحتلال تكافحه وتسعى للحرية .. ان وجود قوة عسكرية عربية لن يجعلنا نخسر أى شىء وأنا أطالبكم الحذر من خداع الانجليز ومكائدهم ، وخططهم الاستعمارية التى لن تنتهى ..

وقال سعد زغلول :

— لقد أطبق الاحتلال الانجليزى على مقدرات الأمور فى مصر .. ومن خلال اعلان الحماية والأحكام العرفية يكممون الأفواه .. ويضربون بيد من حديد على حرية الشعب التى سلبوها .. حتى الجمعية التشريعية أوقفوها عن العمل .. ووزارة حسين رشدى قدمت لهم امكانيات أرض الكنانة على طبق من ذهب .. نحن هنا فى مصر نبغى أولا طرد الانجليز .. تلك هى أمانينا .. وأنتم تريدون تكوين قوة عسكرية عربية فى بلاد الحجاز وتلك هى أمانيكم .. وفى جميع الأحوال نحن نناضل وأنتم تناضلون .. ولكن ليكن مفهوما لديكم أن نجاح أى نضال أو تحقيق أى أمنية إنما هو كسب لنا ولكم على حد سواء .. ولا أشك أن نجاح أى طرف سوف يحقق أهداف الطرف الآخر ..

يقول عزيز المصرى :

— هذا الحديث الواقعى أثلج تماما صدرى لأنه كان صادرا تماما من رجل حكيم .. وشخصية مصرية وطنية لاشك أبدا فى مقاصدها النبيلة وتوجهاتها السياسية على مستوى القضية المصرية بشكل خاص والعربية بشكل عام .. وانتهت المقابلة التى استغرقت عدة ساعات .. وأخبرنى نورى السعيد فى اليوم التالى أنه يستعد للسفر إلى بلاد الحجاز .. وأنه سوف يضع لى تصورا عاما لنواة الجيش العربى من خلال ما هو موجود هناك .. حتى يتسنى لى رسم الخطة الشاملة لاحتياجاتنا من الرجال والضباط والسلاح .

وسافر نورى السعيد ..

وبقيت فى القاهرة أستعد للسفر إلى بلاد الحجاز لأتولى القيادة العامة للجيش العربى ..

* يقول عزيز المصرى :

— هناك بعض الحقائق التى أريد القيام بتوضيحها حول شخصية الضابط الفاروقى الذى قام بالتفاوض معى فى القاهرة .. ولقد علمت أيضا فيما بعد أنه كان يقيم جسورا قوية مع نورى السعيد .. وأن الاثنين معا قاما باقناع الانجليز أنه لن يصلح لقيادة الجيش العربى سواى .. وأن الانجليز والشريف حسين رفضا فى بداية الأمر هذا

الترشيح .. وكانت وجهة نظر كل طرف أنه لايمكن بأى حال من الأحوال الوثوق فى توجهاتى السياسية أو الاعتماد على شخصى فى تحقيق وجود الجيش العربى الذى يحتضن الانجليز فكرة وجوده تحت زعامة الشريف حسين .. وبمعنى أوضح قال الانجليز لا ! وقال الشريف حسين لا ! ولكن الفاروقى ونورى السعيد استطاعا اقناع الانجليز والشريف بأننى الأصلح للقيادة لأن القيادات العسكرية العربية فى الجيش التركى ـ الباقى منها ـ خاصة فى بلاد الشام وفى الأستانة يدينون لى بالولاء والاحترام التام بصفتى رئيس جمعية العهد التى كانوا أعضاء بها .

والسؤال الآن : من هو الفاروقى ؟

* يقول عزيز المصرى :

ـــ كان الفاروقى ضابطا عربيا من العراق فى الجيش ، وكان اسمه كاملا : محمد شريف الفاروقى .. وصل إلى القاهرة كأسير حرب فى أيدى القوات الانجليزية عام ١٩١٥ فى جبهة « غاليبولى » العسكرية ، قال للانجليز أنه شخصية عسكرية عربية وأنه عضو بجماعة العهد ـ جمعية العهد ـ التى ترفض حكم الاتحاديين فى الدولة العثمانية .. وتنادى باللامركزية وانشاء دويلات عربية مستقلة بعيدة عن الحكم التركى .. وكان مجرد سماع جمعية العهد فى ذلك الوقت شيئا يثلج صدر الانجليز لأن هذه الفئة رافضة لنظام الحكم العثمانى .. ورافضة لظاهرة التتريك .. وتحمل لواء القومية العربية ..

وحصل الانجليز على معلومات كثيرة حول تنظيمات جمعية العهد وأيقنوا تماما أن ميثاقها يخدم مصالحهم فى ضرب الأتراك من خلالهم .. ولقد استطاع الانجليز أن ينفذوا إلى بعضهم لتحقيق أهدافهم .. وكان الفاروقى ونورى السعيد المتحدثين الرسميين بوجهة النظر الانجليزية لاقناع باقى أفرادها بترك الجيش التركى والانضمام للشريف حسين .

* يقول عزيز المصرى :

ـــ كان الترك قد هزموا الانجليز فى « غاليبولى » وأغاروا على

مصر ، ورغم فشل هذه الحملة ـ التركية ـ فقد حشد الانجليز العديد من القوات شرقى وغربى قناة السويس ، وهذه القوات كان من الممكن أن تعمل فى جهات أخرى .. وكان النوبيون فى غرب مصر يناهضون الانجليز .. وفى الأطراف الجنوبية من شبه الجزيرة العربية كانت القوات التركية الموجودة فى اليمن تهاجم عدن حتى تمكنت من احتلال لحج .. ورغم التقدم الذى أحرزه الانجليز فى احتلال جنوب العراق إلا أن القوات الانجليزية مرت تماما بظروف صعبة .

وفى ظل هذا السيناريو لعب الانجليز على شريف مكة .. ولعب هو على الانجليز .. كل بطريقته .. وكل بأسلوبه وسياساته ..

* يقول عزيز المصرى :

— كانت شروط الشريف حسين للتحالف مع بريطانيا من أجل تحقيق الأهداف العربية كالآتى :

* اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من « مرسين » إلى « أطنة » إلى خط ٣٧ شمالا حتى الحدود الفارسية على طول خط « بيرجك » ـ أوروفا ـ ماردين ـ مديات ـ جزيرة ابن عمر ـ وآماديا » فى الشمال .. ومن الشرق تمتد من الحدود الفارسية حتى خليج البصرة .. وفى الجنوب المحيط الهندى باستثناء عدن .. وفى الغرب البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط بشرط موافقة الانجليز على اعلان خليفة عربى على المسلمين ..

* اعتراف من الشريف حسين بالأفضلية لبريطانيا فى كل مشروع اقتصادى داخل البلاد العربية اذا كانت الشروط متساوية .

* تعاون كامل بين الانجليز والحكومة العربية فى مواجهة أى اعتداء على أحد الطرفين بشرط أن يكون التعاون شاملا .

* اذا قام أحد الطرفين بالهجوم على بلد ما ، فإن الطرف الآخر يلزم الحياد إلا إذا رغب الفريق المهاجم فى اشتراك الطرف الآخر معه .. هنا يمكن الاتفاق على شروط هذه المساعدة ..

* ضرورة موافقة بريطانيا على إلغاء الامتيازات فى البلاد العربية ، وتتعهد بمساعدة الحكومة الشريفية فى الدعوة إلى عقد مؤتمر دولى

لاقرار هذا الالقاء ..

* حددت مدة الاتفاق فيما يختص بالبندين ٣ و ٤ بخمس عشرة سنة .. وإذا شاء أحد الطرفين تجديدها فعليه أن يبلغ الطرف الآخر قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام ..

كانت هذه إحدى الرسائل الخمس التى بعث بها الشريف حسين إلى السير هنرى مكماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر .. ولم يحصل الشريف حسين على اجابات ترضيه وتشبع خططه وأطماعه لأن معظم الحدود التى طالب بها كانت لاتزال تحت الحكم التركى .. ولأن رد مكماهون حوى أن ولايتى مرسين والاسكندرية وأجزاء من بلاد الشام الواقعة فى الجهة الغربية من مناطق دمشق وحمص وحماة وحلب لايمكن أن يقال بأى حال من الأحوال أنها عربية مائة فى المائة .

ويلاحظ أن هناك مجموعة من التحفظات وردت فى رد السير هنرى مكماهون ويمكن انجازها فى النقاط التالية :

* رفع أجزاء من الحدود التى طالب بها الشريف حسين وهى مرسين واطنة والساحل السورى غربى دمشق وحمص وحماة وحلب لأنها غير عربية .

* ان اطلاق كلمة بلاد الشام لايمكن الموافقة عليها لأن هذه المناطق تقع ضمن المصالح الفرنسية .

* عدم الموافقة على مناطق بغداد والبصرة لأن بريطانيا لها مصالح استراتيجية فيهما .

* عدم موافقة بريطانيا على الحدود التى يدخل فى نطاقها الكويت وقطر ونجد وعسير والمنطقة المجاورة تماما للبصرة لأنها ترتبط ـ بهذه البلاد والمناطق ـ بمعاهدات مع بريطانيا ..

وكانت هذه التحفظات تقلل من المساحة التى طالب بها الشريف حسين ولاتجعل له إلا منطقة الحجاز فقط .. وقد شعر الشريف حسين أن هذه التحفظات لايمكن أن تجعله حاميا ومتحدثا باسم مصر .. وبالتالى تحرم هذه المناطق من الحرية والاستقلال التى يطالب بها تحت حكمه الذى كان يحلم به « وفى رد الشريف حسين الثانى تنازل عن

أطنه ومرسين .. ولكن الرد الانجليزى كان مثل سابقه من حيث التحفظات التى لم يتنازل عنها الانجليز ولقد وصل الأمر إلى تجميد المراسلات واكتفاء الشريف حسين بوعد الشرف الذى قطعه الانجليز بالموافقة على استقلال العرب ، ومن الملاحظ أن بريطانيا كانت تراقب الشريف حسين وترصد كل حركاته وطموحاته حتى لايخرج من بين يديها وسيطرتها ..

* يقول عزيز المصرى :

— وكما عرفنا من الدهاء للسياسات الانجليزية .. فقد كانت تخطط فى اتجاه معاكس لما يطالب به الشريف حسين .. كانت خطتها تتبلور فى اتجاهين أو نقطتين أساسيتين :

* الابقاء على صورة الشريف حسين لمواجهة الحرب الدينية وتأثيرها وآثارها والتى كان قد أعلنها الخليفة العثمانى السلطان محمد رشاد .. وتهدئة المسلمين داخل حدود الامبراطورية البريطانية وخارجها ، وضمان ولاء عرب العراق والشام وضمان معاونة القبائل التى تعيش على جانبى القوات البريطانية فى العراق وسيناء .. لأن اتخاذ أى موقف عدائى من جانب هذه القبائل سيعتبر عائقا شديد الخطورة على وجودهم بل وخطر يهدد مواصلاتهم فى تلك المنطقة ووجودهم فى الهند ..

* أما النقطة الثانية فهو أن الانجليز كهدف بعيد كانوا يريدون اقامة دولة أو مجموعة من الدول العربية على أنقاض الامبراطورية التركية المريضة بشرط أن تكون هذه الدول تحت السيطرة البريطانية لخدمة مصالحها فى المنطقة ولتأمين خطوط مواصلاتها مع الهند ..

* يقول عزيز المصرى :

— فى عام ١٩١٦ طلب جمال باشا الوالى التركى لبلاد الشام من الشريف حسين باسم حكومة الأستانة تأليف كتائب من المتطوعين الحجازيين للاشتراك فى الحملة التركية الثانية ـ بعد فشل الحملة الأولى عام ١٩١٥ ـ على مصر .. وطلب الشريف حسين امداده بالسلاح .. وفعلا أمده جمال باشا بعشرين ألف بندقية ومبلغ من المال

وصل مقداره عشرون ألف ليرة ذهبية ، وفعلا أرسل الشريف ابنه الأمير فيصل ومعه خمسون فارسا كطلائع للقوة التى طلبها جمال باشا .. وقد نزل الأمير فيصل فى ضيافة آل البكرى فى « قابون » .. وهناك كانت الفرصة مناسبة تماما حتى يتصل الأمير فيصل ببعض القيادات العربية لدراسة وبحث القيام بالثورة العربية ..

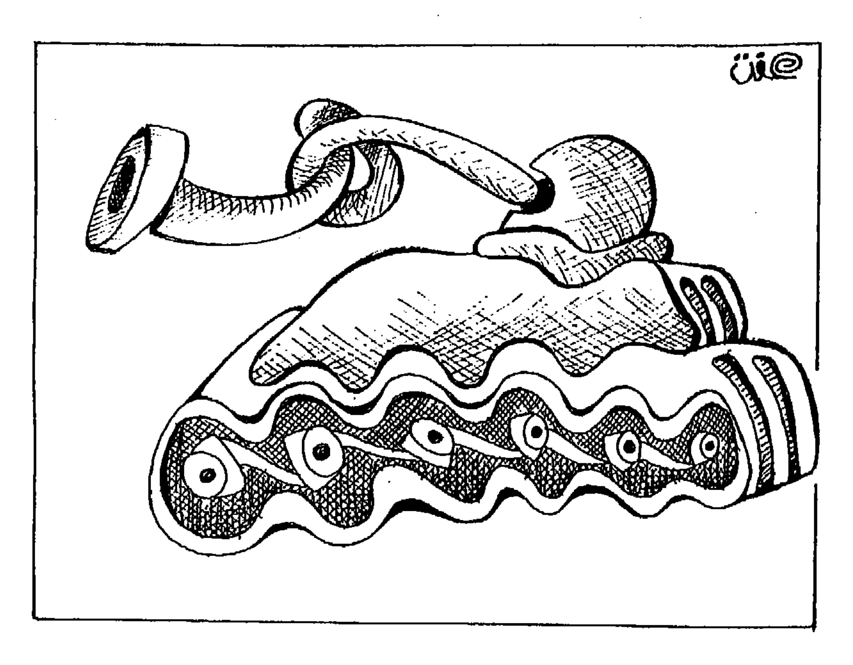
وتداعت الأحداث بسرعة شديدة .. عندما ذهب الأمير فيصل إلى دمشق لم يجد القيادات العربية العسكرية التى كانت موجودة فى الجيش العثمانى .. وجد بدلا منها قيادات تركية .. ثم وجد الكثير من المدنيين قد تم نفيهم .. وصاحب ذلك سياسة إرهابية لجمال باشا ترتب عليها إعدام مجموعات من الوطنيين السوريين على مرحلتين ..

وكانت هناك رسالة عاجلة أرسلها جمال باشا إلى شريف مكة .. ومؤدى هذه الرسالة أن هناك قوة تركية قوامها أكثر من ثلاثة آلاف جندى وضابط تحت قيادة خيرى بك سوف تتجه إلى اليمن عبر الحجاز ومهمتها معاونة البعثة الألمانية التى كان يقودها القاد الألمانى ستونزيخن .. هذه القوة التركية المسلحة لم ترض شريف مكة .. وتمت موافقة الانجليز على وجودها واتجاهها إلى اليمن ..

ورد شريف مكة أنه لن يستطيع ارسال قوات للمعاونة فى الحملة التركية على مصر بعد أن طلب رجوع ابنه الأمير فيصل إلى مكة .. وبدأت مرحلة جديدة فى سياسات شريف مكة لاعلان الثورة العربية ..



الفصـل الثـانى



« الجيش العربى كان يفتقد الخطة والسلاح »

* الثورة العربية عزلت القوات التركية لخدمة الانجليز .
* خطط لورنس الاستعمارية اضاعت الدور الحقيقى للجيش العربى .
* ما هى الخريطة التى أعطاها ستورز إلى عزيز المصرى ؟
* كان جعفر العسكرى مساعدى الأول ونورى السعيد الثانى .
* اعطانا الانجليز المدافع القديمة وتدخلوا فى تنفيذ خططنا .
* كانت لحظات الوداع مريرة وآمالى تغوص فى الرمال .

أعلنت الثورة العربية الكبرى ..

وعند صباح الخامس من يونيو عام ١٩١٦ أعلن الأميران على وفيصل نجلا الشريف حسين استقلال العرب عن الحكم التركى .. وفى العاشر من نفس الشهر أى بعد مرور خمسة أيام أعلنت الثورة فى مكة المكرمة .. واستسلمت جميع المواقع الدفاعية التركية فيما عدا تكنات منطقة « جياد » فقد استطاعت المقاومة لعدة أسابيع ولكنها سقطت بعد ذلك .. وعلى الفور عهد إلى « ريجنلد ونجت » مهمة القيادة العامة للعمليات العسكرية فى الحجاز .. ويمكن القول أنه لعب دورا كبيرا فى هذه الثورة باعتباره المسئول العسكرى والسياسى عنها .. وكان أيضا يشغل منصب القيادة العامة للجيش المصرى .. كانت عليه أعباء امداد الثورة بما تحتاج إليه من رجال وسلاح ومؤن وأموال خاصة وأنها كانت تفتقر إلى السلاح والمدفعية والرجال والأغذية .. كانت خطة « ونجت » أن الثورة لا يجب أن تتعدى الأماكن المقدسة وما حولها فقط .. وحدث أن عُين « ونجت » مندوبا ساميا لبريطانيا فى القاهرة .. وبذلك أمسك بيد من حديد بالسلطة فى مصر .. وبدأ يشرف على الثورة العربية من خلال رجاله الذين كانوا يعلمون ويعرفون المناطق الحجازية تمام المعرفة .

وقد استعان ونجت بعدد من الرجال لمساعدته سواء من المكتب العربى فى القاهرة ، أو من القاعدة العسكرية فى بورسودان حيث وحدات من الأسطول الانجليزى وقد كان الكولونيل « ولسن » هو حاكم مديرية البحر الأحمر .. وقد انتقل ولسن إلى جدة فى السابع والعشرين من يونيو ١٩١٦ ومعه قوة مكونة من ثلاثمائة وعشرين جنديا معها بعض المدافع والبنادق بقيادة اللواء المصرى السيد بك على . وفى

المكتب العربى اختار ونجت بخلاف هوجارت وكلايتون ولورنس اثنين من القيادات الانجليزية فى السودان وهما : كورتواليس وسميس وبعض قطع الأسطول بقيادة الأميرال روسلين .

* يقول عزيز المصرى :

— فى المرحلة الأولى من الثورة العربية دارت معارك كثيرة .. وهزت الحاميات التركية فى الطائف وجياد ومكة .. وساعد الأسطول الانجليزى فى قصف مدينة جدة .. وسقطت منطقة رابغ وينبع .. ولم تسقط المدينة المنورة لأنه كانت بها حامية تركية قوية بخلاف القوة العسكرية التركية والتى كان قوامها حوالى ثلاثة آلاف جندى بقيادة خيرى بك .. وقد طلب الشريف حسين من الانجليز امدادات وأسلحة لحصار المدينة لاسقاطها واحتلالها وطرد الأتراك .. وقد أراد ونجت الا يتورط بقوات أجنبية وعقد العزم على أن تكون الامدادات ببعض القوات المصرية والهندية وبعض الضباط من السودان .. علاوة على البعثة الفرنسية بقيادة الكولونيل بريمون التى كانت تضم ضباطا وجنودا من المسلمين الجزائريين يؤيد ذلك كله الأسطول الانجليزى وعدد من الطائرات البريطانية .

ولكن لورنس جاء وهدم هذه الخطة بعد أن أقنع ونجت أن الكولونيل الفرنسى بريمون لا يجب أن يشترك فى أى معركة لأن له أهدافا خاصة .. منها وعلى قمتها عدم تشجيع العرب فى الاستيلاء على المدينة المنورة ، لأن ذلك الاجراء العسكرى من جانب العرب سوف يقوى الوحدة العربية ، ويدعم مركز الثورة بما يضر بمصالح الحلفاء .. وكان يهدف الى جعل الثورة العربية تستغرق كل وقتها وجهدها فى الحجاز فلا تمد بصرها إلى خارجه وبذلك تصير المناطق التى كانت فرنسا تريدها ـ بعد الحرب ـ وهى سوريا ولبنان فى مأمن من تفكير العرب باحتلالها .. كذلك انتصر رأى لورنس من أن القوات العربية قادرة على مواصلة القتال إذا زودت بالعتاد والرأى والمشورة .. وقد عين لورنس مستشارا حربيا للأمير فيصل ..

وفى السادس من المحرم عام ١٣٣٥ هجرية الموافق ٣٠ أكتوبر

١٩١٦ اجتمع شيوخ القبائل .. ووجوه علماء الحجاز وبايعوا الشريف حسين بن على ملكا على العرب ..

وفى اليوم التالى شكلت أول وزارة عربية برئاسة الأمير على .. وعين الشيخ عبدالله سراج مفتى الأحناف فى مكة قاضيا للقضاة ووكيلا عن رئيس الوكلاء .. وعين الأمير عبدالله بن الحسين وكيلا للخارجية ونائبا عن أخيه الأمير فيصل وكيل الداخلية .. وعين عزيز المصرى ـ أنا ـ رئيسا لأركان الجند ونائبا لرئاسة الجند لأن الأمير فيصل هو القائد العام لجيش الدولة العربية .. وشغل آخرون دوائر المعارف والمنافع العامة والأوقاف والمالية .

ولقد رفضت بريطانيا الاعتراف رسميا بالشريف حسين ملكا على العرب بالرغم من أن المساعى فى القاهرة عن طريق الضابط الفاروقى كانت لدى المسئولين الانجليز والفرنسيين .. من أن لقب ملك لا يشمل مصر والجزائر وتونس ومراكش .. كل ما وافقت عليه كل من بريطانيا وفرنسا هو الاعتراف بالشريف حسين ملكا على الحجاز فقط ..

ونورد هنا حقيقة مهمة جدا .. بأن الثورة العربية قدمت أكبر خدمة فى تاريخ الحرب العالمية الأولى إلى الحلفاء .. إذ أن توقيت اعلان الثورة العربية وطرد الحاميات التركية وحصار المدينة المنورة التى كانت فيها قوة تركية كبيرة أحبطت دور الحملة التركية الألمانية التى كانت متجهة إلى اليمن بقيادة خيرى بك والتى كان فى استطاعتها ـ هذه الحملة ـ تعريض الحلفاء لخطر شديد جدا .. لأنه لو أن هذه الحملة قد نجحت فى خطتها ووصلت إلى اليمن ولحقت بالحامية التركية هناك .. لاستطاعت فى سهولة وفى يسر أن توصد البحر الأحمر فى وجه الحلفاء .. ولاضطرت بريطانيا إلى نقل جزء كبير من عملياتها العسكرية إلى المحيط الهندى .. لو كان ذلك قد تم لتغير وجه نتائج الحرب ضد الانجليز لصالح الأتراك والألمان .

* يقول عزيز المصرى :

ـــ هناك سؤال مهم : ما هو التقييم الاستراتيجى للمرحلة الأولى للثورة العربية ؟ .. ويجيب على نفس السؤال ويقول :

— بالرغم من أن الأعمال الحربية كانت مقصورة على منطقة الحجاز وسقوط منطقة « الوجه » فإن هناك نتائج مهمة حققتها تلك الثورة يمكن تلخيصها فى النتائج التالية :

* أسر حوالى ستة آلاف جندى تركى .

* محاصرة قرابة ١٤ ألف جندى وضابط فى المدينة المنورة .

* الاستيلاء على منطقة الوجه جعل الثورة تشكل تهديدا خطيرا جدا على المواصلات التركية بين المدينة المنورة ودمشق .

* اضطرت تركيا على ابقاء قوة تقدر بحوالى سبعة آلاف جندى آخرين فى منطقة « معان » للمحافظة على المواصلات .

* اعلان الثورة احتجز فى اليمن قرابة ثلاث فرق تركية عاجزة عن أداء أى عمل ايجابى بسبب انقطاع الاتصال عن قواعدها فى بلاد الشام والأستانة .

وهذه النتائج أدت خدمات على جانب كبير من الأهمية ـ على المستوى الاستراتيجى العسكرى ـ لكل من بريطانيا وفرنسا ـ الحلفاء ـ ولا جدال أن الثورة أيضا استطاعت أن تسد طريق البحر الأحمر والمحيط الهندى فى وجه التقدم الألمانى التركى ..

ومن هنا كان القائد العام للقوات الانجليزية فى مصر ينفذ خطته العسكرية فى أمان مطلق لغزو فلسطين .. باعتبار أن جزءا كبيرا من القوات التركية فى المناطق التى سبق الحديث عنها فى قتال مع العرب .. ويحاصرها العرب .. وهى فى مجملها أكبر بكثير من القوات التركية التى سوف تواجهه وذلك معناه أن مهمته ستصبح سهلة ..

وبلغة العسكريين كانت الخدمة التى قدمتها الثورة العربية للحلفاء لا تقدر بمال .. ولا تقدر بأى عطاء يمكن أن تساوى فى القيمة مع تلك الخدمة .. بل أن الانجليز لم يكونوا يتوقعون أنهم سيتوصلون إلى هذه النتائج التى يمكن أن أقول وأعلن أنها غيرت موازين الحرب .. وبالرغم من ذلك رفضوا اعطاء أى وعود بالاستقلال ورفضوا استخدام الطائرات فى ضرب الحاميات التركية خارج منطقة الحجاز .. وأكثر من ذلك كانت بريطانيا تضعف العرب بقوة .. وبلا رحمة وتتفق مع خمسة

من حلفائها على اقتسام الشرق العربى كله .. وتوزيعه أسلابا بينهم .. الأمر الذى يجعلنى أقول أن الأمانى العربية نكسها الانجليز باتفاقية سايكس ـ بيكو ووعد بلفور بانشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين .

وتلك مرحلة من مراحل الصراع بين الانجليز والعرب بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى .. وبعد هذه الحرب مارس الانجليز عن طريق أعوانهم من الحكام العرب أسلوبا جديدا لضرب الأمانى العربية .. وكان للقتال أسلوبا ثالثا له خطته .. وله رجاله فى مصر ..

ونطرح السؤال التالى : كيف سافر عزيز المصرى إلى الحجاز بعد أن وافق على قيادة الجيش العربى للثورة العربية الكبرى ؟

* نترك رواية الوقائع والأسباب والأحداث لعزيز المصرى ، يقول :

— اننى أقرر هنا ولأول مرة أننى وافقت على السفر إلى الحجاز لتولى مسئولية قيادة جيش الملك حسين بن على إلا بناء على سببين رئيسيين :

* الأول : ان رجالات جمعية العهد فى القاهرة بالذات كانت موافقتهم جماعية بضرورة تولى ذلك المنصب لأنه يبلور ما كنا نهدف إليه بخلق دويلات عربية مستقلة وخلق جيش وطنى عربى .

* الثانى : اننى كنت أود من خلال تفكير ذاتى خاص بى ـ كخطة عامة ـ خلق هذا الجيش بأعداد كبيرة من البشر ـ الضباط والجنود ـ وتزويده بأحدث المدافع والمعدات وآلات الحرب .. ثم أخذ مواقع استراتيجية خطيرة داخل الأراضى الحجازية .. ثم مساومة الانجليز على تحقيق المطالب العربية فى خلق دول عربية مستقلة . وقد كان ايمانى بلا حدود فى اننى قادر على انجاز هذه المهمة بواسطة القيادات العسكرية العربية .. واعداد الضباط من جمعية العهد الذين كنت أعلم تماما أنهم سوف يناصرون خطتى بعد اعلانها ويترك من يعمل فى الجيش التركى مكانه وينضم إلى الجيش العربى .

* يقول عزيز المصرى :

— « تلك كانت خطتى » ..

طويتها داخل عقلى .. وفى أعماقى .. وفى قلبى .. وبين جوانحى علنى أستطيع تحقيقها .. لأنه إذا كان قدرى ونصيبى أن أنجح فيها .. فإن ذلك معناه جعل البحر الأحمر بحيرة عربية .. وضرب خطوط المواصلات الانجليزية المؤدية إلى الهند .. وذلك كله معناه افشال كل الخطط العسكرية للحلفاء فى منطقة الشرق الأوسط ..

تلك كانت خطتى .. وتلك أيضا كانت أسبابى ووسيلتى ..

لم يستغرق استعدادى للسفر سوى عدة أيام عندما استقر قرارى على ترك القاهرة إلى الأراضى الحجازية .. وقبل التوجه إلى مدينة السويس عرض المستر كلايتون الانجليزى مبلغ ألفى جنيه كنفقات للسفر والاقامة .. ولكننى رفضت استلام هذا المبلغ وكنت قد دبرت بعض المال وكان لا يزيد على ألف جنيه .. حملت حقائبى وتوجهت إلى السويس وهناك كانت ترسو فى الميناء الباخرة « لاما » التى كانت ستقلنى إلى جدة .. كانت دهشتى بالغة عندما وجدت المستر ستورز السكرتير الشرقى فى دار الحماية البريطانية فى القاهرة .. وسر هذه الدهشة أن كلايتون لم يخبرنى على الاطلاق بأنه سيكون رفيق سفرى .. ولكن الأيام أثبتت أنه كان رسول دار الحماية ليظل إلى جوارى يرصد حركاتى ويسجل تصرفاتى .. ومنذ البداية كان شعورى الخاص - الصادق - أننى مراقب .. بل موضوع تحت المراقبة .. هذا الأمر لم أعره التفاتا فى بادىء الأمر .. ولكنه كان حملا ثقيلا على نفسيتى .. لدرجة أننى أحسست بمشاعر الغريب رغما عن كونى فى بلد ووسط أهلى وأشقائى .

تحركت الباخرة وكنت أقف أتطلع إلى مياه البحر الأحمر .. واستغرقت فى التفكير .. فترة طويلة لم أركب فيها البحر منذ غادرت تركيا عائدا إلى مصر .. وأحداث كثيرة مرت بى وأنا أعيش على هامش الحياة السياسية فى مصر .. ولقد قصدت الابتعاد عنها عن عمد لأننى رجل عسكرى لا أحب أن أقحم نفسى فيما لا أحبه ولا أرغب فيه .. لقد عشت خلال تلك الفترة أرصد أحوال الانجليز ومساوىء حكمهم ..

وأراقب تصرفاتهم على أعرق الشعوب حضارة ـ مصر ـ وهى تستنشق هذا الجو المسموم الذى يتنفسون من خلاله الظلم والاضطهاد .. وتكميم الأفواه .. وما أقسى على النفس أن يتحول الأحرار إلى عبيد .. ويتوه الحق فى الظلام .. ويتحول العدل إلى ضياع كامل للحقوق .. ويكفى أن الجيش المصرى كانت جميع قياداته من الانجليز .. وأن البوليس جميع قواده من الانجليز .. وخير مصر كلها بين أيدى الاحتلال .. ولا أنكر اننى كنت دائما أتخيل الدولة الاسلامية فى ظل الفتوحات أيام الخلفاء الراشدين والدولة الأموية .. كان الحاكم واحدا .. وكان الجيش واحدا .. وكانت القلوب المؤمنة كثيرة .. كثيرة جدا .. وكان الحب يسود الحياة بين المسلم وأخيه المسلم .. وكان الجندى يعلم أن موته استشهاد فى سبيل الله .. وكان السؤال الذى طرحته على نفسى : لماذا نحن الآن ـ المسلمون ـ فى حال سيىء .. وفى مكانة مهينة .. وفى أوضاع العبيد الذين يعملون ويشقون من أجل اسعاد غيرهم من المستعمرين ؟ ..

كان هذا السؤال يدق رأسى .. ويداعب مشاعرى .. ويتشابك مع أفكارى الحائرة .. مع العلم أننا وبين أيدينا القرآن الكريم ودستور الحق والعدل والحب وأيضا الانسانية بشكلها الشمولى الأخاذ الرائع .. ان تاريخنا القديم كله شرف وتشريف للمسلمين .. وأحوالنا الآن فى الحضيض ، كنت أتطلع ببصرى على امتداد الأفق ومياه البحر تحيط بنا جميعا من كل جانب .. وهبت نسمة خفيفة رطبت جسدى الثائر وأعصابى المشدودة .. وتطلعت إلى السماء أناجى ربى الواحد الأحد القهار أسأله الرحمة بالعباد .. وأن نرسو نحن المسلمين على بر الأمان والحرية .. وسألت نفسى :

— هل نحن نجنى ثمار العبث بالدين الاسلامى ؟ .. هل نحن تركنا الله إلى الدنيا .. فنسينا الله سبحانه وتعالى ؟ وأفقت على يد تهزنى برفق وتلفت خلفى .. كان مستر ستورز يقف أمامى .. دعانى إلى كوب شاى .. وافقت واتجهنا معا إلى داخل الباخرة واخترنا ركنا فى أحد الصالونات ..

جلست مع « ستورز » .. وكان سؤالى الأول :
— لماذا لم تخبرنى انت أو مستر كلايتون أنك ستكون فى صبحتى طوال الرحلة ؟ .. وقال وابتسامة خبيثة تطل من بين شفتيه :
— لقد جاء قرار سفرى مفاجأة لى .. لم أعلم به إلا منذ ٢٤ ساعة فقط لدرجة اننى لم استطع ان اجمع ما احتاجه إلى هذه الرحلة ..
وقلت له : هذا رد دبلوماسى .. وحجة لا أستطيع أن أجد لها مكانا داخل عقلى .
وقال وهو يضع ساقا فوق أخرى : صدقنى .. تلك هى الحقيقة .
وقلت له وانا ابتسم : مشكلتى اننى لا استطيع أن اصدقك .. وتلك هى حقيقتى معك .
وجاء شاب نحيف الجسم .. ناصع البياض .. يبدو لأول وهلة أنه هادىء ودمث .. وعندنا أقترب أكثر تذكرته .. ولكن اسمه كان قد ضاع من عقلى .. ووقف مستر ستورز ونادى عليه .. وقدمنا لبعضنا وهو يقول :
— جنرال عزيز المصرى قائد الجيش العربى .. واشار بيده تجاهى ثم اشار إلى الشاب وهو يقول :
— كابتن لورانس .. وأعتقد أنكما سوف تتقابلان كثيرا بعد الآن .. واعتقد انكما تقابلتما مرة واحدة فى القاهرة .. وواصل حديثه قائلا :
— ان لورانس يعرف عنك الكثير يا جنرال عزيز .. وهو معجب بك ويقدر تاريخك العسكرى عندما كنت بالجيش العثمانى .. وابتسم وهو يقول ايضا :
— لا تنس أن نشاطك السرى يعلمه جيدا .. خاصة جمعية العهد التى تقوم برئاستها .. اقصد التى كنت تقوم برئاستها ..
وقلت له فى حماس شديد :
— أعتقد انه لا يعرف عنى اى شىء يا مستر ستورز .. لأننى مازلت رئيسا لجمعية العهد .. أيضا أنا لم أكن موافقا على حضورى وتسلم قيادة الجيش العربى .. ولكن أعضاء جمعية العهد وافقوا ..

ونزولا على رغبة الأغلبية وافقت تماما كما يحدث فى البرلمان فى بلدكم .

* وابتسم لورنس وقال فى هدوء :

— هذه الجزئية لم أكن أعرفها .. وكل ما عندى أنك قائد شجاع إلى أقصى حد .. وقائد محنك قادر على العطاء وتطبيق أحدث العلوم العسكرية فى عملك .. أقول لك أنك كنت رائعا فى حربك ضد البلغار .. وذا رأى صائب فى تعاملك مع امام اليمن .. وقائدا بارعا احتارت فيه القيادات الايطالية فى ليبيا .. والأمل عليك أن تخلق الجيش العربى .

قلت له : للأسف لا أعلم عنك الكثير .. ولكن بما أن الأمير فيصل قد اختارك مستشارا له .. فذلك أمر يجب أن نتدبره معا على ظهر هذا المركب قبل أن ننزل إلى السعودية على أرض مدينة جدة .. انني بطبعى لا أعرف أنصاف الحلول .. ولا أقبل سلطة ترشدنى إلى عملى وأداء واجبى .

وقال فى هدوء وبكلمات ثابتة :

— لقد علمتنى الصحراء أن أكون صابرا وصبورا إلى درجة عالية جدا وهذه الصحراء جزء مهم فى بلادكم .. أن معظم بلادكم فيها مساحات من الصحراء .

وقلت له :

— ان الصحراء لا تعلمنا الصبر فقط .. ولكننا تعلمنا منها الأخلاق .. أن تكون لدينا أخلاق .. تعلمنا منها الرحمة على الضعيف .. أن نكون لدينا شفقة .. تعلمنا منها الحب .. أن نعطى بلا مقابل .. تعلمنا منها كيف التضحية .. تعلمنا منها أن نعرف الله .. أن نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حمل رسالته بما أنزل عليه من القرآن الكريم .. وهذه الصحراء دربتنا على فتح البلدان للاسلام حتى وصلنا حدود فرنسا وطرقنا أبواب الصين .. تلك هى الصحراء التى أعرفها ؟

وضحك لورانس وقال :

— لقد انتصرت أيها القائد الكبير .. لقد انتصرت يا جنرال عزيز .

* ويقول عزيز المصرى :

— والحق اننى انتصرت .. لأننى بطبعى لا أحب الهزيمة .. ولقد عرفت فيما بعد حكاية لورانس .. عرفت قصته طوال مشوارى فى بلاد الحجاز .. وكيف اختلفت معه .. وكيف دس لى عند الشريف حسين - الملك حسين - وابنه الأمير فيصل .. لدرجة أنه لوح لى فى احدى المرات عندما اختلفت معه أن التفاهم بيننا أصبح مستحيلا ، ولا أنكر اننى عرفت عنه بعد ذلك الكثير .. وكيف خدع الملك حسين والأمير فيصل بعد أن تخلى عنهما وكان نصيب فرنسا سوريا ولبنان وبعد انتهاء الحرب وكان هناك وعد بأن تكون من نصيب الأمير فيصل .

* يقول عزيز المصرى :

— ان الدور الرئيس للورانس فى ثورة العرب لم يكن دور القائد العسكرى بقدر ما كان فى الأصل دور العميل السياسى الذى ألحق بالعمل مع الأمير فيصل للتأثير عليه وضمان نجاح الخطة الانجليزية .. ان لورانس لم يكن يهمه أبدا أمر العرب فى شىء .. والمودة التى قيل أنه كان يكنها للعرب غير صحيحة .. انه لم يكرس نفسه لانشاء أمة عربية موحدة الكلمة .. لأنه كان يؤمن تماما أن مصلحة بريطانيا تقتضى بابقاء الشرق الأوسط منقسما على ذاته ونفسه .. وهو لم يكن يخدم مصلحة تحرير العرب وحصولهم على الاستقلال .. انما كان يهدف إلى ضم جميع البلاد العربية الى بلده .. ولقد اعترف فى أواخر حياته وقبل وفاته فى عام ١٩٣٥ بالكارثة التى ألحقها بالأمانى العربية ..

ان لورانس لم يعط العرب أى شىء ولكنه عمل على تفكيك الرابطة الاسلامية .. وشجع على انقسام البلاد العربية وتقسيمها إلى دويلات يخاف بعضها من بعض .. ويحقد بعضها على بعض .. ولا يثق طرف فى آخر .. وهو الذى قال : ان ثورة العرب كانت أداتنا الرئيسية للانتصار فى الشرق .. أيضا فإن الثورة العربية الكبرى قللت من تكاليف الحرب على بريطانيا فى جبهتها الشرقية خلال الحرب العالمية الأولى .

* يقول عزيز المصرى :

ـــ لم أكن أعلم وأنا فوق الباخرة ـ علمت فيما بعد ـ اننى ولورانس ورونالد ستورز المستشار الشرقى فى دار الحماية البريطانية أساس الخطة الانجليزية التى وضعت فى القاهرة من أجل تقديم بحث أو خطة أو تقرير عما يمكن أن تقدمه بريطانيا للثورة لضمان استمرارها ، وهذا الدور لم يكن لى فيه أى خيار ، ولو كنت أعلم وقتها هذا الدور لرفضته على الفور .. ولكننى اكتشفت ذلك وأنا عائد على مركب آخر من جدة إلى القاهرة رافضا التعاون مع الملك حسين ونجله الأمير فيصل فى انشاء الجيش العربى المزعوم .

ونعود مرة أخرى إلى ظهر السفينة أو الباخرة « لاما » ..

ونعود من جديد إلى الجلسة التى ضمت عزيز المصرى ورونالد ستورز ولورانس .

* يقول عزيز المصرى :

ـــ كان من الواضح أن هناك نوعا من الصراع بينى وبين لورانس .. وكان لابد من الاشتباك أن تقطع أوصاله .. وتعود المياه طبيعية إلى مجاريها .. وعلى الفور تدخل ستورز فى الحديث ودعانا إلى الغداء .. وهكذا ساد الهدوء بيننا جميعا حتى انتهينا من تناول الطعام .. بعدها اجتمعنا لنجلس متجاورين على ظهر الباخرة .. وقال لورانس :

ـــ ان لدى كشفا بالحاميات التركية الموجودة فى الأراضى الحجازية .. ان أكبرها وأقواها تلك الموجودة فى المدينة المنورة .. والحاميات داخل مكة وحولها تم تصفيتها تماما .. وقطع حديثه واستأذن لفترة قصيرة... وعندما عاد من جديد كان يحمل فى يده خريطة كاملة للجزائر العربية والبحر الأحمر .. قال لى :

ـــ هذه الخريطة سوف تفيدك كثيرا لأنها تبين الموقف العربى للثورة ..

وابتسمت .. وتحولت بسمتى إلى ضحكة خافتة .. واستأذنت لفترة قصيرة لأذهب إلى حجرتى .. وبعد عودتى لألحق بهم من جديد قلت للورانس وأنا أرفع بين يديه خريطة أخرى قلت له :

— هذه الخريطة سوف تفيدك أكثر من خريطتك .. وفى الحقيقة أن الخريطة التى قدمتها له كانت تحوى المزيد من التفاصيل عن الطرق والوديان ومراكز الحاميات التركية شمال العقبة وعلى طول الطريق والطرق والدروب داخل الجزيرة العربية حتى بلاد اليمن .. والحق اننى كنت أملك العديد من الخرائط حول هذه المنطقة عندما كانت ضمن الحملة التركية .. إلى بلاد اليمن .. بالاضافة إلى اننى حصلت على مزيد من المعلومات من نورى السعيد الذى كان قد سبقنى إلى جدة .. ومن محمد شريف الفاروقى الذى كان ضابط الاتصال للملك حسين ونجله الأمير فيصل فى القاهرة ..

* يقول عزيز المصرى :

— بواسطة حاستى السادسة أيقنت تماما أن لورانس لابد أن يكون له أسلوب مخالف تماما لما أبداه نحوى حتى الآن .. وهذا ما حدث تماما .. بعد أن أمسك بالخريطة ودس أنفه وعينيه بين رسومها وخطوطها رفع رأسه وقال :

— اننى لا أحب الهدنة .. ولكننى أطلبها منك تجاهى .. نحوى .. ويبدو أنك ستحقق هدفك فى أنك لا تحب رأيا فوق رأيك فى أمورى العسكرية ولا تريد سلطة فوق سلطتك ، ولذلك أطلب تغيير دفة الحديث .

وقال ستورز :

— هذا أفضل بكثير .

قلت :

— أى حديث تفضلون ؟

قال لورانس : ان التراث الاسلامى فى بلادكم كثير .. ضخم .. عظيم شاهدت الكثير منه فى العراق ومصر .. وفى مصر شاهدت الآثار القديمة .. آثار الفراعنة ..

قلت : ان شعوبنا عريقة وعظيمة .. بل ان حضاراتنا سبقت حضارتكم بآلاف السنين .. وباستقراء التاريخ وأنت تعلم الكثير منه وعنه .. ستعلم تماما .. بل أنت تعلم عن يقين أننا ونحن فى قمة

حضارتنا كنتم شعبا بدائيا .. لقد سبقناكم ولو تحقق النصر لموسى بن نصير ودخل فرنسا .. لاشك كنا سوف نصل إليكم .. لا لاستعماركم ولكن لهدايتكم .

وتدخل ستورز فى الحديث .. ونهض واقفا واستأذن فى الانصراف للراحة فى حجرته .. وأيضا قام لورانس وغادر المكان وهو يلوح لى بيده .. وتوارى عن الأنظار .. ولبثت وحدى .

والحق أقول أننى كنت سعيدا جدا فى كل كلمة تفوهت بها طوال جلستى معهما .. شعرت بالارتياح .. بالهدوء والسكينة تستقر فى أعماقى .. ومرة أخرى جلست فوق الكرسى الذى كنت قد اخترته لجلوسى معهما قبل انصرافهما .. وتاه عقلى فى رحلتى .. فى مهمتى التى لم أكن راضيا عنها مائة فى المائة .. تأملت أبعادها ، ودققت فى تفاصيلها .. وطرحت على نفسى عدة أسئلة :

هل سيكتب لى النجاح ؟ هل سأجد العون الكامل من الملك حسين ونجله الأمير فيصل ؟ ما هو عدد الجنود ؟ ما هى نوعياتهم ؟ ما هى امكانياتهم ؟ ما هى أعمارهم ؟ ما هو حسن استعدادهم ؟ .. والسلاح ... ما هو نوعه ؟ ما هو حجمه ؟ هل هناك مدفعية ؟ هل الجنود مدربون على استخدام السلاح ؟ .. أيضا أن أى جيش ليس رجالا ومعدات ولكن الامدادات والتموين لهما دور مهم .. كيف سيتحقق ذلك ؟ وكيف سنحقق هذه المهمة ؟ اننى طوال عمر مشوارى العسكرى فى الجيش التركى لم أجد الجندى التركى المثالى .. وبمعنى آخر كانت الجندية التركية غير كاملة .. غير ناضجة وتحتاج دائما إلى التدريب الشاق .. وإذا تم التدريب الشاق كان ينقصهم الهدف والايمان بهذا الهدف .

وزاد تساؤلى : يا ترى ما هى نوعية الجند الذين سوف يحملون لواء هذه الثورة العربية الكبرى ؟ .. وتركت همومى حول هذه الأسئلة التى لم أجد أى جواب على أى واحد منها على الاطلاق .. وكانت همومى بحق بلا حدود وعلى قمتها جميعا خوفى من الفشل .

كانت الباخرة تشق الماء فى خطين يتباعدان خلفهما أمواج تتكسر

عندما تتصادم مع أمواج البحر التى كانت تحتويها فى هدوء أحيانا وفى صخب فى أحيان أخرى كان الليل يرخى سدوله على الباخرة .. وتحولت نسمات الهواء إلى برودة جعلتنى أترك المكان متجها إلى غرفتى .. وعندما أغلقت بابها شعرت بمزيد من الارتياح وتنفست فى عمق شديد وكانت تلك عادتى عندما يضيق صدرى .. وقرأت الفاتحة وكانت تلك عادتى عندما يتسرب القلق إلى أعماقى .. ودعوت الله التوفيق والنجاح وكان ذلك أملى فى الله سبحانه وتعالى .. وأغمضت عينى وأنا أتمدد على السرير ورحت أتذكر خطوة .. خطوة خطتى الشاملة التى سوف أبدأ بها عملى فى الأراضى الحجازية ..

رست الباخرة « لاما » فى ميناء جدة .. وعندما هدأت أصوات ماكيناتها وتوقفت عن الحركة .. كانت المفاجأة التى لم يتوقعها عزيز المصرى .. كان فى استقباله طابور شرف عسكرى أدى التحية العسكرية كأحسن ما تكون التحية .. وتعالت الهتافات بحياته وانطلقت من عشرات البنادق طلقات الرصاص احتفالا بمقدمه ..

قال عزيز المصرى :

لم اكن اتوقع هذا الاستقبال على الاطلاق .. وكانت بادرة طيبة اثلجت صدرى ، وقد علمت فيما بعد أن الذى دبر لى هذه المفاجأة جعفر العسكرى من أخلص القيادات العسكرية إلى قلبى .. كان جعفر فى مقدمة المستقبلين ، وضمنى إلى صدره بشدة .. وكان احساسى الدائم نحوه أنه رجل صادق شريف ومقاتل جرىء .. وكان قرارى وأنا فوق سطح السفينة أن يكون جعفر هو ساعدى الأيمن ، ومساعدى الأول .. وفعلا كان ذلك هو قرارى الأول .

أما القرار الثانى الذى وجدتنى مضطرا إلى اتخاذه فهو تعيين نورى السعيد مساعدا ثانيا .. ولقد ندمت على ذلك بعد ان استقر فى عقلى تماما الدور الذى كان يلعبه معى هو ولورانس .. وهو ما نطلق عليه « الرجل ذو الوجهين » .. لقد كان عين الانجليز فى معسكرى وهذا ما اسفت له تماما علما بأن مظهره وحماسه أيام كنا فى استانبول وبعد تأليف جمعية العهد كان بخلاف تصرفاته التى فضحت سلوكياته .

لقد شعرت ببعض الأسى لأننى لم أجد أحدا من أنجال الملك حسين فى انتظارى » ولقد طرحت هذا السؤال أو هذا التساؤل على جعفر العسكرى ، ولكنه طلب منى الا اعير الامر أى أهمية لأن أمامنا مهمة كبرى أكبر من ان نضيعها فى أمور هامشية .. ووافقته على رأيه ولكننى قلت له فى أسى شديد :

— أخشى الغد يا صديقى .. لأن الأمور غير واضحة تماما خاصة بعد ما تقابلت مع ستورز لورانس على ظهر السفينة .

وخلال اسبوع كامل وبعد زيارتى للمعسكر اكتشفت حقائق مريرة .. ليست هناك خطة عامة شاملة لأهداف الجيش .. ليس هناك أى ترابط بين مجموعات الفصائل الموجودة .. هناك فوضى عامة ومعنى ذلك أنه ليس هناك ضبط أو ربط بين القوات التى كانت أعدادها لا تزيد عن ألفين من الجنود من نوعيات مختلفة .. كانوا خليطا من البدو ومن سكان بعض المدن الحجازية وكان هناك بعض اليمنيين ومجموعات قليلة من السوريين .. وطلبت من جعفر العسكرى ونورى السعيد اصطحابى إلى باقى المعسكرات الأخرى فى مكة المكرمة « ورابغ » وقضيت قرابة اسبوعين فى هذه الجولة وما كان فى جدة كان فى باقى المعسكرات .. وكان معنى ذلك أننى لابد أن أبدأ من الصفر .. لم يدب اليأس الى قلبى خاصة عندما اكتشفت النقص الكبير فى أنواع مدافع الميدان والعربات .. وقابلتنى مشكلة امداد القوات بالمؤن الغذائية .

وهذه المشكلة بالذات كانت محور حديثى مع الأمير فيصل الذى التقيت به فى مكة المكرمة وشرحت له وجهة نظرى كاملة ، وقدمت له كشفا كاملا بكل ما أحتاجه حتى يمكن تكوين ثلاثة ألوية كاملة الاعداد والتجهيز .. واندهشت حينما قال لى الأمير فيصل :

— ان لورانس وعده بمزيد من المدافع والبنادق وهى فى طريقها إلى جدة خلال عشرة أيام .. أما بخصوص المواد الغذائية فاعترف معك أنها مشكلة ، وانني أعد بالحل المناسب فى وقت قريب .

* يقول عزيز المصرى :

— هذه البداية مع الأمير فيصل جعلتنى أشعر بالاحباط .. وبالرغم من ذلك قدمت له كشفا بما أريد ، وأكدت عليه ضرورة توافرها .: ولكن بقى فى جانب من تفكيرى لغة الحديث من الأمير فيصل حول لورانس التى كانت الشواهد تشير إلى أنه أكثر من ساعده الأيمن وأكثر من مستشار خاص له .. وطرحت ذلك جانبا .. وقررت أن يكون معسكرى الرئيسى فى منطقة « رابغ » جنوب غرب المدينة المنورة على ساحل البحر الأحمر « جنوب ينبع » وهى تقابل حلايب من الأراضى المصرية غرب البحر الأحمر .

ذهبت إلى منطقة « رابغ » وتوسعت كثيرا فى المعسكر الموجود هناك وكانت بحق مهمة صعبة أن تحول شباب القبائل إلى جنود مدربين .. فى بداية الأمر وجدت الأمر صعبا على هذا الشباب .. كيف يتحلل من زيه ويرتدى زيا آخر يساعده على الحركة وتنفيذ المهام المنوطة بهم .. كنت أجلس إلى هؤلاء الشباب فى مجموعات وكنت أقضى بينهم أمسيات طويلة أحدثهم عن الأمل المعقود عليهم فى احياء وانشاء جيش عربى يذود عن البلاد العربية .. ويكون درعا واقية لأمانيها .. وفى الصباح كنت أتحرك بينهم وأجرى وسطهم .. وأمارس معهم جميع تمرينات اللياقة البدنية ، دربنا العشرات على قيادة السيارات .. دربنا المئات على استخدام واستعمال مدافع الميدان .. واجادة التصويب على الأهداف .. وشيئا فشيئا وبالتدريج بدأت روح الانضباط تسود بينهم .. ولم يمض شهر ونصف الشهر حتى كان جاهزا للعمل الميدانى قرابة أربعة أفواج من المشاه وكل فوج يصل عدده إلى ٥٠٠ جندى .. وفوج خامس من حملة الرشاشات .. وبطاريتان للمدفعية ..

كنت قد غادرت السويس فى أوائل شهر سبتمبر عام ١٩١٦ .. واستمر مقامى وعملى حتى أواخر أكتوبر وطلبت عقد اجتماع عاجل مع الشريف حسين .. وجاء الرد بضرورة السفر إلى مكة المكرمة .. وصلت مكة المكرمة فى التاسع والعشرين من شهر اكتوبر .. وبمجرد وصولى دعيت إلى حفل تنصيب الشريف حسين ملكا على العرب .. وكان ذلك فى ٣٠ اكتوبر عام ١٩١٦ .. وفى قرار التشكيل للحكومة كان تعيينى قائدا

للجيش العربى تحت مسمى رئيس الأركان ونائبا للأمير فيصل الذى كان القائد العام .. ولقد كانت ليلة لا تنسى فقد أطلقت الأعيرة النارية .. واقيمت عروض عسكرية من شباب القبائل .. وكانت فرحة الشريف حسين لا توصف .. ولقد جمعنا فى مساء اليوم التالى وأبدى حماسا منقطع النظير فى بث الهمة والعمل لانشاء الجيش العربى .. وكانت مناسبة أن اختليت به مع الأمير فيصل وعرضت عليه الموقف العسكرى المتدنى .. فقد كنت فى حاجة شديدة إلى أعداد كبيرة من المدافع والرشاشات وعربات نقل الجنود وطلبت استبدال البنادق المستخدمة بأخرى أكثر حداثة .. كما طالبت بزى موحد للجنود .. وطلبت منه الانفاق على شكل ونوع الرتب للضباط وصف الضباط .

تركز حديث الشريف حسين على أن الانجليز وعدوه بكميات كبيرة من كافة أنواع السلاح .. وقلت له :

— لقد تحدثت مع الأمير فيصل بخصوص السلاح منذ أكثر من شهر .. وكان رده أن لورانس وعده بالسلاح فى مدى عشرة أيام .. وقد مرت هذه الأيام وها نحن الآن قد مضى علينا أكثر من شهر دون أن تصلنا بندقية واحدة ..

وقال الشريف حسين فى تبرم شديد : حتى الآن لا نملك سوى أن نصدق وعود الانجليز .. لأنه ليس أمامنا سواهم فى الحصول على السلاح .. بل انهم المصدر الوحيد الذى لا نعرف سواه .

* يقول عزيز المصرى :

— لقد انشغل الشريف حسين بن على بعد ذلك بمفاوضات مباشرة مع الانجليز أحيانا .. وأحيانا أخرى فى مفاوضات غير مباشرة .. كان مضمونها أن الانجليز يرفضون الاعتراف به ملكا على العرب .. وقد انضم الفرنسيون إلى جانب الانجليز حول هذا الموضوع .. بل ان الاثنين أقاما سدا منيعا أمامه حتى لا يحقق لنفسه هذا الأمل .. ولقد كان الصد الانجليزى الفرنسى المشترك سببا فى ضيقه وتبرمه ، وعرفت فيما بعد أن الضابط الفاروقى بذل الكثير من الجهد فى سبيل اقناع الانجليز بالاعتراف به ملكا على العرب .. ولكن للأسف باءت جميع

المحاولات بالفشل .. وأخيرا كان الاعتراف به ملكا على الحجاز فقط .

* يقول عزيز المصرى :

— كان حلمى انشاء جيش عربى قوى عن طريقه يمكن مفاوضات الانجليز لتحقيق الأمانى القومية العربية .. ولكن هذا الحلم اصطدم بالواقع المرير الذى يريده الانجليز . ولقد فاتحت جميع القواد العسكريين بالمأساة الكبرى التى تسبق وتسابق أحلامنا جميعا .. ولقد فاتحت الأمير فيصل بصراحة تامة ..اوأكدت له أن الثقة التامة فى الانجليز .. وفى لورانس بالذات فى غير محلها .. وقلت له أيضا : أننى أشعر حتى فى خيمتى أننى لست وحدى أحس بعيون الانجليز داخلها .. بل وفى كل مكان .

وبعد مرور ثلاثة أشهر .. كان قرار عزيز المصرى رفض منصب قائد الجيش العربى .. وكان قرارا بلا رجعة .. وبلا أى مساحة فى رأسه تسمح بالتراجع مهما كانت الأسباب ..

يقول عزيز المصرى : بشكل عام كان احساسى منذ البداية عدم الثقة بالانجليز وأرجو من الشباب العربى فى كل بلد عربى ألا يثقوا فى أى وعد .. من أى أجنبى إذا كانت له على أى بلد عربى نوع من أنواع السيطرة .. لا أقول السيطرة العسكرية وحدها .. ولكن السيطرة فى جميع المجالات .. فى الشئون الفنية ، الاقتصادية الاعلامية ، التجارية ، الزراعية .. حتى ولو كان دقيق القمح الذى يصنع رغيف الخبز ، حتى ولو كانت السيارة التى تصنع الرفاهية ..

وفى اعتقادى أننا بشكل أو بآخر سنكون تحت السيطرة الأجنبية مادمنا متفرقين .. مادمنا نتقاتل .. نقاتل بعضنا بالسلاح والكلمات .. لقد نجح الانجليز فى ذلك تماما أثناء الحرب العالمية الأولى .. جعلوا العرب يقاتلون الأتراك .. وفتحت لهم أبواب سوريا على مصراعيها وكذلك أبواب فلسطين التى سلموها لقمة سائغة لليهود الذين أقاموا دولتهم عليها ..

* يقول عزيز المصرى :

— منذ الوهلة الأولى .. تم اجتماع على ظهر الباخرة « لاما » مع

ستورز ولورانس أيقنت تماما أن حكاية الجيش العربى لعبة انجليزية ونحن مجرد دمى تتحرك بخيوط يمسكون نهايتها من أعلى .. ولقد ناقشت هذا الأمر بينى وبين نفسى عشرات المرات .. ولقد تأكد لى ذلك أكثر عندما وجدت تعلق الشريف حسين وجميع أنجاله بالانجليز .. وان شئنا الدقة بوعود الانجليز .. واذا كان الشخص بطبعه كاذبا ومخادعا .. فأى وعد صادر منه .. أو يصدر عنه يكون غير حقيقى .. يكون كذبا فى كذب .. وخداعا فى خداع ..

ان البداية تفرض على القول اننى عندما انشأت جميعة العهد السرية بين الضباط العرب فى الجيش العثمانى .. كان القسم أن نضحى بحياتنا من أجل تحقيق أهداف هذه الجمعية .. التى كانت تتلخص فى السعى بكافة الطرق والوسائل فى الحصول على الاستقلال الداخلى للبلاد العربية على أن تظل متحدة مع الأستانة أو حكومتها اتحادا يشبه اتحاد النمسا مع المجر .. بمعنى أن يكون للعرب كيان سياسى .. بمعنى الاستقلال الداخلى للبلاد العربية فى كل شىء .. نظام الحكم والبرلمان والحكومة ولكن فى شكل اتحاد مع حكومة الأستانة ..

وكانت الدعوة للثورة أمرا ضروريا .. بمعنى أننا كنا نسعى فى كل بلدة إلى العمل الثورى الداخلى لاشعال ثورة نجبر فيها الأتراك على قبول مبادئنا بقوة السلاح .. لأن أسلوب التتريك والاتجاه إليه عمل أضر كل ما هو غير تركى .. وأذكر اننى فى البداية تفاوضت مع زعماء القوميات المختلفة التى كانت تحت الاحتلال العثمانى بأن يحصلوا على الاستقلال الداخلى وتكون السلطة السياسية العليا فى الأستانة ولكن الانجليز بثوا نعرة القومية فى تلك الشعوب وقاوموها تماما بالنسبة للعرب .

* يقول عزيز المصرى :

— كنت المصرى الوحيد فى جميعة العهد .. وبخلاف ذلك كان هناك عراقيون وسوريون .. وأقول أيضا أن الأمير فيصل نجل الملك حسين كان عضوا بجمعية العهد .. فقد أقسم على الولاء للجمعية ودفع الكثير من المال من أجل الانفاق عليها أقول للذين نادوا وأكدوا اننى عندما

كنت فى بلاد الحجاز أرغب فى الاتصال بالأتراك أن ذلك غير صحيح ولم يحدث على الاطلاق .. لأننى عندما سافرت إلى بلاد الحجاز لقيادة الجيش العربى .. كنت قد كفرت تماما بكل ما هو تركى بعد أن نصب جمال باشا السفاح المشانق للأحرار فى سوريا .. وقام باعدام الكثيرين على قمتهم صديقان عزيزان على نفسى وقلبى وكيانى كله هما : المرحومان الشهيدان سليم الحجازى وأمين لطفى من كبار ضباط الجيش العثمانى ورفيقا السلاح مع عزيز .. لقد طلب لهما العفو عدة مرات من حكم الاعدام .. ولكن الجواب كان باللغة التركية « أولماز » أى لا وغير ممكن باللغة العربية ..

منذ تلك الحادثة فقدت ايمانى التام بأهمية وجود الترك علما بأننى كتبت إلى رجال وزملاء العهد فى دمشق بالوقوف بجانب الترك فى بداية الحرب .. ولكن المذبحة الكريهة جعلتنى أتراجع ولا أثق فى الأتراك .. أقول مرة أخرى اننى عندما ذهبت إلى الحجاز لم أكن أثق فى الانجليز .. ولا فى الأتراك .

لقد قيل أنه طلب منى السفر إلى مصر لاختيار السلاح المناسب للجيش العربى .. وعند وصولى إلى مصر أخبرونى أنه غير مرغوب فى سفرى مرة أخرى لمواصلة عملى كقائد للجيش .. ولكن الحقيقة اننى عقدت اجتماعا مع رجالى الضباط .. وأخبرتهم عن نيتى فى تقديم استقالتى وقد شرحت لهم كل الأسباب والظروف التى جعلتنى أتخذ هذا الاجراء .. وكانت لحظات الوداع مريرة وقاسية .. وكان الفراق يهز جسدى وعقلى وكيانى كله هزا لم أشعر به من قبل .. وأرسلت استقالتى للملك حسين .. وجمعت حاجياتى واتجهت إلى جدة لاستقل السفينة إلى السويس ومنها إلى القاهرة ..

وأنا أقف على ظهر السفينة .. وأنا ألوح لرجالى سلام الوداع بلا رجعة ملأت الدموع عينى بدون قطرة واحدة تنسكب على خدى كانت الدموع ساخنة .. حجبت لعدة ثوان كل من وقف على الرصيف فى وداعى .. وابتعدت السفينة بالتدريج وهى تطلق صفارتها معلنة الرحيل .

وعلى امتداد الأفق .. حيث البحر المتسع الذى يحيط بنا من كل جانب سرحت أفكارى فى زبانية جهنم الذين بالقطع سأجدهم فى انتظارى .. كنت أعلم أن الانجليز يدخرون لى الكثير .. بل المزيد من المفاجآت بعد أن كشفت خططهم وأساليبهم لضرب الثورة .. وضرب الجيش العربى الذى ولد فى السراب .. وعاش السراب .. وانتهى إلى السراب ..

* * *

الفصل الثالث



« زرت اثار الأندلس القديمة مع الشاعر أحمد شوقى »

- وقام الانجليزى بنفيى لاسبانيا لاننى خطر عليهم فى مصر .
- قسيس اسبانى عرض ان اترجم كتبا عربية الى الاسبانية .
- كمال اتاتورك اعطانى حقى عند الألمان فقاموا باستدعائى .
- كان سعد زغلول اول رئيس وزارة وطنى .. ولكن الانجليز حاربوه .
- تزوجت فرنسيس الأمريكية فى بغداد .. والمهر كان روبيتان .
- فشلت مع ياسين الهاشمى بقيام الثورة بالعراق .. والسبب نورى السعيد .

بعد وصولى الى القاهرة بيومين كاملين .. كنت على موعد آخر مع الانجليز .. جاء من يخبرنى بضرورة الالتقاء مع كلايتون أحد « دهاقنة » دار المندوب السامى البريطانى .. وأحد دعائمها الأساسيين فى تنفيذ السياسة الانجليزية داخل مصر فى الموعد المحدد كنت أجلس معه نشرب الشاى .. وكان مجمل حديثه يبعث على الضحك والرثاء فى وقت واحد قال :

— نحن هنا لا ندرى لماذا تركت الجيش العربى ـ نحن بحق نأسف على ذلك أشد الأسف .. لقد كنا نود أن تستمر فى هذه المهمة الوطنية .. ومهما كانت أسبابك الخاصة أو العامة فنحن نحترم كل تصرف تقوم به .

قلت له : شكرا .

قال لى : عندى اقتراح .. وبمعنى آخر عندى حديث مطلوب منى ابلاغك بمضمونه .. قلت له : هات ما عندك .

قال : لدينا خطة فى العراق .. وبالذات فى البصرة .. نريد منك أن تتعاون مع طالب النقيب زعيم البصرة .. نعلم ان هناك بعض الضباط من جمعية العهد كل ما نريده تأليف قوة عراقية تستطيع القضاء على الوجود التركى هناك .. وقلت له وأنا أبتسم :

— أرجو أن تعطينى بعض الوقت للتفكير فى هذا الموضوع أو هذا العر .

وبعد سبعة أيام كاملة جاء من يطلبنى للقاء كلايتون مرة أخرى وعندما ذهبت وجلست معه أخبرنى قائلا :

— أريد أن أزف اليك بشرى طيبة .. لقد نزلت قواتنا الانجليزية البصرة وهذا الاجراء سوف يساعدك كثيرا فى عملك الجديد هناك .

وقلت له وانا ابتسم : اى عمل يا سيدى .. انه عملكم أنتم .. اما انا فجوابى على اقتراحك .. او اقتراح حكومتك هو : لا .. ما مع الف شكر .

قال لى : هناك اقتراح بديل .

قلت له : هات ما عندك .

قال : فى اليمن أيضا قوات تركية .. ونحن نريد تصفية هذا القوات .. هل يمكن سفرك الى اليمن وقيادة الجيش هناك للقضاء على الحاميات التركية الكبيرة هناك .. بصراحة أريد رايك الآن .

وقلت له : بصراحة اشد من صراحتك انا لا أصلح لمهمات الانجليز .

وقال فى حماس :

— كيف ترفض طلبنا .. ونحن الذين كنا السبب المباشر فى تخفيف حكم الاعدام عليك الى العفو الشامل وقدومك الى مصر .. بل نحن رحبنا بقدومك الى القاهرة .

قلت له : أسف يا سيدى .

قال : صدقنى سيكون الجزاء الفورى بعد نجاح المهمة أن تجلس على عرش اليمن .

قلت له : كيف اجلس على عرش اليمن وهو ملك لأهله وليس ملكا لكم .. اننى أرفض جميع هذه العروض .

لقد عودتنى الأيام من كثرة تعاملى مع الانجليز أن من يهتمون به كثيرا .. ويكون تحت أعينهم ويأملون فى تنفيذ مطالبهم ولا يحقق لهم اى مطلب أو رجاء .. لابد أن يصيبه الكثير من الضرر .. وتوقعت المزيد من المصادمات معهم .. حتى اننى جهزت نفسى لأمر اعتقالى .. كان هذا الاجراء شيئا طبيعيا للغاية .. وعندما استدعانى كلايتون للمرة الثالثة كانت حاستى السادسة تشير الى ان أمرا ما سوف يحدث ولم تمض دقائق على لقائنا حتى يكون كلايتون يعرض على بناء على أوامر السير « ريتالد وينجت » المندوب السامى البريطانى والذى كان سردارا وحاكما للسودان .. الخيار بين السفر الى سويسرا

أو أسبانيا . قلت له :

— هل هذا التصرف من جانبكم ابعاد لى أم استبعاد ؟

فقال فى رقة بالغة : رأينا أن تقضى فى احدى هذه البلاد الجميلة بعض الوقت .. ونحن نحبذ لك أسبانيا .

قلت له : إذن هو النفى الى أسبانيا .

وقال : المهمة المحددة ثلاثة أيام .. وهناك باخرة ستقوم من الاسكندرية فى ذلك الموعد .

كان النفى الى أسبانيا هو الاجراء الطبيعى بعد أن فشلت محاولات الانجليز فى اقناعى للانضمام الى صفوفهم .. وعلى الجانب الآخر خوفا من أن أثير القلاقل داخل مصر خصوصا وانه قد استقر فى أعماقى انشاء جمعية سرية مدنية .. وكان فى نيتى أن أفاتح سعد زغلول فى أمر هذه الجمعية لأنه لم تكن أمامى شخصية مصرية وطنية سواه على الاطلاق .. ولكن أمر النفى لم يتح لى أى فرصة فى هذا المجال .

● يقول عزيز المصرى :

— قابلتنى صعوبة بالغة فى تدبير المال الذى سوف أستعين به على الحياة فى منفاى الجديد .. لم أكن أملك سوى منزلى فى منطقة عين شمس بالقاهرة .. ولم أفلح فى بيع بعض الأفدنة من الحديقة .. وذهبت الى شقيقتى وابنها يوسف باشا ذو الفقار .. وكتبت لها تنازلا عن البيت والحديقة لأننى خشيت أن يصادرها الانجليز ولقد كان هذا التنازل سببا فى الكثير من المشاكل العائلية والقضائية بعد ذلك بسنوات بعد أن رجعت الى القاهرة بعد قرابة تسع سنوات أو ربما أقل من ذلك .

ركبت الباخرة التى كانت سوف تقلنى الى مرسيليا .. ولقد قضيت أياما أفكر فى الانجليز الذين أحالوا حياة العرب بوجه عام الى سلسلة من المآسى .. وحياة المصريين بوجه خاص الى سجن كبير .. وآمنت تماما ان منطقة الشرق الأوسط مقبلة على التقسيم بين الانجليز وأيضا الفرنسيين .. ورميت بكل اللوم على العثمانيين الذى أضاعوا البلاد التى كانوا يحتلونها فى غرب أوربا بسبب الجهل والمؤامرات والدسائس

وكنت من المؤمنين تماما بأن العثمانيين لو كانوا اتخذوا اللغة العربية .. لغة رسمية وفى تلك البلاد لتغير الحال وأصبحت هذه المساحات جزءا من الأمة الاسلامية .. ولزاد التوسع تجاه الغرب .. ويكفى ان الأتراك عندما تركوا يوغسلافيا كان بهـا قـرابة ٣٠٠ مسجد .. وذلك بخلاف عشرات المساجد فى البلاد الأخرى .. ولو كان استمر التعاون بين الألمان والأتراك بدون الحرب العالمية الأولى لسطع نور الحضارة الاسلامية على ربوع أوربا كلها .. ولكانت لنا عودة بطريقة أو بأخرى الى بلاد الأندلس التى ضاعت بسبب الخلاف بين أمراء العرب .

وصلت الى ميناء مرسيليا .. وكان هذا النزول اجباريا .. ومن هناك ركبت القطار الى مدريد عاصمة أسبانيا ثم ذهبت الى برشلونة .. كانت سعادتى لا توصف عندما التقيت بأمير الشعراء أحمد شوقى .. أستاذى الذى أحببته وكان السبب المباشر فى التوسط لى عند أختى الكبرى وزوجها لدخولى الكلية الحربية فى تركيا .. وحكى لى كيف ان الانجليز نفوه الى هنا خوفا من شعره الوطنى الحماسى الذى اعتبروه وقودا للثورة فى مصر ضدهم إذا استمر وجوده هناك ومن أجمل ما قال شاعرنا الكبير وهو فى منفاه :

يا ساكنى مصر إنا لانزال على
عهد الوفاء وان غبنا مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم
شيئا نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة
ما أبعد النيل إلا من أمانينا

هذه الأبيات وغيرها أرسلها شوقى الى شاعر النيل حافظ ابراهيم .. الذى رد عليه بتلك الأبيات التالية :

عجبت للنيل يدرى أن بلبله   صاد ويسقى ربى مصر ويسقينا
والله ما طاب للاصحاب مورده   ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وان فارقت شاطئه   وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

كان الشاعر أحمد شوقى فى منفاه رفيقا عذب الكلمات ومعانيها .. كان يتلهف الى رجوعه الى مصر .. وكان هذا الحنين يجعله أشبه بالناى رمز الحزن والأسى والعذاب الذى ليس له بداية أو نهاية .. ومن أروع أبياته التى قالها حول لوعة الفراق من مشاعر أحزان الغريب على أرضه ووطنه وأنات المشتاق :

وسلا مصر هل سلا القلب عنها
أو أسا جرحه الزمان المؤسى
مستطار إذا البواخر رنت
أول الليل أو عوت بعد جرس
يا ابنة اليم ما أبوك بخيل
ما له مولعا بمنع وحبس
أحرام على بلابله الدوح
حلال للطير من كل جنس
نفسى مرجل وقلبى شراع
بهما فى الدموع سيرى وارسى
وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى اليه فى الخلد نفسى
شهد الله لم يغب عن جفونى
شخصه ساعة ولم يخل حسى

لقد وجدت فى الشاعر أحمد شوقى خير رفيق فى غربتى .. ووجد عندى ما يعزيه ويؤنس وحدته فى غربته .. حكيت له قصة حياتى كلها خلال السنوات الماضية .. ووجدت فيه آذانا صاغية لأحلامى التى كانت تستقر فى أعماقى ورأسى وكيف ذابت هذه الأحلام وتلاشت ، وكيف ان العرب سوف يقاسون مرارة الاحتلال لأعوام طويلة ؟ وحكى لى قصته الأخيرة مع الانجليز وكيف انهم راقبوه بشدة بعد منع الخديو عباس من العودة الى مصر لأنه كان فى صف المصريين ولم يكن يحب الانجليز .. وباعتباره ـ أحمد شوقى ـ من العاملين فى قصر الخديو ومن المقربين اليه .. خافوا تأثيره على الناس .. وخشوا

تأثير شعره الحماسى ليس فى مصر وحدها ولكن على مستوى البلاد العربية .. وبالحق كان شاعرنا الكبير وطنيا متحمسا وغيورا على بلده مصر .. وعلى استقلال البلاد العربية .. واتحادها لتصبح كالحزمة الواحدة لا يمكن ثنيها أو كسرها .

فى برشلونة كنت أنزل فى بيت قديم .. اختاره لى بعد أن غادرت الفندق ولم يكد يمر علينا شهر كامل حتى أخبرته بضرورة أن نتجول فى أسبانيا ونترك برشلونة حتى نستمتع برؤية الآثار الباقية من الأندلس .. ووجدت ان هذه الفكرة لها صداها فى نفسه .. وكان قرارنا الذهاب الى مدريد .. والحقيقة ان الشاعر أحمد شوقى لما لاحظ حماسى البالغ للألمان .. طلب منى الاتصال بهم عن طريق سفارتهم فى برشلونة .. وقال لى :

— حاول الاتصال بهم .. واخبرهم برغبتك فى المشاركة فى الحرب معهم خاصة وأنت تعرف جيدا جميع البلاد والمناطق التى يمكن أن تساهم فيها والتى يرون أن وجودك مناسب فيها .

والحقيقة اننى أخبرته اننى سوف أقوم بذلك الاجراء فى مدريد .. وليس فى برشلونة .. وعندما وصلت مدريد نزلت فى فندق « دى روما » وفى نفس اليوم مساء توجهت الى السفارة الألمانية .. وطلبت مقابلة السفير الألمانى وكذلك احدى الشخصيات الألمانية الكبيرة لا أذكر اسمه .. ولكن أحد موظفى السفارة أخبرنى بالحضور فى اليوم التالى وكتب لى اسم أحد أعضاء السفارة لمقابلته .. وشعرت بضيق كبير لسوء الاستقبال .. وفى اليوم التالى ذهبت الى السفارة وقابلت الموظف الذى اختاروه بالأمس للحديث معى .. كان فظا متعجرفا الى أبعد الحدود .. وكنت قد كتبت مذكرة أعرض فيها خدماتى للعمل بالجيش الألمانى .. مع نبذة صغيرة عن حياتى العسكرية والقواد الألمان العظام الذين كنت تلميذا لهم طوال سنوات الدراسة .. ومن عملت معهم فى ميادين القتال .. وقصتى مع الانجليز وما فعلوه معى حتى طردى من مصر منفيا الى أسبانيا .

حتى هذا الوقت كان معى قرابة الـ ٢٥٠ جنيها هى كل ما أملك ..

واتفقت مع الشاعر أحمد شوقى أن نبدأ جولة على آثار الأندلس القديمة .. والحق أقول انها كانت أروع مما كان فى تصورى وخيالى .. وكانت صحبة أحمد شوقى هى قمة السعادة التى لن أنساها طوال ما حييت . وفى مدريد متاحف هامة ضخمة .. أهمها « البرادو » الذى يضم صورا زيتية لأشهر الرسامين الأسبان والهولنديين .. وفى مدريد شاهدنا قصر « الاسكوريال » الذى شيده فيليب الثانى .. وبه سرداب يضم رفات ملوك أسبانيا وضعت فى توابيت من المرمر .. وملحق بالقصر مكتبة ضخمة جدا تحوى العديد من المخطوطات العربية القديمة .. وفى طليطلة التى يحيط بها نهر « تاجه » كانت هناك آثار عربية .. باب قديم من أبواب المدينة يطلقون عليه اسم « باب الشمس » والى جواره مسجد صغير .. وعلى جوانب هذا المسجد كلمات : « لا غالب إلا الله ولا إله إلا الله محمد رسول الله ».. بلونها الأحمر القاتم .. وأهالى طليطلة لم يكونوا يزيدون عن ٣٠ ألف نسمة علما بأنها كانت أيام الاسلام تتسع لأكثر من ٢٥٠ ألف نسمة .

● ويقول عزيز المصرى :

— والحق أقول ان قرطبة هى أرض الأندلس القديمة .. وهى أجمل بلاد أسبانيا أيام المجد العربى القديم .. ولكنها عندما قمنا بزيارتها كانت فى ثوب غيره بالأمس .. هذه المدينة التى كان يسكنها قرابة المليون عربى .. والتى كانت كعبة العلماء والفقهاء .. كل شىء فيها ضاع واندثر .. لم يبق فيها سوى مسجد عمارته اسلامية أندلسية .. ولقد قال أحمد شوقى فى قرطبة هذه الأبيات التى أسمعنى اياها بعد جولتنا بيومين يقول :

قرية لا تعد فى الأرض كانت ... تمسك الأرض أن تميد وترسى
ركب الدهر خاطرى فى ثراها ... فأتى ذلك الحمى بعد حدس
سنة من كرى وطيف أمان ... وصحا القلب من ضلال وهجس
وإذا الدار ما بها من أنيس ... وإذا القوم ما لهم من محس

وفى أشبيلية أكبر المدن الأندلسية وجدنا أكبر أثرين عربيين هما : قصر أشبيلية والبرج الدوار ـ الجيرالدا ـ وهى منارة المسجد

الجامع ، وهدم الأسبان المسجد وأقاموا مكانه كاتدرائية كبيرة ، ولكنهم أبقوا على المنارة التى تعتبر بحق أعجوبة الفن الاسلامى فهى ترتفع لأكثر من تسعين مترا وليس لها درج انما يصعد الى قمتها الراغب فى ذلك على قدميه فى طريق حلزونى دائرى .. وفى هذا القصر وفى الحديقة التى تحيطه من كل جانب قضى الشاعر أحمد شوقى مع عائلته وأولاده أوقاتا سعيدة .. كما قضيت معه ساعات طويلة نتذكر معا كل المجد العربى القديم .

وكانت غرناطة هى آخر المدن التى قمنا بزيارتها .. وأيضا كانت هى المدينة التى خرج منها العرب وكانت آخر معاقلهم فى بلاد الأندلس .. وذلك عندما قام أبو عبدالله الصغير آخر ملوك بنى الأحمر بتسليمها الى فرديناند وزوجته ايزابيلا - تسليم مفاتيحها - بعد أن ترك العرب وراءهم أضخم أثر عربى تزهو وتفخر به الأندلس .. انه قصر الحمراء .. حصن غرناطة ودار بنى الأحمر .. والقصر يقع فوق آكام عالية تطل على المدينة تحيط به حدائق واسعة .. ويشرف على هذه الآكام جبل « شييرانيفادا » الذى لا تفارقه الثلوج سواء فى الشتاء أو الصيف .. ومن أجمل ما فى القصر تلك الحجرة التى كان ملوك بنى الأحمر يقابلون فيها الرسل والسفراء .. والحجرة مفروشة بالرخام مزينة بأبدع الخطوط .. ومن النوافذ رأينا حى « البيازين » من ثلاث جهات ، والجهة الرابعة تؤدى الى قاعة البركة .. ثم الى ساحة السباع وهناك الحوض المرمرى الذى تحيط به سبعة من الأسود والماء يتدفق من أفواهها .

كنا نقيم فى غرناطة فى فندق واشنطون فى قلب الغابة المحيطة بقصر الحمراء وهناك لوحة كبيرة معلقة فى بهو الفندق .. تمثل الملك العربى أبا عبدالله آخر ملوك غرناطة وهو يسلم مفاتيح المدينة الى ملوك الأسبان .. ونتمثل جميعا هذا الموقف والملك العربى يجهش بالبكاء وهو يغادر الأندلس ووالدته التى كانت فى صحبته تقول له : ابك الآن يا ملك الزمان بكاء النساء والملك الذى لم تحسن الدفاع عنه دفاع الرجال .. وقلت لأحمد شوقى :

— يا شاعرنا الكبير .. احساسى الخاص اننا جميعا سنبكى بكاء النساء لأننا نفرط فى وطننا العربى الكبير .. إلا إذا دافعنا عنه دائما ، ومهما كانت النتائج والتضحيات دفاع الرجال الشرفاء .

بعد جولتى فى آثار الأندلس العربية التى تتلاشى بالتدريج عدت مرة أخرى الى مدريد .. واخترت بنسيونا صغيرا نظيفا ورخيصا مقرا لاقامتى .. وعكفت على تعلم اللغة الأسبانية حتى عرفتها جيدا وأجدتها خلال عدة أشهر .. وفى تلك الأثناء قابلت الدكتور الألمانى « بدستشر » كان صاحب ارادة حديدية قوية ومن الذين عاشوا فى المستعمرات الألمانية فى القارة الافريقية .. وبمضى الوقت حكيت له حكايتى كلها وأفاض فى حديثه عن سوء السياسة الألمانية .. وأكد لى ان الألمان سوف يخسرون هذه الحرب .. وتمنى أن تكون هذه الخسارة سببا فى تغيير الأنظمة الحالية والحكم القائم .. وقال ان أروع أيام ألمانيا كانت فى عهد بسمارك . وجدت عند الدكتور بدستشر الكثير من السلوى وقضاء الوقت الطيب .. وكثيرا ما كنا فى العديد من الأمسيات نتحدث عن الأحوال فى أوربا وافريقيا والبلاد العربية .. وكانت تشاركنا بعض هذه الأمسيات السيدة « جانوفينا » التى كانت تعمل موظفة عند صاحبة البنسيون .. وأذكر اننى بمناسبة أعياد رأس السنة قدمت لها هدية عبارة عن بدلة لابنها البالغ من العمر سنة واحدة .. وفستانا لابنتها الصغيرة .. ولقد سادت المودة والاعجاب من زوجها « جول » نحوى بعد أن قدمت لأسرته هذه الهدية الصغيرة .

وذات يوم حضر لى جول على المقهى الذى كنت أفضل الجلوس عليه بعد الظهر .. وأخبرنى ان البوليس الأسبانى يسأل عنى .. وفتش حجرتى وان زوجته عندما علمت قبل دخولهم البنسيون وسؤالهم عنى تمكنت من اخفاء جميع أوراقى .. وطلب منى جول ألا أعود الى البنسيون وأن أسافر الى شمال مدريد واختار لى جهة منعزلة وبلدة فى تلك الجهة اسمها « مالادوليد » وأظن انها مشتقة من اسم الوليد وبقيت جالسا داخل المقهى حتى المساء حيث أحضر لى جول ملابس وصحبنى الى أطراف مدريد حيث ركبت عربة بعد أن اتفقت مع

الدكتور الألمانى بدستشر على الطريقة التى نظل بواسطتها على اتصال ببعضنا .

كان كل ما معى سبعة جنيهات انجليزية .. ولم يكن هذا المبلغ يكفينى لعدة أيام .. وبالرغم من ذلك سافرت وعشت كالشريد هائما على وجهى لا أكاد أمكث فى مدينة عدة أيام حتى أغادرها الى أخرى .. وفى احدى المدن - لا أذكر اسمها - عرفت ان بها مكتبة كبيرة تحوى العديد من الكتب والمخطوطات العربية .. وقررت الذهاب لمشاهدتها .. وأثناء وقوفى داخل المكتبة ، وبينما أنا أمسك بأحد الكتب وأطالع ما به .. أحسست بيد تربت على ظهرى .. وعندما استدرت الى الخلف وجدت قسيسا طويل القامة قال فى هدوء شديد : هل تقرأ العربية ؟

قلت له : اننى عربى مصرى أجيد اللغة العربية .

قال لى مرة أخرى : اقرأ بعضا مما فى الكتاب الذى بين يديك .

وقرأت له صفحة بلغة عربية سليمة مائة فى المائة .. ثم اقترب منى أكثر وهو يقول :

— لقد درست العربية ، وأتكلمها ولكنك بالحق أكثر من رائع .. عندى لك عرض طيب .. سوف أعطيك بعض المال .. وسوف أضمن لك حجرة فى أحد الأديرة .. فى الدير الذى أعيش به ، وأيضا أضمن لك طعاما كاملا طوال هذا الشهر .. والمقابل أن تقوم بترجمة أكثر من كتاب من اللغة العربية الى الأسبانية .

وعشت معه فى الدير قرابة الشهر .. أطلقت فيه لحيتى وشاربى وشعرى وكان القسيس يطلق على اسم « خنتو » ولا أدرى حتى الآن لماذا اختار لى هذا الاسم الغريب .. وعشت حياة الرهبان .. أتنزه معهم .. وأشاركهم الطعام وأحيانا كنا نتنزه خارج الدير وكان القسيس يشير الى أحد الأديرة المجاورة .. وأخبرنى انه مخصص للنساء .. وان معظمهن من العائلات الكبيرة الشريفة .. وكان من عادة هذه العائلات ان تنذر أحلى بناتها للحياة فى الدير كنوع من العفة والتقرب الى الله سبحانه وتعالى .. وبصراحة شديدة أعجبتنى هذه الحياة جدا .. وكانت فرصة للاختفاء فترة طويلة من الوقت .. وبعد

انتهاء الشهر المتفق عليه عرض على القسيس ترجمة كتاب آخر .. وصلنى بعدها خطاب من الدكتور الألمانى يطلب منى فيه الحضور الى مدريد على وجه السرعة .. وعندما انتهيت من الكتاب الثانى جمعت حاجياتى وغادرت الدير الى مدريد .

عندما وصلت الى مدريد أخبرنى الدكتور بدستشر ان رجال السفارة الألمانية يبحثون عنى .. لقد أخبرنى جول بذلك .. وذهبت الى البنسيون وأخبرنى جول ان أكثر من رجل من رجال السفارة الألمانية جاء ليسأل عنك .. وقد علمت ان فى ذلك فائدة كبيرة لشخصك . لذلك أخبرت الدكتور حتى يستدعيك للحضور من أجل مقابلتهم لمعرفة كل شىء بوضوح ، وعلى الفور ذهبت الى السفارة الألمانية .. وهناك وجدت ترحابا دوليا .. وقابلنى السفير وأخبرنى ان السلطات الألمانية تطلب سرعة سفرى الى ألمانيا .. وتكفل السفير الألمانى بواسطة رجاله على ايصالى أو توصيلى الى ألمانيا .. وعرضت على الدكتور بدستشر تفاصيل الحوار .. وسفرى الى ألمانيا وكان قراره أن يصطحبنى فى رحلتى الى ألمانيا ..

وبحق أقول انها كانت رحلة شاقة .. فقد ركبنا باخرة أسبانية من احدى الموانىء فى شمال أسبانيا .. وسارت بنا فى خليج « بسكى » على امتداد السواحل الفرنسية .. ولقد اختبأت داخل الباخرة طوال سيرها فى بحر المانش .. كانت الأراضى الفرنسية على يمينى والانجليزية على يسارى ، واخترقنا مضيق دوفر وسرنا بمحاذاة الشواطىء البلجيكية والهولندية ثم رست على الشاطىء الألمانى .. ومن هناك ذهبنا الى همبورج .. ثم الى برلين .

لقد علمت فيما بعد تفاصيل قصة استدعائى من أسبانيا الى ألمانيا .. وكانت كالآتى :

بالصدفة كان كمال أتاتورك فى زيارة ألمانيا .. وتقابل مع المارشال « لوندروف » وأثناء الحديث أخبره المارشال ان مغامرا نصابا مصريا حضر الى أسبانيا ، وأخبرنا عن طريق السفارة الألمانية هناك انه كان فى أركان حرب الدولة العثمانية .. وادعى انه كان على خلاف مع أنور

باشا .. وقد طلب عرض خدماته العسكرية ، وأبدى استعداده لقيادة مائة ألف جندى فى حربنا ضد الحلفاء وبصراحة شككنا فى نواياه ولم نحسن استقباله ، وهو موجود الآن فى مدريد .. وبلغنا ان الحكومة الأسبانية تبحث عنه للقبض عليه وطرده بإيعاز من الانجليز .

وطلب كمال أتاتورك اسم الضابط الذى تحدث عنه المارشال .. وانتفض واقفا عندما سمع اسمى ومدحنى كثيرا وقال المارشال لوندروف ولكن أنور باشا حذرنا منه وأخبرنا انه أحد عملاء الانجليز .. وقال أتاتورك : ان أى رجل يعاديه أنور باشا رجل عظيم وعزيز المصرى على رأس هؤلاء العظماء .. وطلب أتاتورك حضورك ، وألح على المارشال أن يعاوننى ولا يدخر أى جهد فى تذليل أى عقبة أمامى فى الحياة داخل ألمانيا .. وأخبره أيضا اننى كنت من التلاميذ النجباء للجنرالات الألمان فى تركيا ومدى حبى وعشقى لهم .

وصلت الى ألمانيا .. وذهبت لمقابلة المارشال لوندروف الذى أحسن استقبالى .. وحكى لى القصة كاملة ، وأبدى أسفه لكل ما حدث .. وأطلعته على مشوارى كله منذ غادرت استانبول بعد العفو عنى .. وايضا ماذا فعلت مع الانجليز وماذا فعل الانجليز معى ؟ وطلب منى المارشال أن أختار المكان الذى أراه مناسبا ، حتى أعمل فيه .. وأخبرنى أيضا ان كمال أتاتورك طلب منى أن يبلغنى بعودتى مرة أخرى الى تركيا ، وانه سيعمل على رد جميع حقوقى .. وشكرته وتركت اختيار العمل لحين التفكير فى ذلك الموضوع .. وأخبرنى المارشال ان مكتبه مفتوح أمامى فى أى وقت .

مضى على وجودى فى ألمانيا قرابة الثلاثة أشهر .. وفى تلك الأثناء حضر الى ألمانيا أنور باشا وزوج أخته طلعت باشا .. وطلب منى طلعت باشا مقابلة أنور لأمر هام .. والحق أقول اننى لم أرغب أبدا فى لقاء الرجل الكاذب المخادع الذى كان وراء محاكمتى وتشريدى .. وتشريد جميع ضباط جمعية العهد .. وهو الذى كان وراء جرائم السفاح جمال باشا فى سوريا .. وأيضا خلف كل المؤامرات والدسائس فى تركيا .. وبالرغم من ذلك أخبرنى الدكتور بدستشر انه لا ضرر من هذا اللقاء ..

وهى فرصة لنرى ماذا عنده .. والتقيت بأنور باشا وزير الحرب التركى .. هش لاستقبالى ـ فنحن على أرض المانية محايدة بالنسبة لى وله ـ وطلب منى أن أعود معه الى تركيا حتى أعاونه فى خطته .. وكانت خطة ذات وجهين .. وجه مع الألمان وآخر مع الروس ـ الاتحاد السوفيتى ـ وأخبرنى انه يعد لى وزارة الحربية أو أى منصب آخر أكبر .. ولم يخبرنى عنه .. رفضت الخيانة !! ورفضت العرض .

وفى يوم من الأيام .. وبينما أنا جالس فى حجرتى بعد هذا اللقاء بعدة أشهر .. جاءنى تليفون من وزارة الخارجية الألمانية يخبرنى فيه المتحدث ان أنور باشا قد قتل على حدود أفغانستان .. واكتشفوا انه كان عميلا ذا وجهين .. وجه للانجليز ووجه للروس .. وانه كان يريد ضرب مؤخرة جيش كمال أتاتورك مساعدا اليونان على ضرب تركيا .. وقد أرسل كمال أتاتورك أحد قواده المشهورين « كاظم قرة بكير » واشتبك مع جيش أنور وهزمه .. ولم يكن أمام أنور باشا سوى الهروب وعبر الى القوقاز وبحر قزوين الى تركستان .. وقتل ، وقطع رأسه .

وهكذا انتهت أسطورة هذا الرجل القبيح الذى خان وطنه وشرفه وجيشه والذى كان على قمة الفساد فى تركيا .

عشت فى ألمانيا .. وعملت مدرسا فى كلية أركان حرب .. وكنت أدرس تجربتى فى حربى ضد البلغار وأسلوب حرب العصابات الذى ابتدعته وسط المناطق الجبلية .. ووسط الصحراء والغابات فى ليبيا فى حربى ضد الايطاليين .. وعشت أتجول فى أوربا سنوات عديدة والقلق ينهش أعصابى .. كانت بى رغبة لأن أعود الى مصر كما عاد اليها الشاعر الكبير أحمد شوقى .. وقد وافق رجوعه اصداء ثورة ١٩١٩ بقيادة الوطنى الكبير سعد زغلول .. ولكن الانجليز كانوا لى بالمرصاد .. لم يوافقوا على عودتى بعد انتهاء الحرب .. وبعد ثورة ١٩١٩ .. وبعد ذهاب السلطان حسين كامل .. وذات يوم .. بينما كنت أجلس فى البنسيون الذى كنت أقيم فيه بألمانيا .. فوجئت بحافظ رمضان باشا وحمدى الباسل باشا يدخلان البنسيون ويسألان عنى .. كنت فى دهشة حينما وجدتهما أمامى .. قالا لى :

والإسلام يوصي باحترام العقود، التي تسجل فيها الالتزامات المالية وغيرها، ويأمر بإنفاذ الشروط التي تتضمنها.

وفي الحديث: «المسلمون عند شروطهم»[1].

ولا شك أن انتشار الثقة في ميدان التجارة وفي شتى المعاملات الاقتصادية أساسه افتراض الوفاء في أي تعهد.

ويجب أن تكون الشروط المكتوبة متفقة مع حدود الشريعة. وإلا فلا حرمة لها، ولا يكلف المسلم بوفائها.

وقد منح الإسلام عقد الزواج مزيداً من الرعاية، فقال رسول الله: «إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج».

ومن ثم فليس يجوز لرجل بنى بامرأة أن يغتال درهماً من حقها، أو يستخف بالرباط الذي جمعه بها.

وفي الحديث: «أيما رجل تزوج امرأة ـ على ما قل من المهر أو كثر ـ ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، خدعها، فمات ولم يؤد إليها حقها، لقي الله يوم القيامة وهو زانٍ! وأيما رجل استدان ديناً، لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤد إليه دَيْنه، لقي الله وهو سارق!!»[2].

ولا غرو، فقد تتابعت آيات القرآن، تحض على الوفاء وتخوف من الغدر:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَلَا تَنْقُضُوا الأَيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

وقد بيَّن الله عزَّ وجل أن الغدر ينزع الثقة، ويثير الفوضى، ويمزق

---

(١) البخاري. (٢) الطبراني. (٣) الإسراء: ٣٤.
(٤) النحل: ٩١.

الأوَاصر، ويرد الأقوياء ضعَافاً واهنين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ. وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

إن الرجل قد يحل عقداً أبرمه، ينتظر ربحاً أوفر من عقد آخر، وإن الأمة قد تطرح معاهدة بينها وبين أمة أخرى، جرياً وراء مصلحة أحظى لديها والدين يكره أن تداس الفضائل في سوق المنفعة العاجلة، ويكره أن تنطوي دخائل الناس على هذه النيات المغشوشة، ويوجب الشرف على الفرد والجماعة حتى تصان العقود على الفقر والغنى، وعلى النصر والهزيمة.

ولذلك يقول الله ـ بعد الأمر الجازم باحترام العهود ـ : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

* * *

والوفاء بالحق واجب مع المؤمن بالإسلام ومع الكافر به.

فإن الفضيلة لا تتجزأ، فيكون المرء خسيساً مع قوم، كريماً مع آخرين.

والمدار على موضوع العهد فما دام خيراً فإقراره حتم مع كل فرد، وفي كل حين.

وقد قال رسول الله ﷺ ـ في حلف الفضول[3] ـ: «لو دُعيت به في الإسلام لأجبت».

عن عمرو بن الحَمِق قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما رجل أمن رجلاً على دمه، ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافراً»[4].

وهذا البيان الحاسم، يكشف عن روح الإسلام في معاملة من لم يدينوا

---

(١) النحل: ٩١. (٢) النحل: ٩٤ ـ ٩٥. (٣) هو حلف تم في الجاهلية.
(٤) ابن حبان.

به، فبينا ترى اليهود ينكرون على غيرهم حق الوفاء، ويضنون عليهم بنبل المعاملة، ويحسبون أنهم وحدهم «أبناء الله وأحباؤه» وأن الله جعل رحمته وأمانه لشعب إسرائيل فقط، ترى الإسلام يدفع ـ بحمية بالغة ـ عمن منحهم ذمته وأدخلهم في عقده، ويتحدث عن الكافرين إلى المسلمين حديثاً له مغزاه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ، وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلاَئِدَ، وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً ـ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ـ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

فانظر كيف صورت الآية وجهة نظر الكفار، وتمشت مع مزاعمهم وهم وثنيون، فاعتبرتهم طلاب فضل من الله ورضوان، وطلبت من المسلمين ـ مهما قووا ـ أن يتعاونوا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

وقد تكلمنا في موضع آخر[2] عن المعاهدات بين المسلمين وغيرهم، وعن التعاليم التي أنزل الله بشأنها، فليرجع إليه من شاء.

* * *

ومن الشؤون التي اهتم الإسلام بها، ونوَّه بقيمة الوفاء فيها: الديون، فإن سدادها من آكد الحقوق عند الله، وقد قطع الدِّين قطعاً عنيفاً وساوس الطمع التي تنتاب المدين وتغريه بالمطال، أو إرجاء القضاء[3].

وأول ما شرعه الإسلام في هذا أن حرَّم الاستدانة إلا للحاجة القاهرة. فمن الورطات المخوفة أن يقترض المرء في أمور يمكن الاستغناء عنها.

بل لقد روي أن ذلك من الآثام التي يلحقها القصاص:

«إن الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة إذا مات، إلا من تدين في ثلاث خلال: الرجلُ تضعف قوته في سبيل الله فيستدين يتقوى به على عدو الله

(١) المائدة: ٢.

(٢) كتابنا: «تأملات في الدين والحياة» و«التعصب والتسامح».

(٣) كتابنا: «تأملات في الدين والحياة» و«التعصب والتسامح».

وعدوه. ورجل يموت عنده مسلم، فلا يجد ما يكفنه ويواريه إلا بدين. ورجل خاف على نفسه العزوبة، فينكح خشية على دينه. فإن الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة»[1].

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «يدعو الله بصاحب الدَّيْن يوم القيامة، حتى يوقف بين يديه. فيقال: يا ابن آدم، فيم أخذت هذا الدَّيْن؟ وفيم ضيَّعْت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل، ولم أشرب، ولم ألبس، ولم أضيِّع، ولكن أتى عليَّ إما حرق، وإما سرق، وإما وضيعة! فيقول الله: صدق عبدي، أنا أحق من قضى عنك، فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه، فيرجح حسناته على سيئاته، فيدخل الجنة بفضل رحمته»[2].

ويظهر من هذا أن الله يعذر من يضطر إلى الدين لأزمات شداد، ومن يعجز عن القضاء لمصائب جائحة.

أما الذي تمر بنفسه شهوة طارئة، ويضعف عن إجابتها من ماله، فيسارع إلى الاقتراض من غيره، غير ناظر إلى عقباه، ولا مهتم بطريقة الخلوص من دينه فهو ـ كما وصفته الآثار ـ سارق جريء.

وقد قال رسول الله ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها، أتلفه الله»[3].

والإسلام يريد أن يُوفِّر للديون ضمانات شتى، تعتبر أموالاً حية، وحتى يرى الوفاء بها ضربة لازب، وحتى لا يحاول أحد الفرار من أداء الحق المكتوب، ولو بأداء عبادات أخرى رفيعة الأجر.

عن أبي قتادة رضي الله عنه: «قال رجل: يا رسول الله، أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله، أتكفِّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، إن قتلت وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر! ثم قال: كيف قلت؟ فأعاد. قال: إلا الدَّين؛ فإن جبريل أخبرني بذلك»[4].

---

(١) ابن ماجه. (٢) أحمد. (٣) البخاري.
(٤) مسلم.

وفي رواية أخرى: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين»[1].

ولما علمه العقلاء من خطر الدين على آخرة المسلم ومنزلته كانوا ينصحونه بالتخلص منه، قبل أن يقدم على أي مخاطرة؛ قد تودي بحياته.

فعن أبي الدرداء: أنه كان يقف حين ينتهي إلى الدرب في ممر الناس إلى الجهاد، فينادي نداء يُسمع الناس: يا أيها الناس، من كان عليه دين يظن أنه إن أصيب في وجهه هذا لم يدع له وفاء فليرجع. ولا يتبعني فإنه لا يعود كفافاً[2].

* * *

وقد استهان المسلمون بالديون فاقترضوها لشهوات الغيّ في البطون والفروج، واقترضوها من اليهود والنصارى بالربا الذي حرَّمه الله تحريماً باتاً، فكان من آثار ذلك أن نكبوا نكبات جائحة في ديارهم وأموالهم.

ولا يزال الوفاء بالقروض مستعصياً..

ولولا سياط القانون لضاعت حقوق كثيرة..

إن الله عز وجل يحب الأوفياء من عباده، وما أهلك القرى الظالمة إلا بعد أن قال في أهلها: ﴿وما وجدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ، وإنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[3].

---

(١) مسلم.	(٢) رزين.	(٣) الأعراف: ١٠٢.





الإخلاص

إن البواعث التي تسوق المرء إلى العمل، وتدفعه إلى إجادته، وتغريه بتحمل التعب فيه، أو بذل الكثير من أجله، كثيرة متباينة.

منها القريب الذي يكاد يُرَى مع العمل، ومنها الغامض الذي يختفي في أعماق النفس.

وربما لا يدركه العامل المتأثر به، مع أنه سر اندفاعه في الحقيقة إلى فعل ما فعل، أو ترك ما ترك.

والغرائز البشرية المعروفة هي قواعد السلوك العام، ومن اليسير أن ترى في حركات رجل أمامك حبه لنفسه، أو طلبه للسلامة، أو حرصه على المال، أو ميله للفخر، أو تطلعه للظهور.

وما أكثر ما تكون مشاعر الإعجاب أو الكراهية أو المحاكاة أو الكبرياء مصدر ما يدور بين الناس من حديث، وما يقع بينهم من تصرفات.

والإسلام يرقب بعناية فائقة ما يقارن أعمال الناس من نيات، وما يلابسها من عواطف وانفعالات.

وقيمة العمل عنده ترجع - قبل كل شيء - إلى طبيعة البواعث التي تمخضت عنه.

قد يعطي الإنسان هبة جزيلة، لأنه يريد بصنائع المعروف أن يستميل إليه القلوب، وقد يعطيها لأنه يريد أن يجزي خيراً من سبقوا فأسدوا إليه خيراً.

وكلا المسلكين كرم دفع إليه شعور المرء بنفسه، سلباً أو إيجاباً كما يعبر علماء النفس. ولكن الإسلام لا يعتد بالصَّدَقَةِ إلا إذا خلصت من شوائب النفس. وتمخضت لله وحده على ما وصف القرآن الكريم:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾[1].

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى. وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[2].

ولتصحيح اتجاهات القلب، وضمان تجرده من الأهواء الصغيرة، قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[3].

إن ألوف المسافرين يقطعون المسافة بين مكة والمدينة، لأغراض شتى ولكن نية الانتصار للدين والحياة به، هي التي تفرق بين المهاجر والمسافر! وإن كانت صورة العملين واحدة.

فمن ترك مكة إلى المدينة، فراراً بدينه من الفتن، وإقامة لصرح الدولة الجديدة في بلدها الجديد، فهو المهاجر، وأما من رحل لشؤون أخرى فليس من الهجرة في شيء.

* * *

إن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة.

وإن خبث الطوية، يهبط بالطاعات المحضة، فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها، بعد التعب في أدائها، إلا الفشل والخسار.

قد يبني الإنسان قصراً منيف الشرفات، فسيح الردهات، وقد يغرس حديقة ملتفة الأغصان متهدلة الأثمار، وهو بين قصره المشيد، وبستانه

(١) الإنسان: ٩ (٢) الليل: ١٨ - ٢١ (٣) البخاري ومسلم.

النضيد، يعد من ملوك الدنيا، بيد أنه إذا قصد من وراء بنيانه وغراسه نفع الناس، كان له فيهما ثواب غير مقطوع.

قال رسول الله ﷺ: «من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء، كان له أجراً جارياً، ما انتفع به أحد من خلق الرحمن تبارك وتعالى!!»[1].

وقال: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً. فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة»[2].

بل إن اللذاذات التي تشتهاها النفس، إذا صاحبتها النية الصالحة والهدف النبيل، تحولت إلى قربات.

فالرجل يواقع امرأته، يريد أن يحفظ عفافه ويصون دينه. له في ذلك أجر «وفي بضع أحدكم صدقة».

وما يطعمه في بدنه، أو يطعمه أولاده وزوجته، له مثوبة بنية الخير التي تقارنه.

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال له: «إنك لن تنفق نفقة، تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت عليها. حتى ما تجعله في فم امرأتك»[3].

وقال: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»[4].

والحق أن المرء ما دام قد أسلم لله وجهه وأخلص نيته، فإن حركاته وسكناته ونوماته ويقظاته، تحتسب خطوات إلى مرضاة الله. وقد يعجز عن عمل الخير الذي يصبو إليه، لقلة ماله أو ضعف صحته. ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين، والراغب في

---

(١) أحمد. (٢) مسلم. (٣) البخاري.
(٤) أحمد.

الجهاد إلى مراتب المجاهدين، لأن بُعْدَ همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم!!

حدث في غزوة العسرة، أن تقدم إلى رسول الله رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله، غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم، فعادوا وفي حلوقهم غصة، لتخلفهم عن الميدان وفيهم نزل قوله عز وجل: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[1].

أترى أن الله يهدر هذا اليقين الراسخ، وهذه الرغبة العميقة في التضحية؟ كلا! ولذلك نوّه النبي ﷺ بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم.

فقال للجيش السائر: «إن أقواماً خلفنا بالمدينة، ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا. حبسهم العذر!!»[2].

إن النية الصادقة سجلت لهم ثواب المجاهدين، لأنهم قعدوا راغمين.

ولئن كانت النية الصالحة تضفي على صاحبها هذا القبول الواسع، إن النية المدخولة تنضم إلى العمل الصالح - في صورته - فيستحيل بها إلى معصية تستجلب الويل:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[3].

إن الصلاة مع الرياء، أمست جريمة، وبعد ما فقدت روح الإخلاص باتت صورة ميتة لا خير فيها، وكذلك الزكاة، إنها إن صدرت عن قلب يسخو لله ويدخر عنده قُبلت، وإلا فهي عمل باطل:

﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾[4].

---

(١) التوبة: ٩٢. (٢) البخاري. (٣) الماعون: ٤ - ٧.
(٤) البقرة: ٢٦٤.

إن القلب المقفر من الإخلاص، لا ينبت قبولاً، كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعاً.

والقشور الخادعة، لا تغني عن اللباب الرديء شيئاً.

ألا ما أنفس الإخلاص، وأغزر بركته، إنه يخالط القليل فينميه حتى يزن الجبال، ويخلو منه الكثير فلا يزن عند الله هباءة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أخلص دينك يكفك العمل القليل»(١).

ويظهر أن تفاوت الأجور التي رصدت للحسنات، من عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف، إلى... يعود إلى سر الإخلاص الكامن في أطواء الصدور وهو ما لا يطّلع عليه إلا عالم الغيب والشهادة.

فعلى قدر نقاء السريرة، وسعة النفع تكتب الأضعاف.

وليس ظاهر الإنسان، ولا ظاهر الحياة الدنيا، هو الذي يمنحه الله رضوانه، فإن الله تبارك وتعالى يُقْبِلُ على عباده المخبتين المخلصين، ويتقبل منهم ما يتقربون به إليه. أما ما عدا ذلك من زخارف الدنيا وتكلفات البشر فلا قيمة له ولا اكتراث به.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٢).

وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة جيء بالدنيا فيميز منها ما كان لله، وما كان لغير الله رُمي به في نار جهنم»(٣).

فمن ربط حياته بهذه الحقائق، فقد استراح في معاشه، وتأهب لمعاده، فلا يضيره ما فقد، ولا يحزنه ما قدم.

قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة وآتى الزكاة؛ فارقها والله عنه راض»(٤).

---

(١) الحاكم. (٢) مسلم. (٣) البيهقي.
(٤) ابن ماجه.

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1].

* * *

والإخلاص يسطع شعاعه في النفس، أشد ما يكون تألقاً في الشدائد المحرجة، إن الإنسان عندها ينسلخ من أهوائه، ويتبرأ من أخطائه، ويقف في ساحة الله أوّاباً، يرجو رحمته ويخاف عذابه.

وقد صور القرآن الكريم فزع الإنسان عند الحيرة، وانقطاعه إلى ربه يستنجد به، ليخرجه من مأزقه الذي وقع فيه:

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُم مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِين. قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[2].

إن هذا الإخلاص حال طارئة. والأحوال التي تنتاب المرء وتفارقه ليست خلقاً، والله تبارك وتعالى يريد من الناس أن يعرفوه حق المعرفة، وأن يقدروه حق قدره، في السراء والضراء جميعاً وأن يجعلوا الإخلاص له مكيناً في سيرتهم فلا تهي صلتهم به، ولا يقصدون بعلمهم غيره.

وحرارة الإخلاص تنطفىء رويداً رويداً، كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبُعْدِ الصيت، والرغبة في العلو والافتخار. وذلك لأن الله يحب العمل النقي من الشوائب المكدرة.

﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[3].

وطبيعة الفضيلة كطبيعة الثمرة الناضجة، يجب لسلامتها والإبقاء على نظافتها وحلاوتها، أن تكون خالية من العطوب والآفات.

وقد أعلن الإسلام كراهيته العنيفة للرياء في الأعمال الصالحة، واعتبره شركاً بالله رب العالمين.

والحق أن الرياء من أفتك العلل بالأعمال. وهو إذا استكمل أطواره

(١) البينة: ٥ (٢) الأنعام: ٦٣ ـ ٦٤. (٣) الزمر: ٣

وأتم دورته في النفس، كما تستكمل جراثيم الأوبئة أطوارها ودورتها، أصبح ضرباً من الوثنية، التي تقذف بصاحبها في سواء الجحيم.

قال رسول الله ﷺ: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»[1].

وعن ابن عباس: قال رجل: يا رسول الله إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يُرى موطني. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[2].

وإنما كانت حملات الإسلام على الرياء ـ وغيره من العلل الناشئة عن فقد الإخلاص ـ على ما هي عليه من الشدة لأنها فساد معقد، وطريقة ملتوية في التنفيس عن الشهوات المكبوتة.

فالرذيلة السافرة تولد جريمة، وتسير في المجتمع جريمة، فهي منكورة محقورة ولعل صاحبها ـ لشعوره بسوئها ـ يتوب منها على عجل أو على مهل.

أما الرذيلة التي تظهر في لباس من الطاعة المطلوبة، فهي رذيلة مرهوبة الشر على صاحبها وعلى المجتمع.

ذلك أن صاحبها يقترفها وهو يشبع نهم نفسه، في الوقت الذي يتوهم فيه أنه يرضي الله.. فكيف يحس أنه ارتكب إثماً؟ وكيف يتوب مما يفترض أنه خير؟

أما المجتمع العام فمصائبه من الفضلاء المنافقين، أنكى من مصائبه التي ينزلها به معتاد الإجرام من الصعاليك.

إن ضعف الإخلاص عند كثير من ذوي المواهب، جعل البلاد تشقى بمواهبهم وترجع القهقرى.

---

(١) الحاكم. (٢) الكهف: ١١٠.

ثم إن تلويث الفضيلة بأقذار الهوى عدوان على منزلتها، ومحاولة متعمدة لإسقاط قيمتها. وهذا جرم آخر، ينشأ عن فقدان الإخلاص، والرجل الذي يقصد بعمله وجه الناس، ويذهل عن وجه ربه، رجل لا يدري ـ لسفاهته ـ حطة ما يصنع، إنه ينصرف عن القوي الغني ذي الجلال والإكرام إلى الضعاف الفقراء الذين لا حول لهم ولا طَوْل. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[1].

* * *

على العسكريين ـ جنوداً أو قادة ـ أن يجعلوا جهادهم منزهاً عن الشوائب فقد ربطوا حياتهم ومماتهم بواجب مقدس، تصغر إلى جانبه الألقاب والرتب والشارات، فليؤثروا ما عند الله، وليقفوا أمانيهم على التضحية المرتقبة والفداء العزيز.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الجهاد والغزو فقال: «يا عبدالله بن عمرو، إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً. وإن قاتلت مرائياً مكاثراً، بعثك الله مرائياً مكاثراً. يا عبدالله بن عمرو: على أي حال قاتلت أو قُتلت، بعثك الله على تلك الحال»[2].

* * *

وعلى الموظف، وهو في ديوانه، أن يعتّد ما يكتبه، وما يحسبه، وما يكد فيه عقله، ويتعب فيه يده، عملاً يقصد به مصلحة البلاد ورضى الله.

إن الدابة قد تكدح سحابة النهار، نظير طعامها. والإنسان قد يهبط بقيمة جهده إلى مستوى الحيوان، فيكون عمله لقاء راتبه فحسب.

لكن الرجل العاقل يغالي بتفكيره ونشاطه، فيجعلها لشيء أجل.

ومن المؤسف أن هناك جمهوراً من الموظفين لا يفقهون إلا منطق المال

---

(١) الترمذي.

(٢) أبو داود.

والدرجة والترقية. ويحتسبون بدينهم ودنياهم داخل هذا النطاق، ويربطون رضاهم وسخطهم، وفتورهم ونشاطهم بميزانه المضطرب.

قال رسول الله ﷺ: «إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله خالصاً، وفرقة يعبدون الله رياءً، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس. فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذي يستأكل الناس: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ فيقول: وعزتك وجلالك أستأكل بها الناس. قال: لم ينفعك ما جمعت، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبد رياءً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال: بعزتك وجلالك رياء الناس! قال: لم يصعد إلي منه شيء، انطلقوا به إلى النار، ثم يقول للذي كان يعبده خالصاً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال: بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به، أردت به ذكرك ووجهك. قال: صدق عبدي، انطلقوا به إلى الجنة»[1].

* * *

والإخلاص العميق، ألزم ما يكون لميادين العلم والثقافة، فإن العلم أشرف ما ميز الله به الأكرمين من خلقه. فمن الزراية الشنيعة به أن يسخّر لعوامل الشر، وأن تختلط به الأهواء والفتن، والعالَم لم تصبه الجراحات القاتلة إلا على أيدي علماء، فقدوا الخلق الفاضل، والنزاهة المحمودة...

وقد أوجب الإسلام على الأستاذ والطالب جميعاً، أن يتجردا للعلم، وأن ينظرا قبل كل شيء إلى المثل العالية والمصلحة العامة. والتعلم والتعليم ابتغاء المال وحده وتلهفاً على المنفعة الشخصية المحضة، كما هو ديدن الألوف اليوم، هو في الحقيقة استهانة بقيمة العلم، وإضاعة لرسالته الجليلة.

قال رسول الله ﷺ: «من تعلَّم علماً مما يُبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب عَرَضاً من الدنيا، لم يجد عرف[2] الجنة يوم القيامة»[3].

وقد كره الإسلام كذلك أن يطلب المرء العلم، حتى إذا نبغ فيه استكبر به على الناس، واتخذه وسيلة للشغب والمراء.

---

(١) الطبراني. (٢) عرف الجنة: ريحها. (٣) أبو داود.

وفي الحديث: «لا تعلَّموا العلم لتباهوا بـه العلماء، ولا تماروا بـه السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»[1].

إن العلم ـ على اتساع فنونه الدنيوية والأخروية ـ لم يزدهر ويصل إلى المرحلة التي بلغها إلا بالتجرد الحق، والتعالي عن الأغراض الصغيرة. وهذا لا يعني البتة أن يكلف العلماء والمتعلمون بتحمل مشاق الغيش، والتعـرض للأزمات المحرجة، فإن إخلاص الـنية لا يستلزم إعنات المخلص، وتحميله الأذى.

والعلل النـاشئة عن فقـدان الإخلاص كثيـرة، وهي إذا استفحلت استأصلت الإيمان، وإذا قلّت تركت به ثُلماً شتى، ينفذ منها الشيطان.

وإنما يسخط الله عز وجـل على ذوي الأغراض والمرائين وغيـرهم من عُبَّاد المال والجاه، لأن المفروض في المسلم، أن يضحي بالأغراض، والعلاقات والشهوات في سبيل الله، لا أن يذهل عن وجه ربه في سبيلها.

وقد كان سحرة فـرعون آية في اليقين الصحيح، والإخلاص العالي، عندما رفضوا الإغراء، وحقروا الإرهاب، وداسوا حب المال والجاه، وقالوا للملك الجبار: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، إِنَّمَا تَقْضِي هذه الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[2].

وشتان بين هؤلاء الذين يستهينون بالدنيا في سبيل الله، وبين الذين يسخِّرون الدين نفسه في التقرب من كبير، أو الاستحواذ على عرض حقير.

* * *

---

(١) ابن ماجه.

(٢) طه: ٧٢ ـ ٧٣.



أدب الحديث

نعمة البيان من أجلِّ النِّعَم التي أسبغها الله على الإنسان، وكَرَّمه بها على سائر الخلق:

﴿ الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإنسانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(١).

وعلى قدر جلال النعمة يعظم حقها، ويستوجب شكرها، ويستنكر كنودها.

وقد بَيَّنَ الإسلام كيف يستفيد الناس من هذه النعمة المسداة، وكيف يجعلون كلامهم الذي يتردد سحابة النهار على ألسنتهم طريقاً إلى الخير المنشود، فإن أكثر الناس لا ينقطع لهم كلام ولا تهدأ لألسنتهم حركة.

فإذا ذهبت تحصي ما قالوا، وجدت جله اللغو الضائع أو الهذر الضار؛ وما لهذا ركَّب الله الألسنة في الأفواه، ولا بهذا تقدَّر الموهبة المستفادة:

﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾(٢).

وقد عُنِيَ الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام، وأسلوب أدائه، لأن الكلامَ الصادرَ عن إنسان ما، يشير إلى حقيقة عقله وطبيعة خلقه. ولأن طرائق الحديث في جماعة ما، تَحْكُمُ على مستواها العام ومدى تغلغل الفضيلة في بيئتها.

* * *

(١) الرحمن: ١ ـ ٤.

(٢) النساء: ١١٤.

ينبغي أن يسائل المرء نفسه قبل أن يتحدث إلى الآخرين:

هل هناك ما يستدعي الكلام؟ فإن وجد داعياً إليه تكلم، وإلا فالصمت أولى به وإعراضه عن الكلام حيث لا ضرورة له عبادة جزيلة الأجر.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان!!»[1].

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «خمس، لهم أحسن من الدُّهُم الموقفة[2]: لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فَضْل، ولا آمن عليك الوزر..! ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً، فإن رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه؛ فعيب..!

ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقليك؛ وإن السفيه يؤذيك..! واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به؛ وأعفه مما تحب أن يعفيك منه..!

واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام»[3].

المسلم لا يستطيع هذا إلا إذا ملك لسانه، وسيطر على زمامه بقوة، فكبحه حيث يجب الصمت، وضبطه حين يريد المقال.

أما الذين تقودهم ألسنتهم فإنما تقودهم إلى مصارعهم.

* * *

إن للثرثرة ضجيجاً يذهب معه الرشد، وأكثر الذين يتصدرون المجالس ويتحدر منهم الكلام متتابعاً، يجزم مستمعهم بأنهم لا يستمدون حديثهم من وعي يقظٍ، أو فكرٍ عميقٍ، وربما ظن أن هناك انفصالاً بين العقل وهذا الكلام المسترسل!.

والمرء حين يريد أن يستجمع أفكاره ويراجع أعماله يجنح إلى الصمت، بل إنّه حين يريد أن يبصر نفسه ويرتب ذهنه، يفر من البيئة الصاخبة إلى ريف

(١) الطبراني. (٢) موقف من الخيل: الجيد منها. (٣) ابن أبي الدنيا.

صامت، أو ضاحيةٍ هادئةٍ. فلا جرم أن الإسلام يوصي بالصمت، ويعده وسيلة ناجعة من وسائل التربية المهذبة.

فمن نصائح رسول الله ﷺ لأبي ذرٍ: «عليك بطول الصمت، فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دينك»(١).

أجل إن اللسان السائب حبل مرخي في يد الشيطان يصرف صاحبه كيف شاء. فإذا لم يملك الإنسان أمره، كان فمه مدخلاً للنفايات التي تلوث قلبه وتضاعف فوقه حجب الغفلة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»(٢).

وأول مراحل هذه الاستقامة، أن ينفض يديه مما لا شأن له به، وألا يقحم نفسه فيما لا يسأل عنه: «من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه»(٣).

* * *

والبعد عن اللغو من أركان الفلاح، ودلائل الاكتمال، وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الإسلام المحكمة، هما الصلاة والزكاة:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُوْنَ. الَّذِيْنَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُوْنَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُوْنَ. وَالَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾(٤).

لو أن العالم أجمع أحصى ما يشغل فراغه من لغو في القول والعمل، لراعه أن يجد أكثر القصص المنشورة، والصحف المشهورة، والخطب والإذاعات لغواً مطّرداً، تعلق به الأعين، وتميل إليه الآذان، ولا ترجع بطائل.

وقد كره الإسلام اللغو؛ لأنه يكره التفاهات وسفاسف الأمور. ثم هو مضيعة للعمر، في غير ما خلق الإنسان له من جد وإنتاج.

وبقدر تنزه المسلم عن اللغو، تكون درجته عند الله.

عن أنس بن مالك قال: توفي رجل، فقال رجل آخر ـ ورسول الله ﷺ

---

(١) أحمد. (٢) أحمد. (٣) الترمذي.

(٤) المؤمنون: ١ ـ ٤.

يسمع -: أبشر بالجنة. فقال رسول الله: «أولا تدري؟ فلعله تكلم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه»[1].

واللاغي، لضعف الصلة بين فكره ونطقه؛ يرسل الكلام على عواهنه. فربما قذف بكلمة سست بواره ودمرت مستقبله، وقد قيل: من كثر لغطه كثر غلطه. وقال الشاعر:

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه   وليس يموت المرء من عثرة الرِّجلِ

وفي الحديث: «إن العبد ليقول الكلمة، لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس، يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض! وإن المرء ليزلُّ عن لسانه أشد مما يزلُّ عن قدميه!»[2].

* * *

فإذا تكلم المرء فليقل خيراً وليعوِّد لسانه الجميل من القول، فإن التعبير الحسن عما يجول في النفس أدبٌ عالٍ؛ أخذ الله به أهل الديانات جميعاً.

وقد أوضح القرآن أن القول الحسن من حقيقة الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل على عهد موسى.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُوْنَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً، وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[3].

والكلام الطيب العف يجمل مع الأصدقاء والأعداء جميعاً، وله ثماره الحلوة.

فأمَّا مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم، ويستديم صداقتهم، ويمنع كيد الشيطان أن يوهي حبالهم ويفسد ذات بينهم:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾[4].

---

(١) الترمذي.   (٢) البيهقي.   (٣) البقرة: ٨٣.

(٤) الإسراء: ٥٣.

إن الشيطان متربصٌ بالبشر، يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأن يجعل من النزاع التافه عراكاً دامياً ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل.

وأما حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفىء خصومتهم، ويكسر حدَّتهم، أو هو على الأقل يوقف تطور الشر واستطارة شرره.

﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1].

وفي تعويد الناس لطف التعبير مهما اختلفت أحوالهم يقول رسول الله:

«إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخُلُق»[2]. بل إنه يرى الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة.

﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[3].

والكلام الطيب خصلة تسلك مع ضروب البر ومظاهر الفضل، التي ترشح صاحبها لرضوان الله، وتكتب له النعيم المقيم.

روي عن أنس قال: قال رجل للنبي ﷺ: علمني عملاً يدخلني الجنة! قال: «أطعمِ الطعام، وأفشِ السلام، وصَلِّ بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام»[4].

وقد أمر الله عزّ وجلّ بأن يكون حجاجنا مع أصحاب الأديان الأخرى في هذا النطاق الهادىء الكريم، لا عنف فيه ولا نكر، إلا أن يجور علينا امرؤ أثيم، فيجب كبح جماحه، ومنع اعتدائه:

﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم ﴾[5].

وعظماء الرجال يلتزمون في أحوالهم جميعاً ألا تبدر منهم لفظة نابية،

---

(١) فصلت: ٣٤.　(٢) البزار.　(٣) البقرة: ٢٦٣.
(٤) البزار.　(٥) العنكبوت: ٤٦.

ويتحرجون مع صنوف الخلق، أن يكونوا سفهاء أو متطاولين.

روى مالك أنه بلغه عن يحيى بن سعيد: أن عيسى عليه السلام مر بخنزير على الطريق، فقال له: انفذ بسلام! فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء!.

* * *

ومن الناس من يعيش صفيق الوجه، شرس الطبع، لا يحجزه عن المباذل يقين، ولا تلزمه المكارم مروءة، ولا يبالي أن يتعرض للآخرين بما يكرهون؛ فإذا وَجَدَ مجالاً يُشْبِع فيه طبيعته النزقة الجهول، انطلق على وجهه لا ينتهي له صياح، ولا تنحبس له شرّة.

والرجل النبيل لا ينبغي أن يشتبك في حديث مع هؤلاء، فإن استثارة نزقهم فساد كبير، وسد ذريعته واجب، ومِنْ ثَمَّ شرع الإسلام مداراة السفهاء.

حدث أن وقف رجل من أولئك الجهّال أمام بيت الرسول يريد الدخول، فرأى النبي أن يحاسنه حتى يصرفه، ولم يكن من ذلك بد ـ فالحلم فِدام[1] السفيه ـ ولو تركه يسكب ما في طبيعته الفظة لسمع ما تتنزه عنه أذناه!!.

وعن عائشة قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «بئس أخو العشيرة هو» فلما دخل انبسط إليه وألان له القول، فلما خرج قلت: يا رسول الله، حين سمعت الرجل قلت: كذا وكذا، ثم تطلّقت في وجهه وانبسطت إليه!! فقال: «يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن من شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء فحشه»[2].

وهذا مسلك تصدقه التجارب، فإن الرجل لا يسوغ أن يفقد خلقه مع من لا خلق لهم. ولو أنه شغل بتاديب كل جهول يلقاه لأعيته الحيل من كثرة ما

---

(١) الفدام: ما يشد على الفم.

(٢) البخاري.

سوف يلقى. ولذلك عد القرآن الكريم في أوائل الصفات التي يتحلى بها عباد الرحمن، هذه المداراة العاصمة:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً، وَإِذا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾[1].

﴿ وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَقَالُوا: لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ ﴾[2].

وقد يكظم الإنسان غيظه مرة أو مرتين ثم ينفجر.

بَيد أن المطلوب من المسلم الفاضل، أن يطاول الأذى أكثر من ذلك حتى لا يدع الشر يسيطر على الموقف آخر الأمر.

عن سعيد بن المسيب قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس في أصحابه وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية فصمت عنه، ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر رضي الله عنه، فقام رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر: أَوَجَدْت علي يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن نزل ملك من السماء يكذبه بما قال، فلما انتصرت، ذهب الملك، وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ قعد الشيطان»[3].

* * *

ومداراة السفهاء لا تعني قبول الدَنيَّة. فالفرق بين الحالين بعيد.

الأولى ضبط النفس أمام عوامل الاستفزاز، ومنعها طوعاً أو كرهاً من أن تستجيشها دواعي الغضب وإدراك الثأر.

أما الأخرى فهي بلادة النفس، واستكانتها إلى الهون! وقبولها ما لا يرضى به ذو عقل أو مروءة.

وقد أعلن القرآن محبته لمداراة السفهاء وكراهيته لقبول الدنية.

---

(١) الفرقان: ٦٣.　　(٢) القصص: ٥٥　　(٣) أبو داود.

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً. إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴾[1].

* * *

ومن الضمانات التي اتخذها الإسلام لصيانة الكلام عن النزق والهوى تحريمه الجدل، وسده لأبوابه، حقاً كان أو باطلاً.

ذلك أن هناك أحوالاً تستبد بالنفس، وتغري بالمغالبة، وتجعل المرء يناوش غيره بالحديث، ويصيد الشبهات التي تدعم جانبه، والعبارات التي تروج حجته. فيكون حب الانتصار عنده أهم من إظهار الحق، وتبرز طبائع العناد والأثرة في صور منكرة، لا يبقى معها مكان لتبيين أو طمأنينة!!.

والإسلام ينفر من هذه الأحوال ويعدها خطراً على الدين والفضيلة.

قال رسول الله ﷺ: «من ترك المراء وهو مبطل بُني له بيت في ربض الجنة. ومن تركها وهو محق بُني له في وسطها، ومن حسن خلقه بُني له في أعلاها»[2].

وهناك أناس أوتوا بسطة في ألسنتهم، تغريهم بالاشتباك مع العالم والجاهل، وتجعل الكلام لديهم شهوة غالبة، فهم لا يملونه أبداً.

وهذا الصنف، إذا سلط ذلاقته على شؤون الناس أساء، وإذا سلطها على حقائق الدين شوه جمالها وأضاع هيبتها.

وقد سخط الإسلام أشد السخط على هذا الفريق الثرثار المتقعر.

قال النبي ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[3] وقال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[4].

هذا الصنف لا يقف ببسطة لسانه عند حدّ، إنه يريد الكلام فحسب، يريد أن يباهي به ويستطيل، إن الألفاظ تأتي في المرتبة الأولى، والمعاني في المرتبة

---

(١) النساء: ١٤٨، ١٤٩. (٢) أبو داود. (٣) البخاري.
(٤) الترمذي.

الثانية، أما الغرض النبيل، فربما كان له موضع أخير، وربما عزّ له موضع، وسط هذا الصخب.

ولقد حدث أن واحداً من أولئك الأغرار وفد إلى النبي ﷺ: «. . . عليه شارة حسنة» فجعل النبي لا يتكلم بكلام إلا كلفته نفسه أن يأتي بكلام يعلو كلام النبي ﷺ!! فلما انصرف قال رسول الله: «إن الله لا يحب هذا وأضرابه، يلوون ألسنتهم للناس ليَّ البقر بلسانها المرعى. كذلك يلوي الله تعالى ألسنتهم ووجوههم في النار»[1].

والجدال في الدين، والجدال في السياسة، والجدال في العلوم والآداب، عندما يتصدى له هذا النفر من الأدعياء البلغاء، يفسد به الدين، وتفسد السياسة والعلوم والآداب، ولعل السبب في الانهيار العمراني، والتحزب الفقهي، والانقسام الطائفي، وغير ذلك مما أصاب الأمة الإسلامية، هو هذا الجدل الملعون في حقائق الدين، وشؤون الحياة.

والجدل أبعد شيء عن البحث النزيه والاستدلال الموفق.

روي عن عدد من الصحابة، قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله، ثم انتهرنا فقال: «مهلاً يا أمة محمد، إنما هلك مَنْ كان قبلكم بهذا؛ ذَرُوا المِراء لقلة خيره، ذَروا المِراء فإن المؤمن لا يماري، ذَروا المِراء فإن المماري قد تمت خسارته، ذَروا المراء فكفى إثماً ألا تزال ممارياً، ذَروا المِراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذَروا المِراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة، رباضها، ووسطها، وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق. ذَروا المِراء، فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المِراء»[2].

* * *

وللناس مجالس يتجاذبون أطراف الحديث فيها، والإسلام يكره مجالس القاعدين الذين يقضون أوقاتهم في تَسَقُّط الأخبار وتَتَبُّع العيوب، لأن لهم

---

(١) الطبراني.

(٢) الطبراني.

فضول أموال يستريحون في ظلها، وليسوا يجدون شغلاً إلاّ في التسلي بشؤون الآخرين.

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ. الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾[1].

وقد فشا في عصرنا هـذا جلوس الجماهير في النوادي والمشارب.

وتلك آفة أصابت المجتمع بعلل شتى، وقد كثرت في المدائن والقرى لغير ضرورة مشروعة.

وفي الحديث: «إيّاكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال: إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، وردُّ السلام؛ والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[2].

---

(1) الهمزة: ١ ـ ٤ (٢) مسلم.



سلامة الصدر من الأحقاد

ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرأً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها، وأحس فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وذكر قول رسول الله ﷺ: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر»[1]، وإذا رأى أذى يلحق أحداً من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه، وذكر مناشدة الرسول ربه:

إن تغفر اللَّهُمَّ تغفرْ جَمّا وأيُّ عبدٍ لك ما ألمّا

وبذلك يحيا المسلم ناصعَ الصفحة، راضياً عن الله وعن الحياة، مستريحَ النفس من نزعات الحقد الأعمى، فإن فساد القلب بالضغائن داء عياء، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش؛ كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم!.

ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها.

أما القلب المشرق فإن الله يبارك في قليله. وهو إليه بكل خير أسرع:

عن عبدالله بن عمرو: «قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قيل: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد!»[2].

(١) أبو داود. (٢) ابن ماجه.

ومِنْ ثمَّ كانت الجماعة المسلمة حقاً، هي التي تقوم على عواطف الحب المشترك، والود الشائع، والتعاون المتبادل، والمجاملة الرقيقة، لا مكان فيها للفردية المتسلطة الكنود؛ بل هي كما وصف القرآن: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

* * *

إن الخصومة إذا نمت وغارت جذورها، وتفرعت أشواكها، شَلَّتْ زهرات الإيمان الغض، وَأَذْوَتْ ما يوحي به من حنان وسلام.

وعندئذ لا يكون في أداء العبادات المفروضة خير، ولا تستفيد النفس منها عصمة.

وكثيراً ما تطيش الخصومة بألباب ذويها، فتتدلى بهم إلى اقتراف الصغائر المسقطة للمروءة، والكبائر الموجبة للعنة، وعين السخط تنظر من زاوية داكنة، فهي تعمى عن الفضائل، وتضخِّم الرذائل، وقد يذهب بها الحقد إلى التخيل وافتراض الأكاذيب؛ وذلك كله مما يسخطه الإسلام ويحاذر وقوعه ويرى منعه أفضل القربات.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى! قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هو الحالقة؛ لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين!»[2].

ربما عجز الشيطان أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم، ولكنه ـ وهو الحريص على إغواء الإنسان وإيراده المهالك ـ لن يعجز عن المباعدة بينه وبين ربه، حتى يجهل حقوقه أشد مما يجهلها الوثني المخرِّف، وهو يحتال لذلك بإيقاد نيران العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم، وتلتهم علائقهم وفضائلهم:

قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة

(١) الحشر: ١٠.

(٢) الترمذي.

العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم»[1].

ذلك أن الشر إذا تمكن من الأفئدة فتنافر ودُّها، وانكسرت زجاجتها، ارتد الناس إلى حال من القسوة والعناد، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.

* * *

وقد تيقظ الإسلام لبوادر الجفاء، فَلاَحَقَها بالعلاج، قبل أن تستفحل وتستحيل إلى عداوة فاجرة، والمعروف أن البشر متفاوتون في أمزجتهم وأفهامهم، وأن التقاءهم في ميادين الحياة قد يتولد عنه ضيق وانحراف إن لم يكن صدام وتباعد. ولذلك شرع الإسلام من المبادىء ما يرد عن المسلمين عوادي الانقسام والفتنة، وما يمسك قلوبهم على مشاعر الولاء والمودة، فنهى عن التقاطع والتدابر.

نعم قد يحدث أن تشعر بإساءةٍ موجهةٍ إليك، فتحزن لها وتضيق بها، وتعزم على قطع صاحبها.

ولكن الله لا يرضى أن تنتهي الصلة بين مسلم ومسلم إلى هذا المصير.

قال النبي ﷺ: «لا تَقَاطَعُوا ولا تَدَابَرُوا، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[2].

وفي رواية: «لا يحق لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث. فإن مرت به ثلاث فَلْيَلْقَهُ فليسلم عليه. فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر. وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم، وخرج المسلِّم من الهجرة»[3] وهذا التوقيت فترة تهدأ فيها الحدَّة وينفثىء[4] الغضب. ثم يكون لزاماً على المسلم بعده أن يواصل إخوانه، وأن يعود معهم سيرته الأولى. كأن القطيعة غيمة، ما إن تجمعت حتى هبَّتْ عليها الريح فبددتها، وصفا الأفق بعد عبوس.

والإنسان في كل نزاع ينشب، أحد رجلين: إما أن يكون ظالماً، وإما أن

(١) مسلم. (٢) البخاري. (٣) أبو داود.

(٤) ينفثىء: من قولهم فثأ الغضب سكن.

يكون مظلوماً. فإن كان عادياً على غيره، ناقصاً لحقه، فينبغي أن يُقلِعَ عن غيه وأن يُصْلِحَ سيرته. وليعلم أنه لن يستل الضغن من قلب خصمه، إلا إذا عاد عليه بما يطمئنه ويرضيه. وقد أمر الإسلام المرء ـ والحالة هذه ـ أن يستصلح صاحبه ويطيب خاطره.

قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم، من قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[1].

ذلك نصح الإسلام لمن عليه الحق. أما من له الحق فقد رغب إليه أن يلين ويسمح، وأن يمسح أخطاء الأمس بقبول المعذرة، عندما يجيء له أخوه معتذراً ومستغفراً، ورفض الاعتذار خطأ كبيرٌ.

وفي الحديث: «من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس»[2].

وفي رواية: «من تَنَصَّل إليه فلم يقبل، لم يَرِدْ على الحوض»[3].

وبهذا الإرشاد المبين للطرفين جميعاً يحارب الإسلام الأحقاد، ويقتل جرثومتها في المهد، ويرتقي بالمجتمع المؤمن إلى مستوى رفيع، من الصداقات المتبادلة، أو المعاملات العادلة.

وقد اعتبر الإسلام من دلائل الصَّغَار وخسة الطبيعة، أن يرسب الغل في أعماق النفس فلا يخرج منها، بل يظل يموج في جوانبها كما يموج البركان المكتوم.

وكثير من أولئك الذينَ يحتبس الغل في أفئدتهم، يتلمسون متنفساً له في وجوه من يقع معهم، فلا يستريحون إلا إذا أرغوا وأزبدوا، وآذوا وأفسدوا:

---

(١) البخاري. (٢) ابن ماجه؛ المكس: نوع خبيث من نهب المال. (٣) الطبراني.

روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله. قال: إن شراركم الذي ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رَفْدَه، أفلا أنبئكم بشرٍ من ذلك؟ قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله، قال: الذين لا يقبلون عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: من لا يُرْجى خيرُه ولا يُؤْمَن شرُّه»(١).

والأصناف التي أحصاها هذا الحديث أمثلة لأطوار الحقد عندما تتضاعف علته وتفتضح سوأته، ولا غرو، فمن قديم أحسَّ الناس، حتى في جاهليتهم، أن الحقد صفة الطبقات الدنيا منْ الخلق! وأن ذوي المروءات يتنزهون عنه! قال عنترة:

لا يحْمِلُ الحقدَ من تَعْلو به الرُّتَبُ ... ولا ينالُ العلا من طبعـهُ الغضبُ

* * *

وهناك رذائل رَهَّبَ الإسلام منها، وليس يفوت النظر القريب أن تعرف مصدرها الدفين.

إنها على اختلاف مظاهرها، تعود إلى علة واحدة هي الحقد.

فالافتراء على الأبرياء جريمة، يدفع إليها الكره الشديد. ولما كان أثرها شديداً في تشويه الحقائق، وجرح المستورين، عدها الإسلام من أقبح الزور.

روت عائشة أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أتدرون أربى الربا عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم؛ ثم قرأ رسول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَد احتَمَلُوا بُهْتَاناً وإثماً مُبِيناً﴾(٢)».

ولا شك أن تلمس العيوب للناس، وإلصاقها بهم عن تَعَمُّدٍ يَدُلُّ على

---

(١) الطبراني.

(٢) أبو يعلى.

خبث ودناءة، وقد رتب الإسلام عقوباتٍ عاجلة لبعض جرائم الافتراء. وما يُبيِّتُ في الآخرة لصنوف الافتراء أشد وأنكى.

قال رسول الله: «من ذكر امرأ بشيء ليس فيه، ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه»[1].

وفي رواية: «أيّما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة، وهو منها بريء، يشينه بها في الدنيا، كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار، حتى يأتي بنفاد ما قال».

وما دام الذي قاله بهتاناً؛ فكيف يستطيع أن يثبت عند الله باطلاً؟ وكيف يتنصل من تبعته؟.

إن سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس، إن عجز عن سوقه إليهم بيَدِهِ.

أما الذي لا يجد بالناس شراً فينتحله لهم انتحالاً، ويزوره عليهم تزويراً فهو أفّاك صَفيق.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِين آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، واللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

ومن فضل الله على العباد أنه استحب ستر عيوب الخلق؛ ولو صدق اتصافهم بها. وما يجوز لمسلم أن يتشفّى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه، فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد؛ ويشتهي لهم العافية. أما التلهي بسرد الفضائح، وكشف الستور، وإبداء العورات؛ فليس مسلك المسلم الحق.

ومِنْ ثمّ حرّم الإسلام الغيبة، إذ هي متنفس حقدٍ مكظومٍ، وصدرٍ فقيرٍ إلى الرحمة والصفاء.

عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله

(١) الطبراني.

(٢) النور: ١٩.

وبينه صداقة متينة .. ثم كان حبى الأول لواحدة من أقاربه وكان اسمها « مترو» .. كانت قصة حب كتب عليها منذ البداية الا تستمر لان اباها أمر بقتلها بالرغم من انه اتيحت لى الفرصة الكاملة لقتله ولم اقتله .

هذه المفاجآت الثلاث قابلتنى فى لندن .. وكانت مع كل مفاجأة حكايات وكانت مع كل حكاية مواقف .. وأيضا كانت هناك أحلى الذكريات التى لا تنسى .. وستظل أبدا فى خاطرى الى آخر مشوار عمرى .

على ظهر السفينة التى كانت تجمعنى مع ولى العهد .. وبعد ان غادرنا ميناء الاسكندرية .. كان على أن أتذكر لقاءاتى مع كبير الامناء .. والقريبين من ولى العهد حتى أعرف أشياء كثيرة عن عاداته وتقاليده .. وماذا يحب ؟ وما يكره ؟ ماهى الاشياء التى تستحوذ على اهتمامه ؟ وما هى ـ أيضا ـ هواياته ؟ وماهى قراءاته والكتب التى يفضلها ؟ .. وعرفت ضمن ما عرفت من معلومات أنه وثيق الصلة بوالدته الملكة نازلى ، وأن لها دورا مؤثرا فى شخصيته الى درجة اقلقتنى أثناء وجودنا بالخارج . ولقد حمدت الله كثيرا .. اننى كنت اختزن الكثير من المعلومات فى الشئون العسكرية والاجتماعية ، وعلوم النفس والاجتماع والاثار .. وفى السياسة والاقتصاد والزراعة والفن والادب .. بالاضافة الى معرفتى للغات التركية والفرنسية والاسبانية وما يساعدنى على التخاطب باللغة الايطالية .. وذلك كله ما كان يساعدنى على أن تصبح كفتى هى الراجحة ـ فى بعض الاحيان ـ على كفة أحمد حسنين .. وأقول بحق ان أول صدام هادىء ورقيق بينى وبين ولى العهد كان حول لعبة الشطرنج .

كانت ليلة لا تنسى .

وكان أيضا موقفا لا ينسى ..

جمعتنى أمسية مع فاروق ولى العهد وأحمد حسنين .. كان الاخير يلاعب فاروق . وأنا بينهما أراقب ما يحدث فى شغف واهتمام .. وللوهلة الأولى ادركت ان أحمد حسنين فى غاية الذكاء .. وأيضا فى غاية

الرياء وهو يلعب على انه معترف بهزيمته للكفاءة بلا حدود التى تسيطر على العاب فاروق .. كان الاخير يخطىء فى تحريك العساكر والطابية والفيلين والحصانين وكذلك الوزير .. واللعب مستمر .. والتقريظ مستمر .. حتى اعترف أحمد حسنين بهزيمته .

واتجه فاروق ناحيتى برأسه وطلب منى أن العب معه .. ووافقته . وبدأ بحماس شديد من فاروق .

وبعد دقائق كنت أصحح له بعض الاخطاء فى أدب جم ، وأسلوب هادىء غاية فى الرقة .. وقلت له فى أثناء اللعب :

— لقد كانت هناك نفس الاخطاء وأنت تلعب مع أحمد حسنين .. ولقد أخطأ يا سمو الامير معك عندما لم يبادر بتصحيحه .. ان معرفة الخطأ يجعلنا نعرف الصواب .

ونظر فاروق الى أحمد حسنين نظرة عتاب ثاقبة .. ثم واظب على اللعب فى اهتمام شديد .. وبدأ يمعن النظر ويفكر بشدة قبل أن يحرك أى قطعة من الشطرنج وقام بلعبة جيدة .. وأثنيت عليه بشدة وقلت :

- ان التفكير الجيد .. يؤدى الى اللعبة الجيدة .

واستمر اللعب قرابة نصف ساعة .. ثم أخطأ فى لعبة أخرى .. وقمت بتصحيح الخطأ بقولى :

— هناك تحريك جيد آخر لو تم لاصبحت اللعبة مؤثرة أكثر .

وعندما انصاع فاروق لنصيحتى كان عليه أن يدفع جنديا من عندى .. وأخطأ مرة أخرى .. وقلت له فى أدب جم :

— اللعبة الافضل ستعطى نتيجة أفضل .. وحركت الفيل فى اتجاه معاكس .. ورفع فيلا من عندى .. وشعر بالابتهاج وهو يهز رأسه من السعادة . والحقيقة اننى لعبت لى وله أيضا .. وكان قرارى أن أحقق له الفوز حتى لا يشعر بالهزيمة منى فى أول لقاء عائلى - كما أسميته - على ظهر السفينة .. وقلت بعد أن حقق فوزه باللعب الجيد معى :

— ان احمد حسنين لم يحقق لك يا مولاى متعة الانتصار بعد أداء اللعب الجيد الذى يؤدى الى النصر او الانتصار على الخصم .. لقد كان نصرك معه زائفا وكان نصرك على حقيقيا .. وقلت وأنا ابتسم :

— أى نصر تفضل يا مولاى ؟

* يقول عزيز المصرى :

— فى الحقيقة لم أجد عنده الرد على سؤالى .. كانت مجرد ابتسامة هادئة أراها على وجهه الهادىء الصافى من أى تكشيرة تعبر عن الضيق أو الغضب .. وغادر المكان بعد ان أعطى اشارة بأحدى يديه تشير الى أنه يريد أن يكون وحده بدون أن يكون بصحبة أى أحد منا على الاطلاق .. وعندما توارى عن انظارنا اتجهت فى غضب شديد الى أحمد حسنين وقلت له :

— لماذا فعلت هذه الاخطاء الفادحة ؟ « كيف تراه يقع فى الخطأ وتوافق عليه » الأمر فى ظاهره قد يبدو عاديا جدا لانه أمير وولى العهد .. ولكن كيف يعرف الخطأ من الصواب ؟ انك بذلك تساعده على التصرفات الخاطئة .. انك تنزل به أشد الضرر .. انك تضره وتسىء اليه .. وفى نفس الوقت تسىء الى الشعب الذى سوف يحكمه فى يوم من الايام .. وقال أحمد حسنين :

— كيف أقول له انك مخطىء .. انه الامير .. انه ولى العهد الذى لا يجب أن توجه اليه اى لوم ، ولا يصح ان نوجه اليه ما يفيد أنه اخطأ فى لعبة مجرد لعبة .. ثم ابتسم فى خبث شديد .. وتابع حديثه قائلا :

— ما عليك فيما حدث ، ولا تعقد الامور بأكثر مما تحتمل فالمشوار مازال أمامنا طويلا .. ولا يجب ان يعرف أننا معه لنقيد أفكاره وسلوكياته وحياته .

وقلت له : لا تنس أن كلمة الحق .. من الممكن أن تجعله يعمل على حماية أصحاب الحقوق فى يوم من الايام .. ولا تنسى اننا اذا تركناه يفعل ما يريد أو ما يعتقد انه صواب وهو بعكس ذلك .. اننا بذلك نجعله يعتاد على الغش وأنا لن أكون هذا الشخص الذى أراه فى شخصك من خلال ما رأيت .. ان التاريخ مملوء بالحاشية التى اضاعت العروش على اصحابها .. اننى لا أقول خطبة عصماء .. لا أنت بالصغير ولا أنا كذلك .. وانما هى امانة أريد أن أقوم بها على

الوجه الصحيح .. اننى لا أريد الاختلاف معك من البداية .. وأريد أن اتفق معك حتى النهاية .. ولكن يبدو أن طريقنا مختلف .. انها امانة أريد من كلينا أن يحملها على كتفية ويؤديها فى صدق واخلاص كاملين .

واستأذنت فى الانصراف .. وتركت المكان والغضب يثور فى اعماقى .. والقلق يطرق رأسى فى الحاح شديد .. وقلت لنفسى : هل أنا أخطأت فى حق ولى العهد فاروق ؟ .. هل صدمته كلماتى وصراحتى التى ما قصدت من ورائها سوى مصلحته .. التى هى مصلحة الشعب المصرى فى ذات الوقت ؟ وهل لغة التخاطب مع الملوك والامراء يجب أن يسودها الكذب ويغلفها الرياء ؟ .. هل هو عالم الزيف والخداع الذى يكون السبب فى ضياع الشعوب .. وافتقاد الشعوب الى حقوقها وحريتها التى ينزعها منها ليس الملوك ولكن الحاشية التى تفسد الحقيقة .. وتشوه الواقع فى تفكيرهم .. وتحول الابيض الى أسود .. وتحول الظلام الى دور فاسد .

وتوقعت المزيد من المصادمات مع أحمد حسنين خلال الايام المقبلة .. وكان على أن أحتاط لما سوف يفعل ، وما سيقوم به من أخطاء وأيقنت تماما أن واجبى ثقيل ولكننى قررت ألا اتخلى عن مبادئى والا أنحنى أمام تيار الكذب والخداع الذى يسير عليه أحمد حسنين .. ولم أكن أدرى فى ذلك الوقت بالذات أن الايام كانت تدخر لى المزيد من المصادمات ، والكثير من المواقف الحرجة التى انتصر فيها خصمى أحمد حسنين .

* يقول عزيز المصرى

— لم يكن انتصار أحمد حسنين لانه الاقوى أو انه خصم فأفسد ولى العهد وهو شاب

صغير .. ثم افسده آخر وهو ملك كبير يجلس على عرش شعب احتله الانجليز .. فلن يجد فيه المنفذ أو الامل الذى يساعده على استرداد حقوقه الضائعة .. ولقد جنى فاروق ثمار فساده .. وافساده من حاشية خلت قلوبها من الرحمة والعدل االامانة والاخلاص الحقيقى

والاشارة الى الحق والحقيقة .. تماما كربان السفينة الذى أفسده مساعدوه الفاسدون الجهلة .. أو مثل قائد المعركة الذى لم يجد القادة الذين ينفذون خطته المحكمة التى يمكن أن توصله الى النصر .

ولن أنسى هذه الواقعة .

لن أنسى الفساد الذى كان يسرى فى عروق أحمد حسنين ، ويتغلغل داخل ثنايا عقله بشكل يثير الدهشة والتأمل حتى اننى تخيلته الشيطان فى صورة انسان كان كل همة أن يسيطر على ولى العهد فاروق وقد استطاع أن يصل الى أمله وخطته بأقصر طريق لتحطيم أى شاب تخلو حياته ، ويخلو عقله من الايمان بالله .. وبان كتابه القرآن الكريم هو الذى يحمل الهدى والهداية ، ويساعد على السلوك الايمانى السليم ، حتى يتمكن أن يصد شيطانه ويمنعه من التغلغل فى حياته .. فيقف كالسد المنيع أمام غواياته . كان من المفروض أن يأوى فاروق الى فراشه مبكرا أثناء اجازة قصيرة بعد جولة شاقة استغرقت طوال النهار ، وبعد الاطمئنان عليه ، وانه لن يفيق من نومه الا فى الصباح الباكر .. رجعت الى حجرتى ، ولم تكن بى رغبة ملحة بالذهاب الى الفراش .. اخترت كتابا عن تاريخ الانجليز القديم وأخذت أقرأ .. ومضى الوقت بسرعة ، وتطلعت الى الساعة ، كانت تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل .. وساد أعماقى قلق غامض واتجهت الى حارس البيت الريفى الصغير الذى كنا نقيم فيه ، كان الهدوء يخيم على البيت بأكمله والاضواء خافتة فى الداخل .. وفى الخارج أمام الباب الخارجى .. أخبرنى الحارس عندما سألته عن أحمد حسنين انه فى الخارج مع ولى العهد فاروق منذ قرابة الساعة الثامنة .. أى بعد أن تركته بساعة واحدة . ورجعت الى حجرتى والهم يفترس أعصابى ويشدها ، حتى شعرت بفوره فى دمى الذى يسرى فى شرايين جسدى وشعيرات رأسى .. وبدأت الوساوس تغزو رأسى وتفكيرى .. وتخيلت فشلى فى مهمتى .. اننى رجل عسكرى حياتى كلها قائمة على المعارك .. وكل ما كنت أخشاه فكرة الهزيمة التى لم أذق طعمها فى أى معركة دخلتها .. والآن أحس بالهزيمة ، ولكنها فى رأيى كانت من نوع اخر لم

أمارسه من قبل .. اننى الان مهزوم أمام الفساد وبسببه .

* كنت أعلم أين فاروق ؟ أو على الاقل كنت أعلم أين ذهب أحمد حسنين ومعه فاروق ؟ كانت النساء العالم الذى يفتحه أحمد حسنين على مصراعيه أمام فاروق .. وبالطبع ليس من المعقول أن أحضر فاروق امامى فأوبخه أو أعطيه محاضرة لسوء اخلاقه كبديل عن الاخلاق الطيبة التى يجب أن يتحلى بها .. انه ولى العهد والامير .. وهو ابن الملك . وطارت أى رغبة عندى فى النوم .. وبقيت متيقظا وأنا أتطلع الى الساعة من حين لاخر .. حتى دقت الثالثة وبعد نصف ساعة سمعت صوت عربة قادمة فى اتجاه المنزل ، ولما تبينت ملامحها وأنا أقف فى الشباك ، عرفت أنها عربتنا ، وبسرعة أضاءت جميع أنوار المنزل ، وفتحت الباب الخارجى .. واستقبلت فاروق الذى كانت تفوح رائحة الخمر من فمه وبجواره احمد حسنين يساعده فى السير ونحيته جانبا بضربة من يدى على صدره ، وأمسكت فاروق من أعلى ذراعه ، وصعدت به الى حجرته .. كل ما دار بيننا مجرد نظرات عندما كانت تلتقى عيوننا .. وبخلاف ذلك لم يكن هناك سوى الصمت بينى وبينه .

— كان أحمد حسنين يجلس على كرسى فى حجرته عندما اقتحمت الحجرة ثم أغلقت بابها علينا نحن الاثنين وقلت له فى ثورة جامحة :

— ما هو احساسك الان على الاقل بينك وبين نفسك عندما تقف على باب الفسق يا أحمد ، انك اذا لم تحترم منصبك فى معية فاروق فانه لن يحترمك .. لن تكون محترما فى عقله .. انت عنده وسيلة للتسليةسوالفساد .. انظر الى نفسك فى المرآة .. أى مرآة .. ستجد انسانا بلا شرف .. ستجد الشيطان .. لقد جئنا معه لنساعده كى يكون أميرا فى علمه ، وأخلاقه ، وسلوكياته .. ولكى يكون أمينا على أمانة الحكم بعد أن يعتلى العرش .. انك حين تفسده أنما تساعده على فساد حكمه .. والخسارة ليتها تعود عليه وحده .. انما سيشاركه الشعب المصرى فى هذه الخسارة الفادحة .

— وتوقفت عن الحديث .. وأردت أن أبصق فى وجهه .. واضربه حتى أدمى وجهه ويسيل منه الدم .. وقلت له :

— سوف أخبر الملك فؤاد بكل شيء .. أعلم أن تلك ليست سابقتك الأولى . وأعلم بعد كلماتى القاسية معك أنك لن تغفر لى أى كلمة تفوهت بها عنك .. ولكننى لا أخاف .. ولن أخشى أى شيء ..

وتركته وهو واقف كلوح الثلج .

وفتحت الباب ذاهبا الى غرفتى .

وكتبت أول خطاب الى الملك فؤاد بسوء قيادة واخلاقيات أحمد حسنين مع ولى العهد فاروق خلال الشهور الماضية .

استيقظ ولى العهد من نومه متأخرا جدا . وكان بشوش الوجه . الابتسامة لا تفارق شفتيه .. ووجدته بين الحين والاخر يقترب منى ويتحدث معى فى أمور تافهة .. ولا ينادى على أحمد حسنين .. ولم أكن أملك سوى مسايرته والرد على استفساراته .. وطلب منى الحديث عن بعض معاركى القديمة .. وكانت فرصة مناسبة لان أضمن حديثى معه عن معاركى بعض المبادىء فى السلوكيات والاخلاق الطيبة بدون أن اشعره بأى تأنيب . حكيت له احدى معاركى .. وأخبرته اننى لم اتناول الخمر .. لا أحبها ولا أطيق رائحتها لانها تفقد القائد الناجح الراغب فى الانتصار وضع خطته الكاملة لتحقيق النصر .. وأخبرته اننى كنت دائما أضع المصحف الشريف فى جيبى لا يفارقنى ليس للزينة .. ولكن لكى اقرأ فيه من حين لاخر .. لان قراءة القرآن تساعد المسلم على السلوك الايمانى المستقيم .. وتهديه الى الايمان الصادق خلال رحلة الحياة القصيرة .. وان قراءة القرآن تساعد القائد والحاكم على تطبيق العدل الذى يقرب شعبه اليه .. ومعرفة الحرية التى يهيبها لشعبه ويجعلها عنده كالماء والهواء ..

وقلت له : ان القرآن الكريم كان رسالة الله سبحانه وتعالى الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لتطبيق العدل .. وتحلى المسلم بصفات العدالة والسلوك الحسن وعدم ايذاء الاخرين .. وعدم الانصياع وراء الملذات التى تذهب العقل وتفسد الجسد وتغضب الله الذى يعدنا بالجنة اذا كنا مسلمين بالقول والفعل .

وشعرت ان كلماتى تنفذ اليه دون أدنى حرج .. وان لغتى البسيطة

معه فى الحديث المغلف بجزء من ماضى حياتى العسكرية يجد أذانا صاغية لديه .. واستأذنت منه لدقيقة واحدة .. وعندما عدت قلت له :

— اننى اقدم لسمو ولى العهد هذه الهدية الصغيرة الحجم الكبيرة الاهمية والمعنى والهدف .. هذا المصحف الشريف أضعه بين يديك وسوف تجد متعة كبيرة ، وفائدة عظيمة فى قراءته .

وأخذ المصحف الشريف .

وقلبه بين يده ..

وقال لى باسما :

— تأكد اننى سوف اقوم بقراءته .. ولكن تأكد اننى لا اعرفه الآن لأول مرة ، لقد تعلمت فى القصر بعض الايات ، وكان معلمى شيخا من رجال الدين .. ولكن دون شك القراءة الآن ستكون غيرها بالامس .

كان من عادتى تسجيل حياتى اليومية .. تماما أشبه بيوميات المحارب أو قائد السفينة .. وكانت هذه الطريقة تملأ نفسى بالراحة .. وتعطينى الاحساس التام بالارتياح .. وكانت هناك أسباب كثيرة وراء هذا الارتياح وتلك الراحة .. أولا حتى لا أنسى تفاصيل أى واقعة .. وثانيا لتحديد خطتى وأهداف فى المهمة التى جئت من أجلها فى صحبة فاروق الى لندن .. ولقد كان حرصى الدائم على نقطتين أساسيتين اثناء كتابة اليوميات :

* الأولى : عدم الحديث عن فاروق بأى الفاظ فيها اساءة له أو سوء سلوك أو آرائى نحوه بشكل عام .

* الثانية : أن حديثى كله كان مركزا على احمد حسنين وسوء سلوكه واخلاقياته الفاسدة وانه لا يصلح ابدا أن يكون فى صحبة الامير فاروق .

ولقد كنت محقا تماما فى خطتى ، وحدث ما كنت اتوقعه .. ففى احد الايام كنت خارج البيت الذى كنا نقيم فيه بلندن .. وطال غيابى لعدة ساعات .. وعند عودتى ، وبطريق الصدفة اكتشفت أن جزءا من هذه اليوميات وضعت فى غير مكانها الصحيح الذى تعودت أن أضعها فيه .. ولم يكن هناك أدنى شك فى نفسى أن هناك انسانا ما جاء وحاول

العبث بمقتنياتي ومن ضمنها هذه المذكرات .

وعرفت بعدها بيومين أن أحمد حسنين كان اللص الذى سطا على هذه المذكرات وقام بقراءة جانب كبير منها .. والله أعلم أن كان قد أطلع عليها فاروقا أم لا .

حصلت بطريقة غير لافتة لأنظار أو أى شك على بصمات أحمد حسنين وذهبت بها مع العديد من أوراق المذكرات الى اسكتلنديارد .. وعن طريق بعض معارفى تم التأكد ان هناك بصمات لأحمد حسنين على المذكرات تشابه بصماته التى حصلت عليها وشعرت بالارتياح تماما لهذه النتيجة لاننى استطعت بطريقة أو بأخرى معرفة المجرم الذى قام بارتكاب هذه الجريمة اللااخلاقية .. وقررت الاحتفاظ بهذا السر بينى وبين نفسى للوقت المناسب .. لان اطلاع فاروق على ما حدث لم يكن بأى حال من الاحوال مناسبا لان معنى ذلك اننى جعلته شريكا فى الجريمة حتى ولو لم يكن على علم بها .. وفى نفس الوقت لم تكن معرفته لتضيف لى أى فائدة . وكان قرارى صائبا .. وكانت وجهة نظرى سليمة .

ومرت عدة أسابيع ..

وضعت خطة لزيارة فاروق لمتحف الجريمة فى اسكتلانديارد .. حيث أشهر الجرائم فى المجتمع الانجليزى بشكل عام واللندنى بشكل خاص ..

وبعد عودتنا من متحف الجريمة جمعتنى الظروف لأن أجلس وحدى مع أحمد حسنين .. وقلت له :

— ماذا أعجبك فى المتحف ؟

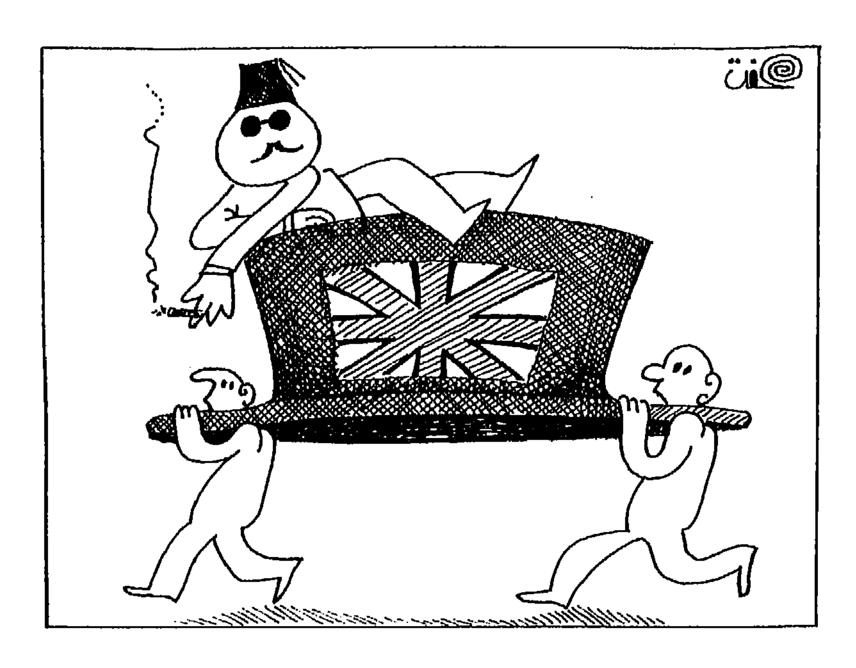
قال : آمنت تماما أن الجريمة لاتفيد .

وقلت له وشبح ابتسامة على فمى :

— وماذا استفدت من سطوك على مذكراتى ؟ لقد دخلت حجرتى فى غيابى وعبثت بحاجياتى واطلعت على مذكراتى لماذا ؟ لقد تأكدت من انك المجرم .. حصلت على بصماتك وضاهيتها ببصماتك على المذكرات .. أكرر قولى السابق انك قواد وأضيف الى هذه الكلمة : انك أيضا « حقير » .



الفصل الخامس



« الانجليز والملك والأحزاب شوهوا تاريخ كفاحى »

انا والشيخ على عبدالرازق نلتقى صدفة فى لندن .

- الملكة نازلى تعارض الملك فؤاد فى عودة احمد حسنين .
- رشحت نفسى لعضوية مجلس النواب ولكننى تراجعت فى آخر لحظة .
- ماهى حكاية المهندس مصطفى خليل بمنع نسف كوبرى امبابة .
- ماذا قالت الطلائع المثقفة فى الأحزاب بعد حادث ٤ فبراير ؟
- خدعت الأنجليز بحكاية « الدمينون » لمنعهم من مراقبتى .

مادامت هناك حياة وانسان .. سيظل دائما هناك فرق بين الأبيض والأسود والخير والشر ، والعطاء وايضا التقاعس عن أداء الواجب .. وسيظل هناك فاصل بين الخبيث والطيب ، والعدل والظلم ، والنور والظلام والقوى والضعيف ، .. والفساد والتقوى ، والحب الانسانى ، والكره الشيطانى ، والانسان الذى يقود الى الطريق المستقيم ، والقواد الذى يرضى بالطريق الأعوج لخسة فى نفسه ، وضعف فى شخصيته وحرمات ومحرمات يجلس فوق عرشها فى ذلة واستكانة بدون نخوة تسرى فى عروق رجولته . تهزه حتى يفيق من غفوته .. وكل ماعرفته عن أحمد حسنين انه كان شيطانا ملك نواصى الغواية فصبها فى بحر حياة ولى العهد فاروق حتى انقاد له ، وأصبح شخصا بلا ارادة فى سبيل ملذاته على الرغم من صغر سنه .

والباعث على الدهشة اننى كلما ضيقت عليه الخناق ، تبلد احساسه وتجمدت مشاعره على مابداخل رأسه من الفساد .. ويواصل عزيز المصرى كلماته لى قائلا : ولن انسى كلمات أحمد حسنين :

— ياعزيز بك .. مافى رأسك لايمكن ان يدخل رأس ولى العهد .. اننى لست وراء فساده بالصورة التى تراها .. وهو ليس فى حاجة الى نصائحك التى تقطر بالمرارة وانت تغلفها بقطع السكر .. فى مصر ، وداخل القصر أمه الملكة نازلى هى التى تشرف على حياته .. وهو لصيق بها الى درجة لايمكن أن يصدقها عقل .. وما أفعله بناء على رغبته .. كانت تقوم به بناء على رغبتها .. اننى لا أطلب منك المستحيل .. ولكن دع السفينة تسير فى مجراها حتى نعود الى مصر .

قلت له فى أسى شديد :

— لاأستطيع ان أركب سفينتك .. ولكننى سأركب سفينتى

بطريقتى الخاصة .. وقرار بقائى من عدمه سوف اتركه للملك فؤاد فهو صاحب القرار .

ووسط هذا الطوفان من المشاكل .. التقيت مصادفة فى لندن مع الشيخ على عبدالرازق .. وكان اللقاء حارا وصادق المشاعر من القلب .. وما أجمل لقاء أهل البلد الواحد فى الغربة حيث الشعور بالوحدة والحنين الى الأهل والأصدقاء ونسمة الهواء التى تنعش الأعصاب وترطب المشاعر .. وما أجمل ذكريات الرجال من خلال حاضر يتصل بالماضى ، ويبعث الأمل فى المستقبل .

● يقول عزيز المصرى :

— اذا كان الانسان فى بلد غريب على بلده ، وكان هذا البلد يعيش فى حرية ويتمتع بالديمقراطية .. وأهله وناسه يعيشون حياة راقية .. هنا الألم يعتصر القلب ويدمى الفؤاد .. ولقد راودنى هذا الاحساس عندما كنت فى المنفى فى اسبانيا ثم بعد ان زرت فرنسا والمانيا وبعض المدن الأوروبية .. وكان السؤال الذى يراودنى دائما : لماذا نحن المسلمين لانكون احرارا فى بلادنا ؟ هل هو عذاب قدرنا ان نعيشه ونورثه لأجيال الشباب من الأبناء والأحفاد ؟ لقد كنا أمة واحدة نتمتع بالقوة والحرية والاستقلال وضيعنا ذلك كله .. وكان ضياع بلاد الأندلس بداية انحسار هذا المد القوى الاسطورى الذى كنا على وشك ان تنزل جيوش المسلمين من فوق جبال البرانس الى سهول فرنسا وغيرها من البلاد .

لقد افاد الغرب من حضارتنا وواصلوا طريق الابداع والتقدم .. وكنا نحن نقف فى حركة ثابتة .. ثم مالبثت هذه الحركة ان تحركت الى الخلف .. كان السؤال الذى طرحه الشيخ على عبدالرازق :

— متى نصحو من غفلتنا ؟ .. متى نتحرر من الاستعمار ونبنى مصر فتقوى البلاد العربية ؟ ان الدين الاسلامى فيه اساس البناء ، ولكننا سلفيون جامدون .. خائفون نتقوقع داخل الماضى ونحارب الحاضر .. نحارب انفسنا .. عالم يحارب عالما .. ومثقف يحارب مثقفا .. وحزب يهاجم آخر ، وأطماع تغلف هذا الصراع والشاهد

علينا فى شماتة الانجليز .. الاستعمار الذى يجد عندنا خطة او هدفا او رجالا لديهم القدرة على مزيد من التضحية ..

● وقلت له :

— تلك هى حكايتك ..

وهذا هو الطريق الذى اردت ان تشقه فوضعوا امامك العراقيل .. وفصلت من عملك بسبب كتابك « الاسلام وأصول الحكم » .

وهاجمت ذكريات الماضى ..

وتبعثرت شظاياه ..

● يقول عزيز المصرى :

— لقد كان الشيخ على عبدالرازق صاحب معركة دينية وسياسية واجتماعية رفع لواءها من خلال كتابه : « الاسلام وأصول الحكم » .. وقبل المضى فى طريق هذه المعركة ، وماخلفته وراءها من حوارات وتراشق بالمقالات والهجوم المرير على صاحبها من الاحزاب والقصر ـ الملك فؤاد ـ والمثقفين ورجال الدين .. وايضا من الانجليز الذين كانوا يمسكون بجميع خيوط السياسة المصرية من الالف الى الياء .

وكما كان اللقاء مع الشيخ على عبدالرازق فى لندن صدفة وبغير ميعاد كان الفراق بعد موعد لم استطع الوفاء به لمرض أصاب ولى العهد فاروق .. أصيب بنزلة برد حادة ، انقلبت الى التهاب رئوى بسبب سهرة قضاها الى مابعد منتصف الليل وهو فى دور النقاهة .. ولقد اقلقنى بشدة اشتداد علة المرض .. ووهن صحته واعتلال جسده .. حتى قضيت ليلتين وبجوارى أحمد حسنين ارتجف واياه من الخوف والرعب خوفا على حياة فاروق .. وفى الواقع لم يكن لدى ماأقوله من كلمات التأنيب فلقد نفدت من عندى كل الكلمات .. كدت اسكبها فى أذنه مرة فى هدوء وأخرى فى ثورة عارمة ، ولكنه للأسف كان بليد الاحساس .

منعنى مرض فاروق من وداع الشيخ على عبدالرازق .. وكدت بحق أشد شوقا للجلوس معه قبل سفره .. ولكن الأمر لم يكن بيدى .. ولم أكن استطيع تحت أى ظرف الابتعاد عن فاروق حتى بدأ يتماثل

للشفاء .. وشعر باحساس صادق مدى رعايتى له .. وقلقى عليه .. وشعورى الأبوى نحوه .. فمرحلة المرض شدتنى اليه .. وجعلتنى اعامله تماما مثل ابنى « عمر » الذى ابتعدت عنه شهورا طويلة .. كانت علاقتى مع فاروق ، ومشاعرى نحوه .. تماما كعلاقة الأب نحو ولده وليست علاقة الرائد نحو ولى العهد .

وذات مساء طلب منى ان أجلس بجواره ، وأن أقرأ له بعض آيات القرآن ولم أتردد فى تحقيق هذه الأمنية .. وتكرر ذلك عدة مرات حتى شفى تماما .. وعادت اليه صحته وعافيته .. وبدأت تتوطد العلاقات .. فسادت المودة ، وكدت أصحبه فى جولات حرة فى لندن .. وذات صباح حمل الينا البريد امرا من الملك برحيل أحمد حسنين الى القاهرة .. وتأكدت ان خطاباتى وصلت اليه وعلم بسلوكه مع ولى العهد .. وكانت مفاجأة أن جاء خطاب من الملكة نازلى تطلب فيه من أحمد حسنين البقاء مع فاروق ، وانها قد استأذنت الملك فؤاد فى هذا الطلب .. وفى الحق لم تدم حيرتى وقتا طويلا امام هذا التضارب وعدم الثبات على رأى واحد حول بقاء او سفر احمد حسنين .. والأمر لم يعد يهمنى فى قليل أو كثير ، لأننى كنت قد بلغت درجة من الشبع العقلانى بأن تظاهر فاروق لارضائى ليس سوى امرا وقتيا ، وان انسياقة فى تيار حسنين « امر طبيعى ولايمكن بأى حال من الأحوال التخلى عنه ..

وفكرت اكثر من مرة فى التخلى عن مهمتى والعودة الى القاهرة .. ولكن احساسى بالفشل جعلنى اقلع عن هذه الفكرة .. وقررت واقتنعت ان مجرد وجودى انما هو حاجز ولو بنسبة خمسين بالمائة للتصدى لنزوات فاروق التى بدأت تعود لمجراها الطبيعى كما كانت فى السابق .. وحتى ادعم وجودى بجوار فاروق ارسلت خطابا الى الملك فؤاد أخبره فيه ان القواعد والخطة التى اتفقنا عليها لحياة فاروق اثناء الدراسة لايلتزم بها على الاطلاق أحمد حسنين .. وأننى أضع نفسى رهن اوامره فى البقاء أو العودة للقاهرة .. ولم يدم انتظارى طويلا ، فقد جاء خطاب ملكى يخبرنى فيه الملك فؤاد بضرورة العودة للقاهرة وطلب منى اطلاع فاروق على خطابه لى .. وضرورة التزامه بكل الاجراءات والخطة التى

وضعت من اجل مواصلة دراسته .. ولم أطلع ولى العهد على خطاب والده الملك .. ولكن احمد حسنين اخبرنى بعد عدة أيام ان الملك فؤاد أرسل خطابا لابنه يرجوه فيه اتباع تعليماتى الأخيرة قبل رجوعى للقاهرة .. وأحسست بالراحة التامة وتنفست الصعداء لأن مهمتى وصلت الى نهاية .

وذات مساء وكان يوافق الثامن والعشرين من شهر ابريل عام ١٩٣٦ وصلت برقية عاجلة تفيد بوفاة الملك فؤاد . وضرورة عودة فاروق على الفور ليتوج ملكا على مصر واذكر تماما اننى جلست مع فاروق بعد وصوله للقاهرة وقدمت له التعازى فى وفاة والده . وقلت له :

— لقد كنت فى خدمتك يامولاى وانت وليا للعهد ، والآن أضع خبرتى وكل امكانياتى فى خدمتك ، وفى المكان الذى تراه مناسبا لأداء مهمتى على الوجه والاسلوب الذى تراه .

وكانت دهشتى بالغة عندما قام من جلسته فى أدب جم ، وقال ويداه بجوار فخذيه كأنما هى وقفة عسكرية من ضابط الى قائده :

— لا أعتقد أننى سوف انساك ، ولاشك ان مكانك سيظل الى جوارى تأكد من ذلك ..

● يقول عزيز المصرى :

— كان يقينى انه لن يفى بأى وعد نحوى .. ولم اكن اطمع فى أى منصب الى جواره مادام هو لا يريد ذلك ، لذلك حدث مايشبه الجفوة بينى وبينه .. وكان أحمد حسنين واللواء عمر فتحى لايفارقانه ليل نهار .. وتأكد لى تماما أن فاروق قد اختار جانب الفساد والمفسدين .. وأن ملكا على هذا القدر من سوء التقدير والانقياد لملذاته .. وتسخير كل من حوله لتحقيق هذه النزوات لايمكن بأى حال من الأحوال أن يكون ملكا تنعقد عليه آمال شعب مصر .. وحتى هذه اللحظة ومن خلال معايشتى له فى حياة يومية مستمرة عرفت الكثير جدا عن شخصيته .. ووقفت على ثقافته العامة .

كانت شخصية فاروق تعتمد على عدم الثقة فى نفسه ، كانت قراراته يشوبها الاهتزاز .. يتفق على خطة أو رأى ، ثم لايلبث أن يتراجع

فيه .. لامانع ان يستمع الى اكثر من رأى ، ولكنه فى النهاية يصر على رأيه .. تشعر من حديثه انه قليل العلم والمعرفة ، ويغطى نقطة الضعف تلك ، بحديث يجمع فى مجمله بين اللغة العربية واللغتين الفرنسية والانجليزية .. واذا ثار يتحول الى طفل صغير يحتاج الى صبر طويل فى المعاملة حتى يعود هادئا كما كان منذ دقائق .. وكان انطوائيا لامانع لديه ان يقضى ساعات يسير وحده دون رفيق .. او أن يجلس وهو يضع ساقا فوق أخرى ورأسه بين يديه .. أو ملقى على وسادة يتأمل كل ماحوله فى هدوء .. ثم لايلبث هذا الهدوء ان يتحول الى عبث .. فى ضحكة عالية او قهقهة بصوت مرتفع .. وكان يعشق ركوب الخيل .. ويجيد اصابة الهدف بالبندقية ، وهاتان الهوايتان حاولت أقصى جهدى ان تكون وسيلتى لمزيد من تقوية اواصر الثقة والتقارب بينى وبينه .. وقد نجحت فى ذلك الاتجاه .. ولكن فى اللحظة التى اعتقد أننى حققت هدفى .. أجده يصطنع الجفاء خاصة اذا كنت أضيق عليه الخناق - بأسلوب مؤدب - فى جولاته الماجنة بصحبة أحمد حسنين .. ولقد تيقنت تماما أنه يجب ان يستمع الى الاخرين .. ويأخذ قراراته دون ان يستمع الى الطرف الاخر .. هذه الأشياء مجتمعة جعلتنى اتصور نوع الحكم الذى سوف يمارسه والدور الذى سوف يلعبه فى حياة مصر السياسية والاجتماعية .. وبالرغم من ذلك كله فان الشعب المصرى كان يضع فى الملك فاروق الكثير من الامال .. وينظر اليه كمرحلة جديدة تختلف تماما عن تلك التى عاشها فى ظل الملك فؤاد الذى كان يجنح الى تجميع كل خيوط السلطة فى يديه ويحكم بشكل شمولى يتجه الى الديكتاتورية فى اصدار القرار غير مكترث لقيمة سياسية او اجتماعية .. وغير عابىء بمصلحة الشعب الذى يحكمه الشعب الذى كان يعيش نار الاحتلال .. ونار حكم الملك فؤاد .

وصل فاروق الى القاهرة فى السادس من شهر مايو ١٩٣٦ .. وأقيمت احتفالات تتويج فاروق ملكا على عرش مصر ، وقد استقبله الشعب المصرى استقبال البطل العائد من المعركة بعد ان حقق الفخار بالانتصار .. كانت مصر كلها تهتف من الأعماق عاش الملك . عاش

الملك . كان على ماهر باشا وقتها رئيسا للوزراء ، واذكر انه طلبنى بعد وصول الملك فاروق بيومين ، وطلب منى اعداد تقرير عاجل حول تقوية الجيش المصرى وامكانية زيادة عدد افراد قواته التى لم تكن تصل فى ذلك الوقت الى ٢٠ الف جندى وضابط مع تسليح أقل مايوصف انه كان متدنيا الى درجة كبيرة .

ولكن الأمور سارت بعكس الاتجاه المطلوب .. فقد تولى النحاس باشا رئاسة الوزارة فى العاشر من مايو عام ١٩٣٦ .. لم تكن العلاقة بينى وبين مصطفى النحاس قوية .. ولم اكن من رجال حزب الوفد .. ومن هنا واجهت الجفاء من جبهتين :

* الأولى : جبهة الملك فاروق التى انقطع اتصالى بها تماما .

* الثانية : جبهة الحكومة التى كان على قمتها مصطفى النحاس باشا .

وكانت مفارقة طريفة جدا أننى كنت أحصل على راتب رتبة اللواء دون أن أؤدى أى عمل .. وبعد عدة أشهر أرسلت خطابا إلى مصطفى النحاس باشا أطلب فيه أداء العمل المناسب مقابل الراتب الذى أحصل عليه كل أول شهر .. وتحدد لى موعد للقائه .. جلست معه قرابة خمس عشرة دقيقة .. قال لى :

— أنا لا أملك أن اقطع عنك هذا الراتب مهما كانت الأسباب .. تلك هى أوامر الملك .. ولقد أخبرنى بذلك أحمد حسنين باشا .. وفى نفس الوقت لا أستطيع أن أعد بعمل عاجل أو سريع .. ولكنى سوف أبحث هذا الأمر فى جدية شديدة .

* يقول عزيز المصرى :

— ومر عام ومضت شهور وأنا فى قلق وحيرة .. وكانت أوقاتى أقضيها فى القراءة ومقابلة الأصدقاء ، والذهاب إلى جريدة السياسة التى كان يرأس تحريرها محمد حسين هيكل .. وخلال هذه الفترة لم تنقطع صلتى بمحمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين .. ولقد كان يصغى إلى جيدا وأنا أتحدث عن أحوال الجيش المصرى وضرورة تقويته وإقصاء البعثة الانجليزية التى

تسيطر عليه سيطرة كاملة .

وفى وزارة محمد محمود باشا التى شكلها عام ١٩٣٨ .. تم استدعائى إلى بيته وأخبرنى أنه يفكر جديا فى تعيينى رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ، وأن الأمل كبير فى تنفيذ ما كنت ألقيه على مسامعه من تقوية الجيش .. وطلب منى تقديم خطة عاجلة لما أراه مناسبا لاصلاح حال الجيش .. وبعد عدة أيام اجتمعنا معا وأخبرنى أن منصب رئيس الأركان يجد معارضة شديدة من الملك فاروق والانجليز .. وهناك تخوف عام من أسلوبى الجاف ، وموقفى المعارض لاستمرار الاحتلال .. ولكنه فى إصرار شديد وعد بأنه لن يتخلى عن خطته معى حتى لو اضطر إلى الاستقالة .. لأن مفاوضاته مع الانجليز كانت تسير فى خط بضرورة تقوية الجيش المصرى وتزويده بالسلاح المناسب .. وكان محمد محمود باشا على وعده ، ولم تمض عدة أيام حتى صدر قرار بتعيينى مفتشا عاما للجيش المصرى .

وفى اليوم الأول بعد قرار التعيين ذهبت للاجتماع مع الفريق حسين رفقى باشا وزير الدفاع .. كانت المقابلة للتعارف .. ولكنها انقلبت إلى حوار ساخن استمر ثلاث ساعات .. لم أجده متحمسا قدر حماسى ، ولم أجد فيه الشخصية العسكرية التى تساعدنى فى أداء واجبى .. كان من المفروض أن نكون أصدقاء .. ولكننا بعد هذه المقابلة كنا فى حالة خصام تنذر بفشل مهمتى .. وبرغم ذلك حاولت وضع خطة لتدريب قرابة ثلاثين ألف جندى مصرى .. وكتبت تقريرا بالسلاح المطلوب من طائرات وعربات مدرعة ومدفعية وتشكيل سلاح مهندسين عصرى ، لأن السلاح الموجود كان لا يصلح للاستعمال لقدمه وعدم صلاحيته لاجراء أى مناورة عسكرية مثالية .. والصراع الذى وجدته عند حسين رفقى باشا .. ووجدته عند خليفته فى وزارة الدفاع حسن صبرى باشا .. وكان الانجليز يقفون بالمرصاد لجميع تحركاتى ولقاءاتى مع الضباط والجنود .. بالحق كدت أحس بالسعادة وأنا أعيش بينهم .. وأتحرك وسطهم وأبث فيهم الحماس بأنهم بداية لجيش مصرى جديد .

اعتبر الانجليز وجودى فى وظيفتى كمفتش عام للجيش المصرى وبالأسلوب الذى كنت اتبعه ومن خلال محاضراتى للضباط .. اعتبروا هذه التصرفات عملا عدوانيا على مصالحهم السياسية فى مصر .. وعلى استمرار وجودهم على قمم قيادات الجيش .. كما اعتبروا مطالبتى المستمرة بتحديث السلاح عملا ثوريا يجب أن أحصل مقابله على الجزاء المناسب .. وكان هذا الجزاء تجميد وظيفتى .. ووقف نشاطى وسحب جميع اختصاصاتى .. وكان جوابى الجلوس فى بيتى ، ووضع ردائى العسكرى داخل دولابى بحجرة النوم .. وتحول الرداء إلى مجرد ذكريات كلها ندم وحسرة على الدولة الضعيفة التى توضع لها سياساتها من المستعمرين لضعف عام فى رجالها وأحزابها وجيوشها وحاكمها الذى تمتلىء عيناه بهيبة ومحاسن الوظيفة ـ الحكم ـ فنسى نفسه .. وبالتالى نسى شعبه .

والسؤال الآن :

● ما هى الجبهات التى أرادت إبعاد عزيز المصرى عن منصبه ؟ ولماذا حاربوه وأيضا اتفقت أهدافهم على مضايقته بأحط الصور والأساليب غير الأخلاقية ؟

● يقول عزيز المصرى : كانت الجبهات كثيرة ومتعددة ..

● الملك فاروق : وكنت بالنسبة له شخصية لا توافق هواه وأهواءه الفاسدة .. وأنا أيضا لديه شخصية غير مرغوب فى وجودها داخل أى منصب عسكرى رسمى .. وقد ساعده فى ذلك ـ فى فترة لاحقة ـ غريمى الأول أحمد حسنين باشاالذى وصل إلى منصب رئيس الديوان الملكى .. الاثنان شكلا جبهة ضدى ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها .. عدم إسناد أى منصب عسكرى لى بعد عودتنا ـ الملك وأنا ـ من لندن .. واعتقادى الشخصى بأن أحمد حسنين لم يكن لينسى أبدا ـ ولن ينسى حتى موته ـ هجومى المباشر عليه فى لندن والألفاظ الجارحة التى كنت أصفه بها ، وقد ساعده فى ذلك عند الملك فاروق الملكة نازلى والدة فاروق ـ التى حاربت وجودى مع ابنها فاروق فى لندن ثم خشيت وجودى فى مصر معه لأننى كنت ضد استهتاره ومجونه وهذه التصرفات

التى كانت تبثها فى نفسه وفى سلوكياته حتى يصبح لها نوع من السيطرة من خلال هذه السلوكيات فى السيطرة على الأحزاب وتشكيل الوزارات وممارسة كل أنواع الفساد .. ولقد علمت من محمد محمود باشا وعلى ماهر باشا كيف أنهما وجدا صعوبة بالغة لدى الملك عند اختيارى مفتشا عاما للجيش .. ثم رئيسا لأركان الجيش .. وأنهما وجدا صعوبة بالغة فى إقناعه بكفاءتى التى أكدها ولكنه خشى من نتائج تصرفاتى الجادة التى وصفها بأننى شخصية متعصبة . ولقد سمعت الملك فاروق بعد أداء اليمين وهو يقول فى غيظ مكتوم :

— كل الجبهات ضدك .. ولقد اتفقوا جميعا على أن بعض الزملاء لك أصبحوا قيادات عليا فى بلادهم مثل كمال أتاتورك وعصمت أينونو ونورى السعيد وأنت تريد مصر لنفسك .. لقد تحمل على ماهر باشا رئيس الوزراء مسئوليتك . لقد كان الترشيح أن تصبح وزيرا للحربية .. ولكن هذا المنصب بداية .. أن أحسنت فيه اخترناك فيما بعد وزيرا للحربية .

وأذكر أننى قبل التشكيل الوزارى الذى تم اختيارى فيه رئيسا للأركان أن رجوت على باشا ماهر رئيس الوزراء أن يُختار وزيرا للحربية على الأقل لا يكون فى مستوى عسكرى متدن حتى لا اختلف معه .. وألا يكون أقل كفاءة من امكانياتى ، وعندما أخبرنى أنه اختار صالح باشا حرب وافقت ، وارتاح قلبى لأننى كنت أعرفه منذ أن كنا معا فى الحرب الشعبية الليبية ضد الغزو الايطالى عام ١٩١١

● الانجليز : وكان تاريخى معهم طويلا ومريرا .. أرادوا فى شتى مراحل حياتى معهم إخضاعى إلى جانبهم وكانت الاغراءات كثيرة ومتعددة تغوى ذوى النفوس الضعيفة ولكننى رفضت .. ولما اشتد رفضى فى البداية عيرونى بأنهم كانوا وراء العفو عنى عند السلطان محمد رشاد بعد الحكم بإعدامى .

ثم كشفت خططهم فى إنشاء الجيش العربى وكان الجزاء إبعادى منفيا خارج مصر إلى أسبانيا .. وقد سدوا فى وجهى كل المنافذ وأنا مفتش عام للجيش وحاربونى بأساليبهم المعقدة العتيدة .. وفى منصب

رئيس الأركان كانت شكواهم مستمرة لنشاطى المستمر وسط أبنائى الضباط .. وعندما طالبت بزيادة عدد قوات الجيش إلى ٥٠ ألف جندى ثم مائة ألف جندى جن جنونهم وخاصة أن الحرب العالمية الثانية كانت تدور رحاها فى أوربا وكانوا يخشون من ولاء الضباط الذى كان واضحا ويشعرون به من عيونهم عندما كانوا ينقلون إليهم اخبارى .. ولم أكن أخشى أو أهاب سوى الله .. كنت أبث الحماس فى الضباط والجنود على حد سواء لدرجة أننى كنت أنام فى الثكنات .

ولقد طالبت بعد استمرار الالحاح ، بالحصول على السلاح دون جدوى بالحصول عليه من عند غير الانجليز .. وبخلاف ذلك كنت من أصحاب الرأى الذين ينادون بعدم إعلان مصر الحرب على ألمانيا وهذا ما كان يوافق عليه على باشا ماهر .. وكان الجهر بهذا الرأى أمرا أقلقهم كثيرا لأنهم كانوا يريدون بخلاف ذلك لصالح خطتهم العسكرية .. وكان ـ أيضا ـ قد سبق لى كشف فساد خططهم العسكرية فى مرسى مطروح ، وطلبى نقل هذه الاستعدادات إلى منطقة العلمين .. وكان هناك سبب جوهرى فى رغبتهم فى إبعادى عن هذا المنصب القيادى داخل الجيش وهو احتمال قيامى بضربهم أو التمرد على خططهم أو مساعدة أى غزو ألمانى قادم تجاه الشرق الأمر الذى يفسد خططهم العسكرية وربما يؤدى إلى هزيمتهم فى تلك الجبهة العسكرية .. وأقول بكل الصدق ولأول مرة أن هذا الهاجس أجتاحنى وشغل تفكيرى عدة أسابيع طويلة .. لدرجة أننى وضعت خطة عسكرية من خلال امكانيات الجيش المصرى لتحقيق ذلك الهدف .. وقد رسمت بعضا من جوانب هذه الخطة على عدة أوراق ، وللأسف الشديد ولا أدرى حتى الان كيف ضاعت منى هذه الأوراق .. ولقد بحثت عنها طويلا ولكن دون جدوى .. واعتقادى أنها سربت إلى الانجليز .

● وكانت الأحزاب تشكل الجبهة الثالثة التى كانت تقف ضدى باستثناء حزب مصر الفتاة الذى كنت أشجعه ، وإن اختلفت معه فى تحقيق الكثير من أهدافه وأيضا باستثناء جماعة الاخوان المسلمين

الذى كنت اعتبرهم عنصرا إيجابيا فى الحركة الوطنية المصرية ولايمان راسخ عندى أن أهدافهم فى مراحلهم الأولى كانت إنسانية ودينية وأخلاقية مع حسن تنظيم يمكن أن يؤدى إلى خلق جبهة قوية خالية من عيوب الأحزاب .. يمكن أن تتصدى للنضال الوطنى دون مصالح دنيوية زائلة .. بالاضافة إلى صداقة شخصية مع زعيمهم المرحوم حسن البنا .. ولقد زال هذا كله بالتدريج عندما انحرفت مسيرتهم وسوف نتعرض إلى ذلك بالتفصيل فى حلقات قادمة .. وأيضا استثنى من ذلك حزب الأحرار الدستوريين طوال حياة المرحوم محمد محمود باشا حيث كنت على صلة وثيقة به - كرئيس للحزب - وأيضا مع الفاعليات الفكرية المثقفة بداخله .

وبخلاف ذلك لم أكن انتمى إلى أى حزب .. ولم أكن أيضا عضوا فى حزب مصر الفتاة أو الأحرار الدستوريين أو فى جماعة الاخوان .. لأننى كنت من المؤمنين بأنه بعد وفاة سعد زغلول انحرفت جميع الأحزاب عن مسارها .. وتاهت وسط مواثيقها وشعاراتها فى زحام لعبة كراسى رئاسة الوزارة التى كان الملك والانجليز المحرك الأول لاختيار من يجلس عليها .. ومن هنا كان اعتقادى الجازم بأن الديمقراطية القائمة مزيفة .. انتخابات مزورة .. مع أمية للشعب المصرى ..

وأنا من المؤمنين بأن الديمقراطية الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا بمحو الأمية حتى يكون الاختيار قائما على الارادة الحرة الواعية القادرة على حسن المفاضلة بين الأبيض والأسود للصالح العام وليس بناء على إرادة جبهات البوليس ورجال الادارة الذين كانوا يغيرون صناديق الانتخابات الأصلية بأخرى حتى يحصل على الأغلبية الحزب الذى يرضى عنه القصر والانجليز .

كنت دائم الحديث عن فشل الأحزاب فى تحقيق أى مطلب وطنى .. أو تحقيق طلبات طبقات الشعب المطحونة ، أو رفع المعاناة عن الفلاحين أو التخفيف من حدة الاقطاع الذى كان يجثم على صدر الاقتصاد لصالح أصحاب الأرض فقط دون سواهم ، وأذكر أننى أجبرت مرة على الترشيح فى مجلس النواب بناء على رغبة جماعية من

عدد كبير من المستقلين .. وكان اتفاق الأحزاب عدم ترشيح أحد من أقطابهم فى دائرتى بالقاهرة ، ثم ما لبث الملك أن تدخل شخصيا وعمل على تخريب ذلك الاتفاق .

وفوجئت بعدد هائل من مرشحى الأحزاب وتحولت المعركة إلى هجوم شديد لا أخلاقى نزل إلى مستوى السوقة الصعاليك . وطبعوا منشورات ضدى .. واستأجروا جماعات تطوف الشوارع تهتف بسقوطى .. ووجدت أن الأمر لا يستحق كل هذه المعاناة وقررت أنه إذا كان مجلس النواب هو برلمان صغير .. فإن مصر كلها هى برلمانى الكبير .

لقد كان تساؤلى الدائم : أين الصراع الشريف فى هذه الانتخابات ؟ وهل المرشح الفائز هو بحق من يمثل دائرته أو يمثل الارادة الحرة لأبناء هذه الدائرة ؟ وهل الاختيار تم بناء على قهر أو تبعية أو إغراءات مادية أم عكس ذلك ؟ ومن الخاسر فى جميع الأحوال ، النائب الذى يستحق الفوز وضاع وسط زحام الزيف والخداع أم النائب الذى يكسب بالخداع وتزوير الانتخابات ؟ أن أى جواب عن أى سؤال .. أمر محزن إلى أقصى حد .

● أما الجبهة الرابعة التى وقفت ضدى وفى خصومة شرسة ـ أيضا ـ فنادت الحركة الشيوعية فى مصر .. ولن استغرق فى تاريخها ونضالها الشخصى للبقاء والاستمرار وسط التربة المصرية التى كانت ترفضها .. ولكننى بطبعى لا أميل فكريا للنظرية الشيوعية والأسباب عندى كثيرة ومتعددة .

● أننى أولا بحكم تربيتى الدينية .. وكونى مسلما وباعتبار أن الدين الاسلامى يحمى الملكية الفردية ويرفض الأفكار والمبادىء الشيوعيةرفضت هذه العقيدة رغم كونى شخصية متحررة فى حدود الدين .. وأميل إلى العصرية كمنهج ثقافى متحرر من أى قيد .

● وثانيا : أننى ارفض ديكتاتورية طبقة على حساب طبقة أخرى .

● وثالثا : أجدنى منحازا إلى جانب أى صراع عادل لتحقيق الفائدة للأغلبية وليس للأقلية على حساب الأغلبية .. لقد كنت اعتبر الفكر

الشيوعى ومازلت فكرا مستوردا لا يصلح للبيئة المصرية المسلمة لأنه فى جوهره يعبث بالعقلية الانسانية ويخلق من شعارات الحرية والمساواة والديمقراطية رؤوس موضوع للجدل التكرارى الذى لا أستسيغه عقليا .. ولقد تنبأ سعد زغلول باشا إلى خطرهم الداهم لأنهم كانوا يركزون جهودهم وينشبون أظافرهم ويركزون نشاطهم فى أوساط العمل والطلبة للسيطرة على أدوات الانتاج .. وتعاقبت وزارات حاكمتهم وقامت باعتقالهم .. ولكن بالرغم من ذلك كله وما زاد فى احتراسى منهم وتوجس الشر والخطر من جانبهم أن زعماء الحركة الشيوعية من بدايتها كانوا من الأجانب .. وكانوا من اليهود ، ولقد أثبتت الأيام بعد ذلك خططهم التآمرية لصالح يهود إسرائيل ضد الشعب المصرى وسأوضح فيما بعد دورى وسط عمال مصر وكيف وقفت ضد الشيوعيين . ومن هنا كان صراعى معهم .. وكان صراعهم معى خلال سنوات طويلة .

هذه الجبهات الأربع كانت تضرب عزيز المصرى من كل جانب ،وفى كل اتجاه .. فوق الحزام أحيانا وتحته فى معظم الأحيان .. وكانت فى جميع الأحوال معركة شرسة لم يرحمه فيها أى طرف .. ولهذه الأسباب مجتمعة كان قرار عزيز المصرى أن يترك مصر .. لماذا ؟

كانت الحرب العالمية تنشر الدمار فى كل مكان .. وجيوش الألمان تكتسح جميع الميادين .. وقطاعات الشعب المصرى تؤيد هتلر باعتباره المنقذ من الاحتلال الانجليزى .. وتمت حركة كبيرة من الاعتقالات .. وبدأت الأنظار تتجه إليه باعتباره شخصية غير مرغوب فى بقائها حرة تمارس نشاطها .. وأحس فعلا بالخطر يطل عليه عن طريق بعض الضباط ممن كانوا من تلاميذه بمدرسة البوليس وقد أكد على عزيز المصرى أنهم أدوا له خدمات شريفة مخلصة .. كذلك ساعدوه أثناء فترات الاعتقال داخل السجون التى كان يقيم فيها .. كانوا يهربون له بعض الكتب التى لم يكن يطلب سواها .. لدرجة أن بعضهم كان يقدم له عصير الليمون الذى كان يفضله عن أى عصائر أخرى .. كان يطلق عليه : أكسير الحياة . وكان يقول : لو عرفنا قيمة الليمون الأخضر

لزرع كل مواطن شجرة ليمون أمام بيته .

● والسؤال الان : لماذا فكر عزيز المصرى فى الهرب من مصر خلال تلك الفترة ؟

بداية أقول : إن كلمة (هروب) لم يكن يرضى عنها عزيز المصرى لم تكن تعجبه .. كان يرفض سماعها .. وكان يقول لى : أنا لم أكن أريد الهروب من مصر .. إنما كنت أرغب فى الذهاب إلى روميل ثم إلى هتلر .. تلك كانت رغبتى وتلك كانت وجهتى .

● يقول عزيز المصرى :

— إذا فتحنا خريطة مصر فى ذلك الوقت سنجد على ماهر باشا رئيسا للوزراء قدم استقالته عندما تم الضغط عليه لاعلان الحرب على المانيا .. وبعده جاء حسين سرى باشا رئيسا للوزراء .. أما الأحزاب جميعها فكانت خارج دائرة الحكم .. وكانت جميعها يهاجم بعضها بعضا فى قسوة وضراوة .. كل حزب يكشف أسرار ومساوىء الحزب الاخر .. وكان الملك يسعى فى طريق الفساد .. وكان الانجليز ينهبون خيرات مصر تحت حجة إمداد الجيش الانجليزى بما يحتاجه من المواد التموينية .. والشباب المصرى ثائر وحائر فى نفس الوقت .. والشعب المصرى مغلوب على أمره .. تائه بين الانجليز والقصر والأحزاب .. وقضية مصر ـ رفع نير الاحتلال والجلاء ـ ليس لها مضمون واضح .. ليس لها استراتيجية محددة .. ليست هناك أى خطة تطفو فوق السطح ..

● ويقول عزيز المصرى :

— والدليل أن مصر كانت ضائعة بين أحلام رجالها وأحزابها ووزرائها إنه كان ضمن خطة الانجليز فى ذلك الوقت إغراق الدلتا ـ الوجه البحرى ـ بالماء بالاضافة إلى نسف جميع الكبارى والقناطر .. وكان معنى ذلك شيئا واحدا لا خلاف عليه .. كان معنى ذلك إغراق مصر فى ماء النيل .. إغراق شعب مصر بالماء .. أى أن شعب مصر ـ ١٦ مليونا ـ عليه أن يذهب إلى الجحيم ويموت غرقا .. ويموت من عدم وجود الغذاء .. وتتفشى فيه جميع الأوبئة من اجل صالح وعيون

الانجليز وكانت حجتهم أو وكانت خطتهم أن ذلك ضرورى لمنع تقدم القوات الألمانية داخل الأراضى المصرية .. صاحب هذه الخطة ونستون تشرشل فى إحدى رحلاته إلى القاهرة .

وقد علمت بقصة الشاب المصرى المهندس مصطفى خليل ـ رئيس وزراء مصر فيما بعد ونائب رئيس الحزب الوطنى الان ـ كانت خطة الانجليز نسف كوبرى إمبابة أكبر شريان حيوى لربط الوجه البحرى بالوجه القبلى عن طريق السكك الحديد ، وكانت بعض وحدات الجيش المصرى مكلفة بحراسة الكوبرى .. وكان يتولى قيادة المنطقة بأكملها الفريق حسن الزيدى الذى كان يشغل وظيفة مفتش عام الجيش .. وكان يشرف فنيا على الكوبرى المهندس مصطفى خليل .. واتفق الضباط المصريون مع المهندس مصطفى خليل على عدم تنفيذ أوامر نسف الكوبرى والسكة الحديد والقناطر الخيرية التى بناها محمد على باشا بأوامر الانجليز ولو كانت النتيجة إزهاق أرواحهم ، وكان هذا التصرف منتهى الوطنية من المهندس المصرى والضباط المصريين ومفتش عام الجيش الفريق حسن الزيدى الذى كان على علم تام بهذه الخطة .

● يقول عزيز المصرى :

ــ كانت أمامى قضيتان أساسيتان وراء رغبتى فى السفر إلى القيادة الألمانية ـ روميل ـ كمحطة أولى لمهمتى خارج مصر :

● القضية الأولى : كانت تتبلور فى التفاوض مع روميل ثم هتلر ومحاولة إقناعهما بأهمية العون المصرى ضد الانجليز .. لأن هزيمة الحلفاء فى ميدان القاهرة سوف يفتح الباب على مصراعيه للجيش الألمانى للوصول إلى العراق وسوريا ولبنان وذلك يضعف من الجبهة الروسية على حدود أوربا الشرقية .. وكان فى خاطرى أن تقديم هذه المعونة يقابلها شرط استقلال مصر .. وكنت أمتأكدا تماما أن نفس العون ممكن أن تقدمه الدول العربية التى تقع تحت الاحتلال الانجليزى والفرنسى فى ذلك الوقت .. فى الزمان الذى كانت فيه الأحداث هذه لم يكن هناك مفر من القيام بتلك المهمة الصعبة .. لأن

استقلال مصر لم يكن من الممكن تحقيقه فى ظل الظروف التى تحدثنا عنها سابقا .

● القضية الثانية : فشل ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق التى كان من المفروض أن تتزامن معها ثورة مشابهة فى مصر ، ولكن عدم توافر السلاح الكافى وعدم وجود جيوب ثورية داخل الجيش منع قيامها .. ولقد كان لفشل ثورة رشيد على الكيلانى مغزى هام عندى .

* أولا : إن هتلر لم يقدر أهميتها والدور الذى كان من الممكن أن تقوم به ضد الانجليز لصالح الألمان عسكريا واستراتيجيا .

* ثانيا : إننى تأكدت تماما أن هتلر لم يكن لديه بعد استراتيجى على المستوى العسكرى والسياسى .. وكان من الممكن أن تقدم له هذه الثورة العون الشامل فى ضرب الانجليز وفتح جبهة عسكرية نضالية كانت ستؤرق وجودهم وتؤثر بعمق فى جبهتهم العسكرية فى تلك المنطقة ولقد كان فى تقديرى الشخصى أنه لو قام الألمان بمساندة ثورة رشيد عالى الكيلانى ، وأصروا على هذه المساندة لما حدث فيما بعد الهزيمة العسكرية الألمانية فى العلمين .. ولما استطاع الانجليز تحقيق هذا النصر .. بل إننى أقول من وجهة نظرى العسكرية أن موازين الحرب كلها كانت قد تغيرت لصالح الألمان .

تلك كانت أسبابى .. وتلك كانت خطتى .. ومن هنا كان من الضرورى أن أغادر مصر من أجل اللقاء مع الألمان .

وقبل أن نتحرك مع رحلة عزيز المصرى الأولى خارج مصر والتى لم يكتب لها النجاح .. ثم رحلته الثانية التى استخدم فيها الطائرة التى سقطت به وبمعاونيه الملازمين حسين ذو الفقار صبرى وعبدالمنعم عبدالرؤوف . سوف نتحدث عن نقطة على جانب كبير من الأهمية .. وبمعنى آخر على تصرف من جانب عزيز المصرى كان فى شكله العام ، وأيضا فى مظهره إشارة إلى أنه يتعاون مع الانجليز .. بدليل قيام عدة لقاءات بين عزيز المصرى واحد المسئولين الانجليز أكثر من مرة .. وكانت هذه المقابلات مادة للهجوم على عزيز المصرى من جانب الأحزاب .

ولنستمع إلى القصة الحقيقية . نستمع إليها كما يرويها عزيز المصرى :

— كنت أعلم تماما وعن يقين أننى مراقب من جانب رجال البوليس السياسى ومراقب من جانب المخابرات البريطانية ، ومعنى ذلك أن جميع حركاتى وتنقلاتى تحت أعين هذين الجهازين .. خاصة أننى فى واقعة مغادرتى الأولى لمصر وجدت صعوبة بالغة فى تنفيذ الخطة التى استخدمت فيها السيارة وسيلة لمغادرتى الأراضى المصرية إلى المكان الذى اتفقت عليه لتلقطنى منه طائرة ألمانية .. وكانت خطتى الثانية تستلزم انتقالى من البنسيون الذى كنت أقيم فيه « بنسيون فينوار » الذى كان يقع بشارع الانتكخانة ـ المتحف المصرى ـ إلى المطار الذى سوف استقل منه الطائرة المصرية إلى الحدود الليبية .. المشوار طويل ، وشخصيتى معروفة .. والمراقبة شديدة .

لذلك كان لابد من عمل مناورة .

● يضحك عزيز المصرى بشدة ..

وسألته : لماذا تضحك ؟

قال وهو مستمر فى الضحك :

— كانت خطتى خداع الانجليز .. حتى يعتقدوا أننى فى صفهم .. أننى من رجالهم .. أننى عميل لهم !!

طلبت مقابلة البيرجادير كلايتون لأمر عاجل جدا .. وكما هى عادة الانجليز أرسلوا لى أحد العسكريين من رتبة صغيرة .. وعندما قابلته قلت له :

— إننى أريد مقابلة كلايتون ولا أحد غيره .. وأبلغ الرؤساء .. وأخبر كلايتون أن الأمر عاجل وهام .

وفى اليوم التالى حضر لى الكولونيل ثور نهيل وأخبرنى أن البريجادير كلايتون خارج القاهرة .. وأنه عندما تم الاتصال به وأخباره برغبتك فى مقابلته طلب منى كمعاون له أن التقى بك ، ومعرفة ما عندك لحين حضوره .. وقال لى أيضا : إذا كان الأمر هاما كما طلبت فسوف يتم الاتصال به مرة أخرى حتى يحضر على الفور فى جميع الأحوال أنا

مفوض بالاتصال بأى شخصية إنجليزية إذا استدعى الأمر والسفير الانجليزى يعلم بذلك كله .

كان ذلك قبل نهاية الأسبوع الثانى من شهرمايو عام ١٩٤١ .. دعوت ثور نهيل إلى طعام الغداء فى بنسيون فينوار الذى أقيم فيه بصفة مؤقتة .. وأبديت له أسفى الشديد قبل بداية الطعام بأننى لا أستطيع أن أقدم له أى نوع من أنواع الخمور لأننى مسلم يلتزم بتعاليم دينه ، بالاضافة إلى أننى لا احبها ، ولم أشربها طوال حياتى .

قلت له : إن الشعب المصرى لا يتعاطف مع سلطات الاحتلال .. والظروف الحالية .. ظروف الحرب تمنع اى تفاوض حول أى أمنية وطنية مصرية ، ولا اعتقد بأى حال من الأحوال أنكم تفكرون الان .. وحتى بعد الحرب فى الجلاء عن مصر .

كان ثور نهيل يتطلع إلى وجهى وأنا أتحدث .. ويركز نظراته على جبهتى وعينى .. كان كالمشدود لوقع كلماتى على أسماعه .. ولا أدرى هل كان يصدقنى أم لا .. المهم أننى استرسلت بحماس شديد وتابعته كأنه صادر من القلب :

قلت له : فكرتى ليست بسيطة .. قد تبدو كذلك ، ولكن تنفيذها سوف يضع حدا للصراع المصرى الانجليزى .. والصراع الانجليزى العربى .

قال لى وهو يضع ساقا فوق أخرى : حتى الان لم أسمع منك ما تريد الافصاح عنه يا باشا .

قلت له : إن فكرتى تقوم على أساس إيجاد نظام (الدمينون) للشعوب العربية .. نحن شعوب صغيرة .. كل دولة مجموعة من ملايين البشر .. ومصر بالذات أكثر عددا من أى دولة عربية أخرى .. وأى دولة عربية لا يمكن أن تعيش وحدها .. ولا يمكن أن تدافع عن نفسها .. والاحتلال يقهر النفوس !! ويكلف الدولة المستعمرة والدولة المحتلة .. لذلك فأنا أرى أن تنضم جميع الدول العربية بما فيها مصر إلى جامعةالأمم البريطانية تحت نظم الدمينون .. وإذا كان الأمر يصبح شاقا فى البداية .. فلنبدأ بالعراق .. أننى على أتم الاستعداد

للسفر إلى العراق .. وهناك شخصيات عربية وعسكرية على أتم الاستعداد للاقتناع بوجهة نظرى وأنا مستعد تماما للقيام بدور الوسيط فى هذا الموضوع الهام .. وهذه الشخصيات العراقية يمكن الاتصال بها والالتقاء بها .

● وقلت له : إن نظام الدمينون للشعوب العربية يستحق أكثر من محاولة ويستحق أن نفكرفيه معا بشكل إيجابى وموضوعى .

وقال لى ثور نهيل : إن دورى هو نقل هذه الأفكار إلى كلايتون وسوف يحاط بها علما السفير الانجليزى .

ولقد قصدت عند وداع ثور نهيل أن أوصله حتى باب البنسيون حتى يرانى بوضوح رجال القلم السياسى الذين كانوا ينتشرون حول البنسيون .. لأن مجرد نقل خبر هذه الزيارة من جانب إنجليزى سوف يقلق قيادات القلم السياسى لأننى فى الأصل شخصية غير مرغوب فيها عند الانجليز .

تلك هى حكاية لقائى مع الكولونيل ثور نهيل .. وأنا مازلت على يقين كامل أن هذا اللقاء خفف إلى حد كبير من حدة رقابتى من الجانبين القلم السياسى والمخابرات الانجليزية .. أما خطتى الكبيرة فى مغادرة مصر فكانت مختمرة فى رأسى .. وشاء القدر ألا تنجح المحاولة الأولى .. وأيضا المحاولة الثانية .. ولا أدرى هل هو حظى العاثر .. أم أن ذلك كان قدرى .. ولطالما سألت نفسى يا ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو أننى تركت مصر ونجحت فى ذلك .. ثم قابلت روميل .. ثم تقابلت مع هتلر .. إن الانسان المؤمن عليه أن يسعى .. وعلى الله سبحانه وتعالى التوكل .. وهو صاحب المشيئة العليا أن يتحقق النجاح من عدمه ، ولقد رضيت تماما بقدرى وبمشيئةالله سبحانه وتعالى .

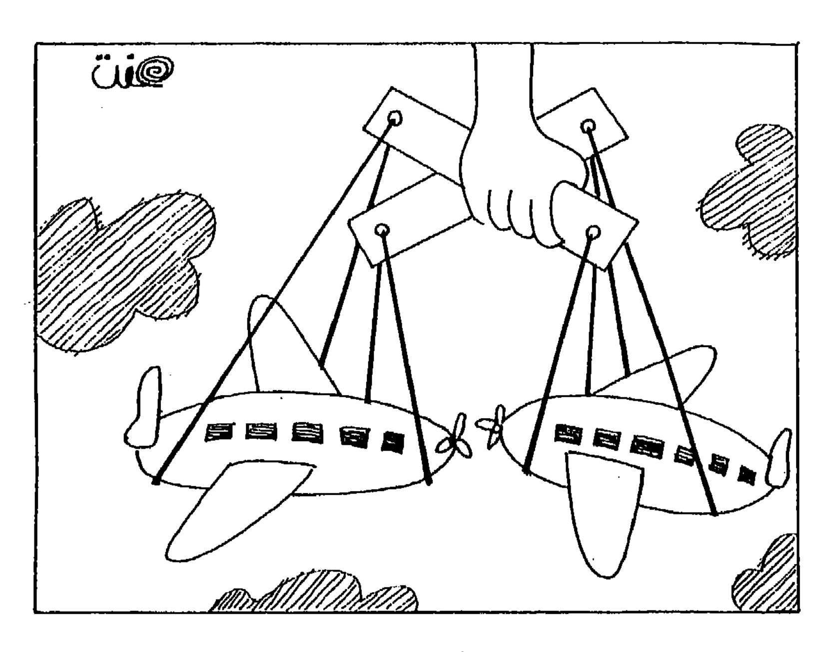
لقد كانت مغامرة أن أترك مصر وكان أمرا مستحيلا أن أغادر الحدود من أى موقع .. وأقول لأول مرة أننى لم اكن أخطط وحدى لمغادرة مصر .. كنت أعرف رجالا من أعوان الألمان فى القاهرة .. كانوا ينقلون لى أخبار روميل بل كانوا حلقة الاتصال بينى وبينه .. كان كل شىء يتم بحساب ودقة .. كيف كان يتم ذلك ؟ ذلك سؤال يحتاج إلى

جواب .. وكيف تم التخطيط لمغادرة مصر ؟ تلك حكايات تستحق التسجيل .. وكيف سارت محاكمتى بعد القبض على بعد اختفاء دام عدة أسابيع .

والآن نترك تساؤلات الفريق عزيز المصرى .. التساؤلات الكثيرة المتعددة حتى نستعد لمزيد من القصص والحكايات .

قصص وحكايات ومغامرات تابعتها الصحف والمجلات من خلال محاكمته التى كانت لها نهاية أكثر من مثيرة .

الفصل السادس



مصريون يفضلون الألمان من الانجليز .. لماذا ؟

* وضع روميل خطة لاختطافى وشاء القدر ان تفشل تماما ..
* طارت بنا الطائرة فى الجو .. ولكنها سقطت فى قليوب ..
* احد ابنائى الضباط « حسين الطلياوى » ساعدنى فى الهروب للقاهرة ..
* النحاس يفرج عنى وكان شرطه ان ابتعد عن المتاعب ..
* السادات زج باسمى فى التحقيقات مع الجاسوس الالمانى « ابلر » ..
* ابراهيم عبد الهادى كان اسوا رئيس وزارة شهدته مصر ..

عندما كان روميل القائد العام للجيوش الالمانية يخطط لاقتحام مصر .. الاراضى المصرية .. وبالرغم من أن غارات الطائرات الالمانية كانت تصيب العديد من الاهداف المدنية .. بالرغم من ذلك كله كان موقف الاحزاب يسير فى ثلاثة اتجاهات :

* الأول : اعلان الحرب على المانيا ..
* الثانى : عدم اعلان الحرب ..
* الثالث : الوقوف على الحياد ..

ولكن فى المقابل كان الشعب المصرى ، وان شئنا الدقة غالبيته كانت تؤيد الالمان .. وعلى استعداد تام للترحيب بهم فى القاهرة .. وأكثر من ذلك كان كل مصرى لديه جهاز راديو يحرك مؤشره على المحطات التى تذيع الاخبار عن الانتصارات الالمانية وهزيمة الحلفاء .. وأكثر من ذلك كانت بعض المظاهرات التى تخرج من الجامعة أو المدارس الصناعية أو الثانوية .. كانت كلها تهتف بسقوط الانجليز وترحب بقدوم الالمان ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ أنا واحد من الشعب المصرى ، ولم يكن شيئا غريبا .. وليس من المستغرب بعد ذلك أن أحب الالمان .. لقد أحب الشعب المصرى الالمان لان أملهم كان أن هتلر ربما يكون أحسن من الانجليز .. وانه ربما يخلصهم من الاحتلال ومن خصومات وخصام الاحزاب للفوز بكرسى رئاسة الوزارة ومن الظلم .. ظلم الاقطاع الذى داس حقوق الفلاحين فى القرية .. والتهم حقوق العمال فى المصانع .. وأقول مرة أخرى .. اننى أحببت الالمان كواحد من المصريين يعيش على أرض وتراب مصر ويضاف الى ذلك اننى عرفتهم من خلال القيادات التى علمتنى فنون

الحرب فى الكلية الحربية وكلية أركان حرب فى استانبول .. ثم بعد ذلك عندما عشت وسطهم سنوات طويلة فى المنفى .. بعد ان قام الانجليز بابعادى عن مصر الى اسبانيا ..

اذن حبى لالمانيا لم يكن بدعة .. ولم يكن أيضا عمالة .. بمعنى اننى لم آكن عميلا للالمان كما زعمت بعض الصحف والمجلات فى مصر أثناء محاكمتى بعد فشل مغادرتى لمصر بالطائرة .

* ونحكى قصة المغادرة الأولى ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ أقرر بداية ولاول مرة أنه كان يوجد لدى العديد من الاعوان الذين كانوا حلقة الاتصال بينى وبين الالمان .. كان السائد أن المصريين المتزوجين من ألمانيات كانوا يكونون جبهة وطنية لصالح السياسات الالمانية داخل مصر ، وبمعنى اخر تفضيل الالمان على الانجليز .. وتلك كانت حقيقة .. وكان عبد المغنى سعيد أحد حلقات الاتصال .. وتلك أيضا كانت حقيقة أخرى .. وكانت هناك حلقة اتصال اخرى كانت أكثر من سرية كنت أعتمد عليها فى معرفة جميع أخبار الالمان وكذلك عقد الترتيبات لمغادرتى الأولى والثانية .. أقول كان « هوارد » هو ذلك الرجل .. كان حلقة الاتصال بينى وبين الالمان وبالذات روميل .. كان من رجال السلك الدبلوماسى فى المفوضية السويدية بالقاهرة ، وكان فى نفس الوقت من القائمين على رعاية المصالح الالمانية فى مصر بعد إغلاق السفارة بأمر الانجليز .

وضعت خطة للمغادرة الأولى بالمعاونة الكاملة من جانب هوارد .. وقد عجلنا بتنفيذها بعد أن ذهبت الى الجهات المختصة للسماح لى بالسفر ، ولم يكن يدور بخلدى أن الرفض كان قرارا مشتركا من الجانبين المصرى والانجليزى .. بل ان الامر تجاوز مجرد الرفض الى سحب جواز سفرى .. كانت وجهتى فى البداية ـ اذا تمت الموافقة على السفر ـ الذهاب الى بيروت ثم التوجه الى قيادة روميل ولما منعت من السفر وضع روميل خطة لاختطاف .. كادت الخطة محكمة تماما ، ولكن شاء القدر أن يكتب لها الفشل ..

كانت الخطة الالمانية التى أبلغنى اياها هوارد تتضمن ارسال طائرة كتلك التى تستخدمها القوات الانجليزية .. فقط كان علينا اختيار المكان المناسب لهبوطها ثم ابلاغه للسلطات الالمانية .. أتفقنا أن تكون منطقة « الخطاطبة » هى المكان المختار ، ولكن لاسباب أمنية رفض الالمان المكان ، وحددوا لنا موقعا اخر على طريق الواحات البحرية جنوب غرب منطقة أهرامات الجيزة .. وقبل الموعد بوقت كاف استقللت سيارة متوجها الى المكان المتفق عليه .. كان عقلى طوال الطريق يفكر فى قلق ، وكانت أعماقى تعتصر خوفى الذى يكتسح كل ما بداخلى .. لا أدرى لماذا ازدادت حالة التوتر العصبى عندى ، علما بأنه ليس من عاداتى أبدا أن أكون فى هذه الحالة .. فى الماضى عندما كدت أخوض المعارك ، كان الخوف يبدأ ثم لا يلبث أن يتلاشى .. وكان القلق يستمر لفترة قصيرة ثم يمتصه حماسى ..

واقتربت العربة من منطقة الاهرامات ، وكان الظلام شديد الحلكة .. والهواء راكدا ، حتى تخيلت أن الهواء لا يدخل الى رئتى .. وفجأة وعلى غير انتظار توقفت العربة وبذلت محاولات شتى لاصلاحها ولكن ما كينتها كأنما تحولت الى قطعة باردة من الحديد .. وأسقط فى يدى .. وتصورت الطائرة تجىء فى موعدها .. ولكنها لن تجد الاشارة المتفق عليها .. وبحق أوشك غيظى وثورتى الداخلية أن يحطما عقلى ويفجرا جميع شرايين جسدى ..

وهكذا فشلت الخطة ..

* ويمضى الفريق عزيز المصرى فى حديثه ليقول :

ـ كان لابد من تدبير وسيلة جديدة ، وكانت تلك هى المحاولة الثانية المحاولة التى كتب لها الفشل .

فى المحاولة الأولى توقفت السيارة .. وفى المحاولة الثانية سقطت بنا الطائرة .

فى البداية كما ذكرت سابقا كان لابد من ابعاد عيون البوليس السياسى والمخابرات الانجليزية عن مراقبتى .. وكانت حكاية الدمنيون التى اقترحها على ثورنهيل .. وشعرت أن المراقبة أخذت تقل

بالتدريج .. وفى الموعد المحدد كنت أستقل تاكسى أجرة متجها بى الى حى مصر الجديدة .. وفى ميدان الاسماعيلية توقفت السيارة فى مكان مظلم ..

وعلى الجانب الاخر من القصة كما رويت لى بعد ذلك .. كان الطيار الملازم اول حسين ذوالفقار صبرى يتناول طعام العشاء فى مطار الماظة فى التاسعة والنصف من مساء يوم ١٥ مايو ١٩٤١ .. كان هو الضابط العظيم المنوط به السهر والحراسة .. بعد العشاء ذهب الى حظيرة الطائرات ، وأخبر الشاويش « النوبتجى » والجنود الساهرين للحراسة أن هناك أوامر عاجلة بوصول شخصية هامة .. بل على جانب كبير من الاهمية سيتم نقلها الى وجهة سرية .. بعد ذلك استقل احدى سيارات سلاح الطيران ، وتوجه بها الى ميدان الاسماعيلية فى مصر الجديدة .

وتوقفت السيارة التى يستقلها الملازم أول طيار حسين ذوالفقار صبرى بجوار سيارة التاكسى التى كنت أستقلها .. وطلب حسين من سائق سيارته حمل امتعتى - عدة حقائب - من التاكسى الى سيارته ، ثم نزلت لاركب بجوار الملازم أول حسين أحد تلاميذى الذين كنت أعتز بهم لرجولتهم ووطنيتهم الفائقة ، وبعد مسيرة عدة دقائق جاء معنا الملازم عبد المنعم عبدالرءوف الذى كان قد ترك سيارة التاكسى معى ولكنه غادرها لامر خاص .. ثم أسرعت بنا السيارة فى طريقها الى مطار الماظة .. وهناك ركبنا طائرة « أوفرانسون » مصرية ذات محركين وكان سؤالى لحسين ذوالفقار صبرى :

- ماذا سنفعل ضد دفاعات الانجليز خاصة المدافع المضادة للطائرات لانه من المفروض فى مثل أوقات الحروب أن يعلن عن قيام أى طائرة حربية وتحليقها فى الجو ، وخط الطيران الذى سوف تسلكه ، ويزداد التدقيق بمثل هذه المعلومات ليلا .. لان الطيران المدنى يمنع تماما بعد الغروب ، وأى طيران عسكرى لابد أن تكون القيادات العسكرية على علم مسبق به ..

* قال لى :

ـ ان الخط الذى سوف نسير فيه لابد أن يمر على بعض الدفاعات الجوية وصوت الطائرة مميز ولابد أن يثير انتباه هذه المواقع طالما لم تخطر به مسبقا .. وفى جميع الاحوال سوف أبذل كل جهدى حتى نتعدى هذه الدفاعات فى سلام .. ان الله معنا باذنه ومشئيته ..

وطارت بنا الطائرة فى الجو .. ومرت الدقائق بطيئة وثقيلة بشكل مثير للاعصاب .. وفجأة بدأت الطائرة تهتز بشكل عنيف ، ثم أخبرنى حسين انه فقد السيطرة عليها .. وسقطت الطائرة بعد بلدة ـ مدينة ـ قليوب بعدة كيلو مترات .. وقد علمت من حسين أن المدافع المضادة للطائرات أطلقت علينا نيرانها .. ولكن السبب الرئيسى كان فى حدوث خلل فنى فى الطائرة .. حيث امتنع وصول الزيت الى موتور الطائرة الامر الذى أدى الى اشتعال النيران فى المحرك .. وفى جميع الأحوال فشلت الخطة .. خطة مغادرتى للقاهرة ..

ان الاحساس بالفشل أمر صعب جدا .. ورحلتى الثانية فشلت بكافة المعايير .. وعلى الفور ربطت بين فشلى وعدم نجاح ثورة رشيد عالى الكيلانى التى كنا نتتبع أخبارها عن طريق مصطفى الوكيل أحد الرواد المصريين والذى كان يعمل وقتها مدرسا فى العراق .. وكان يذيع على موجة محطة بغداد أنباء الثورة .. كانت البلاغات العسكرية التى تعلن أيضا بالراديو يتم طباعتها فى منشورات توزع فى القاهرة وكان يساعد فى طبعها ونشرها الصحفى المعروف محمد صبيح وكان يساعده فى ذلك أحمد مرزوق وعبدالسلام الشريف .. وكانت هذه الاعمال كلها تدخل ضمن خطة كنا ندبرها لخلق رأى عام ضد الانجليز والقصر والاحزاب لان هذه الاسماء التى ذكرتها لم تكن تنتمى لاى حزب .. انما الى الجبهة الوطنية التى كنت أشرف عليها .. وأقرر هنا أنه كانت لدينا أماكن سرية نخفى فيها الكثير من قطع السلاح وكان هناك اتفاق لم يتحقق بتسريب بعض الاسلحة من الجيش الالمانى عبر الصحراء الغربية لتكون فى حوزة جبهتنا الوطنية كرصيد يمكن استخدامه فى الوقت المناسب ولقد استطعنا لفترة طويلة اخفاء هذا السلاح عن أعين القلم السياسى المصرى ، وربما يفاجأ الكثيرون عن وجود هذا السلاح

فى حوزتنا بعد مرور هذه السنوات الطويلة ، كان بعض السلاح موجودا فى الوجه البحرى ، والاخر فى الوجه القبلى وبالذات فى مدينة أسيوط ، لانه كان يدخل ضمن خططنا قطع المواصلات التى كانت تعتبر شريان حركة جنود الانجليز وأسلحتهم ..

سقطت الطائرة شبه سليمة فيما عدا بعض الخدوش ، وكان الحريق الذى نشب فى محركها قد انطفأ .. وتصادف أن السقوط وقع فى احدى حدائق البرتقال التى تشتهر بها هذه المنطقة .. وكان السؤال الحائر : ماذا نفعل ؟ .. ففى مثل هذه اللحظات مطلوب هدوء الاعصاب والتفكير بشكل سريع .. كانت الساعة بعد الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .. وتوجهت الى مبنى مركز قليوب .. وكان صف الضباط السهرانين برتبة أونباشى .. من ذلك الصنف الذى لا يعرف سوى القراءة والكتابة بخط ردىء .. هذا الاونباشى لا أذكر اسمه .. تقدمت بخطى ثابته وثقة وقلت له : أين المأمور ؟

قال : غير موجود .

قلت له : أين المعاون ؟

قال : فى الراحة .

قلت له : ما اسمه ورتبته ؟

قال : اليوزباشى حسين الطلياوى .

قلت له : أرسل أحد الجنود فى طلبه حالا .

فى الواقع ان اسم حسين الطلياوى لم يكن غريبا على أذنى .. وتذكرته كان يعمل مدرسا فى مدرسة البوليس مع الملازم أول سعيد الألفى ، والاثنان كانا ضمن أولادى فى مدرسة البوليس .. وبصراحة شعرت بالارتياح العميق لاول مرة منذ غادرت الطائرة الجاثمة فوق اشجار البرتقال واليوسفى .. وعاد الجندى المكلف بالذهاب الى منزل اليوزباشى ـ نقيب الان ـ الطلياوى وقال لى : انه يطلب حضورك ليراك من النافذة . وتعجبت لذلك التصرف ولكننى ذهبت مع الجندى لان الطلياوى لم يكن يعرف حتى تلك اللحظة من انا ..

وعندما فتح الشباك ، وأطل بوجهه قلت له : أنزل يا حسين أنا عزيز

المصرى . وعندما سمع اسمى أغلق الشباك ، ونزل على الفور وأدى التحية العسكرية وتعجب لوجودى أمام بيته . وفى تلك المنطقة فى ذلك الوقت المتأخر من الليل .. قلت له :

ـ لقد كنت مدعوا مع صديقين فى حفلة عرس بالقرب من بنها ، وتعطلت السيارة ، وجئنا مشيا على الاقدام مسافة ثلاثة كيلو مترات .. وطلبت منه البحث عن سيارة تقلنى وزميلاتى اللذان ينتظراننى بالقرب من شريط السكة الحديد خارج البلدة .. وكانت مفاجأة عدم وجود سيارة .. لذلك طلبت منه بصفة خاصة الاذن بسيارة البوليس التابعة له حتى توصلنى وزميلى الى منطقة شبرا .. ووافق على الفور وتحركت بنا السيارة حتى ميدان الاوبرا وسط القاهرة ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ وقد أعلن مجلس الوزراء عن مكافأة قدرها الف جنيه مصرى لكل من يرشد عنى أو يعاون أو يدلى بأى معلومات أو بيانات تساعد فى القبض على أو على الطيار أول حسين ذوالفقار صبرى أو الطيار أول عبدالمنعم عبدالرءوف .. وقامت الصحف بنشر صورنا نحن الثلاثة .. ومن الطريف أن الصورة التى نشرت عن حسين ذوالفقار كانت مع زوجته ، وبمعنى أدق كانت مع عروسه التى لم تمض على زواجه منها سوى بضعة أشهر فقط .. وهاج رئيس الحكومة حسين سرى باشا ، وعقدت الاجتماعات برئاسة حسن صادق باشا وزير الدفاع والفريق ابراهيم عطا الله رئيس اركان حرب الجيش وفى وزارة الداخلية التى كان يرأسها رئيس الوزراء حسين سرى اجتمع مع أحمد حمدى محبوب باشا وكيل وزارة الداخلية وأحمد محمود عزمى بك سكرتير عام وزارة الداخلية وأكثر من ذلك كان غريمى الأول أحمد حسنين باشا رئيس الديوان يتردد على وزارتى الدفاع والداخلية ويتابع الاحداث وينقلها الى الملك فاروق بانتظام ..

ذهبنا نحن الثلاثة بالتاكسى من ميدان الأوبرا الى الجيزة .. وتوجهنا الى منزل الاستاذ شوكت التونى المحامى وجلسنا عنده بعض الوقت .. ثم أخذنا سيارة الاستاذ شوكت حتى كوبرى امبابه وصرفنا

السائق .. ثم مشينا على الاقدام حتى منزل الفنان النحات عبدالقادر رزق وكانت تقيم معه شقيقته السيدة صديقة رزق .. وهذه السيدة الفاضلة كانت تقوم بطهى الطعام لنا وشراء ما يلزمنا من الخارج .. وكانت تقوم بشراء بعض الكتب التى أحتاجها .. لاننى لا أطيق أن أجلس بدون قراءة .. استمرت اقامتى والضابطان حسين وعبدالرءوف فى منزل عبدالقادر رزق فترة لا أذكر تماما مقدارها ، ولكنها تتراوح مابين أسبوعين أو ثلاثة .. وذات يوم فوجئنا بطرق على الباب ، وفتحت السيدة صديقة رزق .. ثم كانت المفاجأة أن يدخل علينا الضابط الحجرة .. وكانت المفاجأة الأكثر أن يجدنى جالسا على سرير وبجوارى الضابطان ..

والحقيقة انه كان من المفروض أن يتم القبض على محمد صبيح الصحفى المعروف ـ توفاه الله ـ لان الضابط امام من القسم المخصوص كان يتابعه للقبض عليه وكان يقيم بشقة أحمد مرزوق .. وكان الاخير يشترى كميات من الطعام .. وهذه الكميات لفتت نظر رجال القسم المخصوص .. وتتبعوا أحمد مرزوق ووجدوه يسلم كميات الطعام الى عبدالقادر رزق .. وراقبوا بيته .. وقرروا مداهمة البيت وكانت المفاجأة وجودنا ..

كانت المحاكمة مثيرة .. شكل مجلس عسكرى لمحاكمتنا جميعا .. وكان التركيز المطلق على شخصى .. ولقد تبارت الصحف التى كان يشرف عليها القصر وأحمد حسنين باشا رئيس الديوان بالهجوم على شخصى .. ووصفونى بالخيانة وطالبوا باعدامى ..

* ويبتسم عزيز المصرى وهو يقول :

ـ نسيت أن أذكر لك واقعة طريفة فى اليوم التالى من سقوط الطائرة .. عندما فتشوا الطائرة وجدوا مجموعة من الحقائب مكتوب على كل حقيبة حرفان : الأول « ع » والثانى « م » واتجه الشك بوزير الدفاع ورئيس الاركان ووكيل وزارة الداخلية أن يكون صاحبها على ماهر باشا لانه كان يطلق عليه من حين لاخر انه يتعاطف مع الالمان .. ولكن عندما فتحت الحقائب ، وتبين ما بداخلها من محتويات وأوراق

ومستندات تأكدوا انها خاصة بى ..

كانت محاكمتى غريبة .. كانت معظم التهم فى مجملها سياسية علما بأن المحاكمة عسكرية .. وكان رئيس المجلس العسكرى برتبة لواء وأنا برتبة فريق .. والمفترض أن يكون على الاقل فى رتبة مساوية لرتبتى السابقة .. وكان الدفاع يقول :

ـ هل القبض على تم بناء اوامر وزارة الدفاع أم بناء على قرار النيابة العامة ؟ واذا كان صادرا من وزارة الدفاع فليس هناك أبدا أى سبب لتدخل النيابة العامة .. واذا كان قرار الاتهام من المدعى العام والنيابة العامة فلماذا تشكيل مجلس عسكرى ؟ وكان هناك أكثر من محام يقوم بالدفاع عنى .. اذكر منهم الاساتذة حماده الناحل وفتحى رضوان وابراهيم رياض ، وحافظ رمضان باشا ، ومصطفى الشوربجى بك وعبد الحميد حلاوة .. وأذكر أن رئيس المجلس العسكرى كان اللواء عبدالحميد حافظ باشا ، ومن الاعضاء اللواء زكى الحكيم باشا ، واللواء أحمد ناشد باشا والاميرالاى حسين محمود بك نائب الحاكم العسكرى ثم حسين الطنطاوى مساعد نائب الاحكام .

واستمر تأجيل القضية شهرا وراء اخر .. وساءت صحتى فى السجن حتى شعرت بمرض الربو يهاجم صدرى ، ونقلت الى اكثر من مستشفى للعلاج ، وتركزت طلبات الدفاع فى الافراج عنى لان الشكل العام للقضية سار فى دروب ودهاليز غاية ما يمكن أن يقال عنها .. انها انتقامية .. وان الهدف تشويه سمعتى وكل تاريخى القديم .. وصاحب ذلك خلال تلك الفترة المظاهرات التى كانت تجتاح شوارع القاهرة وتنادى :

ـ الى الامام يا روميل .. نحن فى استقبالك يا روميل ..

كان الشعب غير راض عن حكومة حسين سرى الذى سلم كل شىء للانجليز وكان الشعب قد فقد الثقة تماما فى الملك فاروق الذى احسن استقباله عند قدومه من انجلترا بعد موت الملك فؤاد .. وتصادف بعدها أن أطلق لحيته وشاربه وكان يغشى المساجد ـ فى البداية ـ حتى اطلقوا عليه اسم الملك الصالح .. ولكنه ما لبث أن حلق لحيته وترك

جزءا من شاربه وسار فى طريق الفساد المطلق الذى ساعده عليه أحمد حسنين باشا .. وابراهيم عطا الله باشا . وبوللى الذى كان على رأس المجموعة الايطالية التى كانت تحكم القصر من الداخل ..

وتحول الملك الصالح .. الى ملك فاسد ، وكما كثرت فضائح فاروق مع غرامياته وسهراته واقتحام منازل أشراف الرجال .. فضائح أمه الملكة نازلى مع أحمد حسنين باشا وغيرهم من رجال القصر . ومن كانت تختارهم من شباب الجيش للهو معها ..

وهتفت المظاهرات بفساد الملك .. ومجون أمه الملكة ـ الأم ـ نازلى وسقطت وزارة حسين سرى باشا . ثم جاءت حكومة الوفد ..

القصة المعروفة أن النحاس باشا جاء رئيسا للحكومة بعد حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ .. تلك حقيقة ..

ولكن هناك حقيقة أخرى أن مصطفى النحاس لم يقبل هذا المنصب باعتباره عميلا للانجليز .. أو انه اتفق مع الانجليز حتى يجلسوه على كرسى رئيس الوزارة .. أيضا النحاس باشا لم يكن بعلم خطة الانجليز بعد أن ساءت الاحوال تماما فى مصر .. لدرجة أن حسين سرى قبل تقديم استقالته عرض اسم النحاس باشا رئيسا للوزارة على الملك فاروق .. بل انه ألح عليه أن يستدعيه لتشكيل الوزارة ولكنه رفض ، وساعده فى الرفض أحمد حسنين رئيس الديوان ..

ولقد علمت تماما أن رغبة السير « مايلز لامبسون » السفير الانجليزى فى تعيين النحاس لم تجىء عفو الخاطر انما جاءت عن طريق مجلس الحرب فى لندن الذى رأى أن مصر خلال هذه الفترة تحتاج الى وزارة يرضى عنها الشعب .. وزارة لها الاغلبية يمكن أن تمتص غضبه وتعمل على تسكين الاوضاع السياسية وتحجيم تصرفات الملك فاروق .. ليس من أجل مصلحة مصر .. ولكن من أجل مصلحة الانجليز .. ومصلحة القوات الانجليزية .. واتجاه دفة الحرب التى كانت تسير فى غير الاتجاه الذى يرضاه الانجليز انفسهم .. فلا يمكن ان تكون هناك حرب يمكن التفرغ لها فى ظل جبهة داخلية مصرية ضد الانجليز .. أقول جبهة داخلية ترفض الانجليز وترحب بالالمان ..

* يقول عزيز المصرى :

وفى اعتقادى الشخصى أن مصطفى النحاس باشا نفسه لم يكن يتصور أن الانجليز سوف يحاصرون قصر عابدين بالدبابات لفرضه رئيسا للوزارة .. ولكن الحق يقال ان قبول النحاس باشا لتشكيل الوزارة فى ظل هذا الجو الارهابى .. وفى ظل القهر العسكرى والنفس الذى شعر به كل مواطن .. وكل ضابط جيش .. وكل عامل مصرى .. ذلك كان خطأ الوفد ..

وأراد الانجليز تحقيق هدفين أساسيين : الأول : تأمين الجبهة الداخلية ، والثاني - وجود حزب يقف ضد الملك الذى كان يناوىء الانجليز ، وحزب لا يقبله الملك لان شعبيته مرفوضه على المستوى الداخلى .. ولانه يسير فى هوى وتيارات الملك وحاشيته ..

وهناك حقيقتان لصالح النحاس أو حزب الوفد : الأولى أن النحاس رفض الائتلاف فى تشكيل الحكومة الذى أراده الانجليز .. ورفض انذار السفير الانجليزى وكان ضمن الذين وقعوا برفض الانذار : مصطفى النحاس وحسين سرى ، ومحمد شريف صبرى ، على ماهر ، محمد محمود خليل ، أحمد ماهر ، أحمد زيوار ، اسماعيل صدقى ، عبدالفتاح يحيى ، محمد حسين هيكل ، محمد توفيق رفعت ، محمد حلمى عيسى ، حافظ عفيفى ، على الشمسى ، محمد بهى الدين بركات ، حافظ رمضان ومحمود حسن .. وكان كل واحد منهم يحمل لقب باشا ..

وشكلت وزارة وفدية والدبابات حول القصر .. واذا كانت حكومة الوفد قد سارت فى الطريق الذى يحمى حقوق الشعب .. ويرد اليه اعتباره ويفاوض على الجلاء لكان الامر قد غفر لحزب الوفد .. ولكن النحاس قام بتنفيذ كل مطالب الانجليز .. أغلق نادى السيارات الذى كان معقل نشاط القصر ، وقبض على على ماهر باشا ووضع خير مصر تحت تصرف الانجليز .. وتحدث مفارقة غريبة . ان الانجليز لم يكونوا يريدون اجراء إنتخابات فى مصر .. ولكن النحاس أصر على اجراء انتخابات .. واكتسح الوفد جميع الدوائر لدرجة أن هناك شخصية مثل

أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة لم يحصل الا على عدد قليل من الاصوات وكذلك شخصية مثل اسماعيل صدقى باشا وبهى الدين بركات باشا ..

تلك كلها حقائق من أجل التاريخ .. ولكن يبقى عندى سؤال : ماذا كان يحدث لو أن النحاس ـ حزب الوفد ـ رفض تشكيل الوزارة التى أرادها الانجليز فى ظنى ، وفى اعتقادى أن ذلك لو تم .. لكان شعب مصر فرضه رئيسا للوزراء .. وربما ما هو أكثر من ذلك ..

ولكن وتلك حقيقة أخرى أن الوفد كان فى اشد الشوق لتشكيل الوزارة وسبب شوقه انه ظل بعيدا عن الحكم منذ ان اقاله الملك فاروق عام ١٩٣٧ .. وكان قد سبق للملك فؤاد أن اقاله عام ١٩٢٨ .. لقد كان يقين الوفد ان الملك لايحبه .. وان الانجليز لا يحبونه الا من خلال مصالحهم وتحقيق مصالحهم لذلك فقبول الوزارة مكسب أو فرصة لا يجب ان تضيع .. ولكنها ضاعت عام ١٩٤٤ باقالته وضاعت أيضا عند اقالته بعد حريق القاهرة فى عام ١٩٥١ .

لذلك كله ما أحببت أبدا الاحزاب فى مصر .. لان الاحزاب اضاعت حقوق مصر .. وأطالت الفترة الزمنية فى محاولات استكمال الاستقلال بالجلاء .

* يقول عزيز المصرى :

ـ ملك كان مهددا باجباره على التنازل عن العرش ماذا يفعل ؟ وماذا تكون تصرفاته مع الانجليز ؟

هل يفكر فى شعب مصر ؟ .. هل يفكر فى مصلحة الشعب الذى يحكمه ؟

الجواب كان : « لا » ..

ارتمى الملك تماما فى احضان الانجليز .. وغاص اكثر وأكثر فى ملذاته حتى معارضته للنحاس خلال السنة الأولى من الحكم لم تكن موجودة على السطح .. ثم ما لبث فاروق أن شعر بوجوده تماما عندما قدم مكرم عبيد باشا كتابه الأسود الى القصر ـ فاروق ـ وقد ضمن هذا الكتاب كل الفساد داخل الحزب .. وكل استثناءات الوزارة .. وكل

المساوىء التى لا تخطر على بال بشر .. وأصبح الكتاب نقطة سوداء فى تاريخ الوفد ..

كان الكتاب دليل ادانة ضد النحاس .. وضد حكومته .. وفكر فاروق كثيرا فى اقالة حكومة الوفد .. ولكن اثنين منعاه من ذلك :

ـ الأول : السفير الانجليزى الذى ذهب الى القصر ولوح لفاروق مرة باقصائه عن العرش ..

ـ الثانى : أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الذى كان يرى أن الوقت غير ملائم للقيام بذلك الاجراء لان الانجليز لا يريدون مشاكل داخلية يمكن ان تعوق انتصاراتهم على الجيوش الالمانية التى كانت تتقهقهر أمام اندفاع الجيش الانجليزى بقيادة روميل ..

* يقول عزيز المصرى :

بعد قرابة عام وعدة أشهر من المحاكمة .. وتداول المناقشات بين المجلس العسكرى المعين لمحاكمتى .. وبعد مداولات وسماع أقوال عشرات الشهود وبعد عشرات الدفوع ـ وربما أكثر ـ من جانب المحامين الذين كانوا يقومون بالدفاع عنى .. وبعد فترات من المرض طالت قضيتها داخل أكثر من مستشفى .. وبعد ذلك كله تحولت المحاكمة الى ضيق من الشعب المصرى .. ومن جانب الشباب الذى طلب فى احدى المظاهرات بوقف مهزلة المحاكمة التى لم يعد لها طعم أو رائحة وذات مساء وأنا داخل السجن جاء الى الضابط النوبتجى وأخبرنى اننى سوف أذهب صباح اليوم التالى الى مجلس الوزراء لمقابلة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء ..

وفى صباح اليوم التالى اقلتنى عربة الى صالون مكتب رئيس الوزراء .. انضم الى فيها الطياران حسين ذوالفقار صبرى وعبدالمنعم عبدالرءوف .. ودخلنا على النحاس باشا فى حجرته .. أحسن استقبالنا وقال لى :

ـ يا عزيز باشا .. ألا تشعر بالحنين الى حياة الدعة والاستقرار ..

قلت له : ومن يرفض هذا النوع من الحياة يا رفعة الباشا .

قال لى : لقد التقيت مع الملك فاروق وسار بيننا حديث طويل حولك

ولقد اخبرته ان نيتى اصدار قرار بالعفو عنك .. وبالحق أقول لك انه لم يبد رأيه بالرفض أو الموافقة .. وكل ما قاله : تصرف فى هذه القضية كما يحلو لك .. وأنا موافق على أى قرار من جانبك فيها ..

وقال النحاس باشا : لقد قررت الافراج عنك فورا .. وعن الضابطين وكل ما أطلبه منك الابتعاد عن المشاكل أو عدم اثارة أى قضايا تساعد على هياج الجماهير .

وتركت مكتب رئيس الوزراء .. وبعد ساعات كنت أخرج الى بيتى فى عين شمس .. ولم تكن مفاجأة اننى وجدت حراسة من رجال البوليس تحيط بالمنزل من كل اتجاه .. وقررت أن ارتاح فترة من الوقت .. وأقوم بعلاج جسمى كله من الامراض التى كانت تسبب لى الكثير من الالم ..

ومرت الايام .. وكانما الاعتقالات بعد ذلك كانت جزءا من شريط حياتى تم القبض على بعد مقتل امين عثمان .. ثم بعد اغتيال الدكتور احمد ماهر باشا رئيس الوزراء .. ومن بعد أيضا اغتيال النقراشى باشا .. وكذلك القبض على السيارة التى كانت تحمل مدفعا رشاشا ومواد متفجرة .. بعد بلاغ من مواطن باننى كنت أقوم بتدريب شباب فى الصحراء على ضرب النار .. وكان هناك تفكير جدى بالقبض على بعد حريق القاهرة المشهور الذى اتى على شوارع كاملة وسط القاهرة وتم فيه تدمير مئات المحلات التجارية ..

لقد كان وراء مقتل امين عثمان حكاية ..

وكان وراء مقتل الدكتور أحمد ماهر أكثر من رواية .

وكان وراء اغتيال النقراشى العديد من القضايا ..

كل واحدة تستحق ان نرويها .. وتستحق ان نسجلها .. لانها جزء من تاريخ ونضال شعب مصر الذى كان لايملك سوى الانتظار والتطلع فى اسى وحزن الى مصيره المعتم فى ظل الاحزاب .. ويمكن القول ان مصر خلال تلك السنوات تحولت الى غابة .. رفع فيها كل حزب السلاح تجاه الاخر .. وخلال صدى طلقات الرصاص التى كانت تدوى فى القاهرة كانت مصر هى الضحية .. كانت هى الام التى سالت دماؤها بأيدى ابنائها الذين يمكن أن نطلق على كل واحد منهم كلمة عاق ..

ويمضى مشوار حياة عزيز المصرى وسط أحداث مصر .. وكانت هذه الاحداث كثيرة .. ومتنوعة .. وأيضا دامية ..

كانت حياة الفريق عزيز باشا المصرى فى القاهرة أشبه بالسجن الكبير بعد حادثة الطائرة التى حاول عن طريقها وبواسطتها مغادرة مصر فى عام ١٩٤١ .. وبعد المحاكمة التى استغرقت أربعة عشر شهرا صدر قرار بالعفو عنه وزميله الطيارين حسين ذوالفقار صبرى وعبدالمنعم عبدالرءوف .. ومنذ ذلك الوقت . وعند حدوث أية قلاقل او ارتكاب جرائم نسف او اغتيال كان أى وزير داخلية يجلس على كرسى الوزارة يصدر أوامره الفورية باعتقاله والتحقيق معه باعتباره المدبر الأول لمثل هذه الحوادث والجرائم ، ويمكن تحديد عدد مرات الاعتقال بعد حادث الطائرة السابق الاشارة اليها فى الاتى :

* الاعتقال فى ١٣ أغسطس عام ١٩٤٢ والذى استمر حتى ٢٠ نوفمبر من نفس العام ..

* القبض عليه بسبب اغتيال احمد ماهر باشا رئيس الوزراء ..

* الاعتقال بمناسبة مقتل أمين عثمان فى الخامس من يناير عام ١٩٤٦ ..

* القبض عليه بعد اغتيال مصطفى فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء ..

* وكان الاعتقال الاخير فى يناير عام ١٩٤٨ فى حادثة ضبط سيارة كانت مليئة بالمواد المتفجرة .. وكانت التهمة التى وجهت اليه محاولة نسف القاهرة ..

وكانت هناك قصة وراء اعتقاله فى الثالث عشر من اغسطس عام ١٩٤٢ وقد أكد لى عزيز المصرى أكثر من مرة أن السبب المباشر فى هذا الاعتقال يرجع الى أنور السادات الذى ذكر اسمى فى التحقيقات أكثر من مرة .. وأفاد فى اقواله بأننى كنت وراء التعارف الذى تم بينه وبين جون ابلر الجاسوس الالمانى الذى قبضت عليه السلطات المصرية . وتبين انه كان يخابر روميل من القاهرة ويعطيه اسرار التحركات البريطانية العسكرية ، وكل ما يطلب منه من معلومات

عسكرية .. وقال لى أيضا بالحرف الواحد :

ـ الولد الاسمر أنور السادات زج بأسمى لا أعرف عن عمد أو بحسن نية ولقد عاتبته كثيرا عن اقواله لانني طوال معرفتي به معجبا بشخصيته الثورية وأيضا بدهاء الثعلب فى حركاته وتصرفاته وهو يتحرك وسط الخلايا الثورية الموجودة فى القاهرة .. ولقد أكد لى بعد ذلك : انه لم يذكر اسمى على اساس اتهامى او اشتراكى فى أى عمل من اعمال الجاسوسية .. انما جوابه جاء عرضيا عندما نفى أى وجود لى فى اى عملية اتصال مع جون ابلر الجاسوس الالمانى خاصة بعد ضبط جهاز الارسال الذى كان يستخدمه فى ابلاغ المعلومات .. واعترف اننى تضايقت كثيرا بالرغم من هذا التبرير من جانبه ، ولكننى ما لبثت أن نسيته تماما وراء تلاحق الاحداث وتكرار اللقاءات معه بعد ذلك .. وان كنت بين الحين والأخر أقول له :

ـ يا أنور لن أنسى انك أبلغت عنى ..

كان يضحك وهو يقول : حاول ان تنسى يا باشا .. لقد اعتقلوك لانك زعيم .. انك ترفض الملك والاحزاب والانجليز .. وكنا كلنا نتعاطف مع الالمان ..

والجاسوس جون أبلر له قصة طويلة .. ولد فى المانيا عام ١٩١٤ ، ثم سافر الى القاهرة بصحبة والدته الالمانية .. ثم انتقل معها الى بورسعيد وهناك تزوجت بالاستاذ صالح جعفر المحامى .. وكما أعطى الزوج اسمه لزوجته اعطاه كذلك لابنها الذى اطلق عليه اسم « حسين » .. ومن هنا أصبح « جون ابلر » حسين صالح جعفر .. وتعلم حسين فى العديد من المدارس .. ونشأ فى جو عائلى يميل الى الاباحية فى سلوكياته العامة .. وبمضى الوقت أصبح هاويا للجلوس فى البارات والملاهى الليلية . وتعرف على الراقصة حكمت فهمى التى كانت معروفة فى ذلك الوقت وفى احدى الاجازات التى كان يقضيها فى لبنان .. تقابل مع « فراو بولاكوخ » من أخطر الجواسيس الالمان فى منطقة الشرق الأوسط .. ونجح فى ابراز شخصيته الالمانية ، وضرورة أن يكون الولاء لالمانيا .. وسافر حسين جعفر الى برلين .. وتم تدريبه

على أعمال الجاسوسية بأسلوب راق ومتطور .. ثم التقى مرة اخرى مع فراوبولا فى تركيا .. وهناك طلب منه الاتجاه الى القاهرة ولكن عليه قبل ذلك الاتجاه مرة أخرى الى برلين ..

ذهب جون ابلر الى مقر قيادة روميل .. ومن هناك بدأت أغرب رحلة لجاسوس المانى يدخل مصر خلال دروب وسهول الصحراء الغربية وكان بصحبته خبير اللاسلكى بيتر مونكاستر .. كانت رحلة الصحراء قاسية ولكنهما اجتازاها بنجاح حتى وصلا الى أسيوط وهما يرتديان الملابس العسكرية الانجليزية .. كانت بطاقة أبلر المزورة أنه ضابط انجليزى .. وكانت أوراق زميله بيتر مونكاستر تشير انه أمريكى وكان معهما جهاز لاسلكى .. ومن أسيوط توجها فى عربة جيش انجليزية استعاراها من أحد المعسكرات الى محطة السكة الحديد .. ومن هناك ركبا القطار الى القاهرة وفى القاهرة نزلا فى فندق شبرد .. وفى المساء كان جون أبلر يحتسى الويسكى فى ملهى الكونتننتال .. وهناك التقى مرة أخرى مع الراقصة حكمت فهمى التى كان قد تعرف عليها فى القاهرة قبل تجنيده فى المخابرات الالمانية ..

* يقول عزيز المصرى :

- ان اسم الراقصة حكمت فهمى كان مدويا فى القاهرة .. كانت الراقصة رقم واحد .. وقامت بدور مزدوج مرة لحساب المخابرات الالمانية واخرب لحساب المخابرات الانجليزية .. ومن هذه الصفة جمعت الكثير من المال .. وتعرفت على كثير من الرجال .. خاصة طبقة الباشوات ورجال المال والاعمال ..

* ويضيف عزيز المصرى :

- لقد كان من المؤكد أيضا أن المطربة المعروفة فى ذلك الوقت أسمهان كانت على علاقة بالمخابرات الالمانية وفى نفس الوقت تلعب دورا معينا مع المخابرات الانجليزية .. ومن المعروف انها كانت دائما ترتاد فندق الكونتننتال وشبرد ، وتقضى الكثير من وقتها وسط القيادات الانجليزية تشرب الويسكى .. وكانت أمينة البارودى على نفس الوتيرة .. واحب ان أقرر حقيقة : ان حادث مصرع الفنانة اسمهان

وسقوط السيارة التى كانت تركبها لا أذكر وهى ذاهبة أو قادمة من رأس البر .. هذا الحادث أطلق حوله العديد من الشائعات كان أكثرها سريانا بين الشعب المصرى .. ان سيدة الغناء العربى أم كلثوم كانت وراء الحادث .. وخرجت الاشاعات تردد : ان أم كلثوم ارادت أن تقضى عليها ـ اسمهان ـ خوفا من قوة صوتها .. وقلقا على مستقبلها الذى كان يهدده وجود اسمهان على ساحة الغناء فى مصر .. تلك كانت الاشاعات ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ الحقيقة أن أم كلثوم بعيدة تماما عن هذا الادعاء .. وهذه الاشاعة أطلقها الانجليز .. أطلقتها المخابرات الانجليزية .. أقول أيضا : ان المخابرات الانجليزية كانت وراء مصرع اسمهان .. لقد اكتشف الانجليز دورها المزدوج .. وحاولوا الوصول الى المعلومات التى تفضح دورها .. ولصلتها القوية بالقصر وبالذات أحمد حسنين باشا .. حاول الاخير الاتصال بالقيادة الانجليزية لمنع التحقيق معها .. ولما لم تكن هناك قرائن ثابتة تصلح أساسا للتحقيق .. ولما رأت المخابرات الانجليزية أن تركها أمر بالغ الخطورة عليهم .. كان القرار بالقضاء عليها وتم تدبير حادث مصرعها بالقرب من المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية .

* يقول عزيز المصرى :

ـ بعد القبض على أبلر .. وسماع شهادة أنور السادات وحسن عزت تم القبض على وأيضا على عبد المغنى سعيد ـ كانت زوجته المانية ـ وقد سبق الحديث عن دوره .. واستمرت التحقيقات التى انكرت فيها معرفتى بالجاسوس والحقيقة اننى كدت أعرفه ، وتقابلت معه مرة واحدة عن طريق مستر هوارد .. أو الهر هوارد الذى كان يعمل فى مفوضيه السويد فى القاهرة ويقوم برعاية المصالح الالمانية بعد اغلاق السفارة والمفوضية الالمانية فى القاهرة .. وأقول أيضا اننى أخبرت هوارد أن ابلر غير صالح لمهمته لانه انحرف بها الى حياة الليل فى القاهرة .. بل اننى توقعت فشله والقبض عليه ، عندما علمت أيضا انه

ينفق بلا حساب من الجنيهات الانجليزية المزورة التى كان يحملها معه .. ولقد تحقق كل شيء توقعته .. واذكر اننى أخبرت بذلك أنور السادات .. الذى أخبرنى بدوره أن جهاز الارسال معطل والذى طلبت من أنور السادات اصلاحه لجون ابلر فى عوامته .. هذا الجهاز لم يكن معطلا بالفعل .. وانما الخلل جاء من القائمين على جهاز الاستقبال ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ لقد قضى ابلر على نفسه بسبب حبه المفرط للنساء .. وادمانه على شرب الخمر .. ولقد ساعد على اكتشافه بخلاف هذين السببين تتبع الوكالة اليهودية لحركاته عن طريق احدى الفتيات اليهوديات التى القت بكل شكوكها عند رؤسائها .. لهذه الاسباب مجتمعة فشلت مهمة جون ابلر .. وفشل هتلر ، وأيضا روميل فى الحصول على المعلومات التى كانا يريدانها عن تحركات الانجليز وخططهم وتجمعات جندهم وقياداتهم .. ولم يسفر التحقيق معى عن أى شيء .. وانتهى الى لاشيء .. ولولا كلمات أنور السادات أثناء التحقيق معه لما تم اعتقالى ..

* أما حادث الاعتقال التالى فكان بمناسبة اغتيال الدكتور أحمد ماهر رئيس وزراء مصر فى ٢٤ فبراير عام ١٩٤٥ .. وقد هاجمه المحامى محمود العيسوى وأطلق عليه النار فى مبنى مجلس النواب .. وقد قبض على القاتل الذى اعترف انه من شباب الحزب الوطنى .. وانه قام بارتكاب الجريمة بسبب ان المرحوم أحمد ماهر أعلن فى مجلس النواب المنتخب الجديد الذى حصل فيه الحزب السعدى على الاغلبية اعلن دخول مصر الحرب العالمية الثانية .. وان دخول مصر الحرب سوف يعرضها للدمار ولنتائج أى حرب .. وقد حكم على القاتل محمود العيسوى بالاعدام .

* يقول عزيز المصرى :

ـ ولكن الحقيقة بخلاف ذلك .. فالحقيقة ان محمود العيسوى كان من الاخوان المسلمين .. ولقد تأكد لى ذلك بعد المحاكمة وبعد خروجى من الاعتقال .. بل اننى سمعت ذلك من اكثر من مسئول أحيانا بطريق مباشر ، واخرى بطريق غير مباشر .. ويمكن الربط بين تلك الحادثة ـ

حادث الاغتيال ـ وبين فشل المرحوم حسن البنا فى الانتخابات ـ انتخابات مجلس النواب ـ فى مدينة الاسماعيلية .. المعروف ان هذه المدينة هى معقل الاخوان المسلمين .. ومنها انطلق حسن البنا يبشر بدعوته .. ولقد ظلت دائما تمثل كتلة مترابطة من جماعات الاخوان .. وعندما رشح حسن البنا نفسه كان واثقا مائة فى المائة انه سوف يفوز فوزا ساحقا على منافسه فى الدائرة .. وكان المرشح المنافس هو الدكتور سليمان عيد ، وقد علمت فيما بعد بسنوات انه خال المهندس عثمان احمد عثمان .. وقد نجح الدكتور سليمان عيد وسقط مرشح الاخوان حسن البنا ..

وأذكر انه عندما ظهرت النتيجة تجمع الاخوان فى مظاهرة صاخبة أمام قسم الاسماعيلية .. وكانت المدينة قد استقبلت الالاف منهم من المناطق المجاورة .. وكان يمكن أن تحدث كارثة لولا أن الشيخ حسن البنا وقف بينهم متحدثا لمدة دقيقة واحدة بعدها تفرقت جموعهم وعاد الهدوء الى المكان .. واذا تم الربط بين عدم نجاح حسن البنا فى الانتخابات والاغتيال .. سنجد أن هناك علاقة أيضا مباشرة وغير مباشرة . لان الاخوان بعدها عاشوا الصدمة والتساؤل الذى جرح كرامتهم : لماذا فشل حسن البنا فى الانتخابات وبالذات فى معقل الأخوان ؟ حول هذه الواقعة قالوا : ان الانتخابات مزورة .. ولكن على كافة الاحوال كان الشكل العام للقضية فشل الاخوان فى تحقيق نصر نيابى .. وفشل زعيمهم فى دخول مجلس النواب ..

بعد مقتل أحمد ماهر تم اعتقالى .. وتم التحقيق معى لاسابيع طويلة واذكر ان صحتى لم تكن جيدة .. وطلبت نقلى الى المستشفى .. وتم تحويلى الى المستشفى الايطالى .. واذكر ان هناك احد الضباط أراد أن يبيت معى فى نفس الحجرة ، ولكننى طلبت من الطبيب أن يرفض ذلك الاجراء لانه غير عادل وبعد اتصالات بجهات الامن شددوا الحراسة على باب غرفتى .. وعلى سطح المستشفى ، وأبوابها الخارجية والداخلية .. وبعد تحقيقات طويلة ثبت انه لا طائل ولا فائدة من اعتقالى .. فتم الافراج عنى .. ومرة أخرى عدت الى منزلى ولكننى

كنت تحت المراقبة أكثر مما كانت عليه الحال فى المستشفى .. كانت هناك قوة عسكرية من البوليس تحرس المنزل . وأذكر انهم منعوا عنى الاتصال التليفونى ثم رفعوا الحرارة من التليفون الخاص بى .. واذكر من الذين كانوا يقومون بزيارتى المرحوم الشيخ حسن البنا وحافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى المعتدل فى شخصيته وارائه .. كما كان يحرص على لقائى بشكل دائم ومستمر صديقى المناضل فتحى رضوان الذى كان ضمن هيئة الدفاع عنى فى قضية الطائرة ..

* الاعتقال التالى كان بعد مصرع أمين عثمان عام ١٩٤٦ الصديق الحميم للانجليز .. والذين كانوا يلجأون اليه فى أى خلاف مع الوفد لتسهيل مطامعهم وسياساتهم .. ولقد كان له دور واضح ومعروف فى المفاوضات بينهم وبين النحاس باشا قبل حادث ٤ فبراير وبعده عندما عين وزيرا للمالية .. سبق اغتيال امين عثمان ما تردد بين شباب الجمعيات السرية بثبوت خيانته .. وضرورة قتله .. وفى يوم السبت الموافق الخامس من يناير اطلق عليه الرصاص وهو فى طريقه الى مدخل نادى فيكتوريا ـ كانت زوجته انجليزية ـ ونقل الى مستشفى موروباشا .. وقد قام الدكتور مورو باجراء عمليتين جراحيتين بمساعدة طبيبين انجليزيين .. ورغم اجراء العمليتين الا ان حالته كانت خطيرة .. وبعد منتصف اليوم التالى شيعت جنازته التى كانت تحوطها مظاهرات صاخبة تهتف بخيانة أمين عثمان .. وكانت هى المرة الأولى فى تاريخ الحياة السياسية فى مصر .. أن تسير مظاهرات تهتف :

ـ الى جهنم يا أمين .. الموت جزاء الخيانة ..

وبعد مقتل أمين عثمان قام النقراشى باشا رئيس الوزراء بحملة اعتقالات كبيرة جدا .. وكنت ضمن المعتقلين .. وهذا هو نص محضر التحقيق مع عزيز باشا المصرى :

س : اسمك ؟

جـ : عزيز المصرى عمرى ٦٥ سنة رئيس هيئة أركان حرب الجيش سابقا مولود بمصر ومقيم فى عين شمس ..

س : هل تنتمى الى حزب أو جماعة سياسية ؟

جـ : لا ..

س : هل تتصل بأحد المشتغلين بالمسائل السياسية ؟

جـ : الهيئة الراقية الحكومية فى مصر مشتغلة بالمسائل السياسية ومعارفى منهم .

س : ألا يكون من رأيك تحبيذ استعمال وسائل العنف من الداخل للوصول الى تحقيق فكرتك فى الاستقلال الداخلى للبلاد ؟

جـ : كنت أحبذها وأنا شاب فى الثورة القومية العثمانية حيث كنت ضابطا فى الجيش العثمانى . وكانت الثورة نتيجة عمل هذا الجيش .. ومع ذلك فلم يعرف عنى فى ذلك الوقت انى سمحت لاحد اخوانى ان يقتل اى رجل حتى من الذين كنا نعتبرهم أعداء الوطن .. وكان منهم قائد الحامية التى كنت فيها ، وكانت حجتى ان هذا الرجل قليل الادراك ، ولكن له ولد نابغة يدرس فى استانبول والولد هو المستقبل ، قتل والده يضر المستقبل .

س : وهل هذه اراؤك الحالية ؟

جـ : والى أن أموت ..

س : هل هناك ممن تتصل بهم ممن يعتنقون هذه المبادىء ؟

جـ : لم أجد بعد فى مصر فردا واحدا مؤمنا ايمانا حقا راسخا فى أى مبدأ من المبادىء العامة ، بل وجدت فى بعض الاوساط ـ نسبة قليلة جدا ـ نبلا فى الاخلاق وميلا الى الرقى ، وحبا شديدا للوطن وكراهية للاحتلال وامالا عالية للاستقلال .. ولكن لم أجد برنامجا عمليا أو شبه برنامج للوصول أو لرسم طريق تصل به البلاد الى هذه الاهداف ..

س : ورد فى التحقيق أن بعض الذين يريدون تحقيق أغراض سياسية معينة اتجهوا الى الاتصال بك لمساعدتهم فى تنفيذ أغراضهم .

جـ : أنا ما عنديش حزب أساعد أحد ومفيش عندى غير ارشادات .. والزيارات متوالية عندى من يوم خروجى من الاعتقال ، ومنهم شيب ومنهم شبان .. وأكثرهم لا أعرفهم .. وانا دائما كنت ابدأ حديثى معهم بأن نصفهم من القلم السياسى ، ونصفهم الاخر

ثوريون .. فكيف تنتظرون أن أعطى مثل هذه الطوائف اسرارا أو اراء شاذة مثل قتل أحمد ماهر أو اتجاهات عنيفة ايا كانت .. بل بالعكس حصل كثيرا ان اعطيت جماعات توسمت فيهم الذكاء والفطنة كتبا لتلخيصها بعد فهمها ، وابداء آرائهم فيها ، وهى كتب تاريخ وأدب ..

س : هل ممن تذكر حضورهم لك كانوا يحضرون بصفتهم أفرادا واعضاء لجماعات ؟

جـ : لا دول ناس ميعرفوش بعض ..

س : هل لم تكن تتحرى أن تكون من بين هؤلاء أو غيرهم جماعة أو جماعات لتنفيذ اغراض معينة .

جـ : لا ..

س : أليس لك اتصال بضباط متقاعدين من الجيش المصرى بقصد تنفيذ خطة سياسية معينة ؟

جـ : لا .

س : هل تعرف وجود جماعات سرية غرضها ارتكاب جرائم القتل والاعتداء على اشخاص عموميين ؟

جـ : ما اعرفش جماعات ولكن الحوادث تدل على وجودها .

س : أليس لك صلة باحدى هذه الجماعات ؟

جـ : لا ..

س : هل تعرف أحدا من بين الضباط المتقاعدين يشتغل بالمقاولات الحكومية ؟

جـ : نعم أعرف ولد أسمر اسمه السادات ، وأعرفه من الجيش ، لانه كان ضابط كويس فى سلاح الاشارة ، وكنت انبسطت منه وانا افتش الجيش .. وزارنى فى يوم الجمعة فى الغالب بعد انفصالى من الجيش .. ثم كان يتردد على فى الاعياد .

س : هل تعرف أنه يمكن الحصول على اسلحة من أسلحة الجيش المصرى أو البريطانى بطريقة غير مشروعة ؟

جـ : ممكن وكل الصعيد مليان أسلحة .. ويبلغنى من ضباط البوليس وغيرهم أن الحالة اصبحت لاتطاق ، وانه تحصل معارك مع

المهربين ويستعملون فيها مدافع التومى ..

س : وهل تعرف اشخاصا يتمكنون من الحصول على قنابل يدوية ؟

جـ : يجوز التهريب ، والعساكر الانجليز يتصرفون فى السلاح للحصول على زجاجات ويسكى .

س : هل تعرف وقائع معينة من هذا النوع ؟

جـ : لا .

تمت اقواله ـ المحامى العام ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ ومكثت فى سجن مصر فترة طويلة .. وفى بداية التحقيق كانت هناك صرامة شديدة فى المعاملة داخل السجن .. ولكن بالتدريج بدأت هذه القيود تخف بالتدريج .. وسمح لى بالطعام من الخارج ، وبعض الادوية التى كنت اطلبها خاصة الادوية المسهلة لاننى كنت اعانى من الام فى المعدة بسبب رداءة الطعام ـ فى البداية ـ ثم سمح لى بمزاولة لعبة الطاولة التى كنت العبها وحدى ممثلا لطرفى اللعبة .. ثم وجدت من المحبوسين من كان يشاطرنى هذه اللعبة التى كنت أحبها بخلاف حبى للشطرنج ..

ومضت فترة الاعتقال كئيبة ومملة .. وكنت اسمع أصوات المظاهرات .. والهتافات التى تعلن فشل النقراشى فى سياساته الداخلية والخارجية .. وكنت بحق من المؤمنين بان تيار الاغتيالات لن يتوقف بأى حال من الاحوال .. فالشباب سئم المظاهرات .. والهتافات .. ولم تعد لديه أى ثقة فى قيادات الاحزاب أو الحكومة ـ حكومة النقراشى ـ التى كانت فى حالة مهادنة كاملة مع الانجليز .. وأيضا مع القصر .. واقصد بالقصر الملك فاروق الذى كانت حياته فسادا فى فساد .. وسهرات مع حاشيته وكبار المسئولين فى مصر . سهرات مع الغوانى والعشيقات اللائى كان يرتفع عددهن واحدة وراء الاخرى .. وكان الجميع يتسابقون لارضاء الملك ويشجعون هواياته بشكل تقشعر له ابدان الشرفاء .. وخرجت من السجن بلا محاكمة .

* يقول عزيز المصرى وهو يسرد مشوار اعتقالاته :

ـ وكان الاعتقال التالى .. وكانت مناسبته اغتيال محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ .. على يد عبد المجيد حسنى وكان عضوا بجماعة الاخوان المسلمين .. وفى الواقع كانت الاحداث السياسية خلال فترتى حكم النقراشى (الوزارة الأولى والثانية) من اسوأ الاحداث ، كان غير قادر على مفاوضة الانجليز وكان بدون أى رصيد شعبى سوى انه كان مؤيدا من القصر .. وقد حاول مباحثة الانجليز فى مفاوضات غير معلنة من أجل انقاذ مشروع صدقى بيفن ولكنه فشل . وكان مشروع صدقى ـ بيفن يعتمد على وعد الانجليز بالجلاء خلال ثلاث سنوات مقابل ربط مصر بمشروع الدفاع المشترك .. ثم كان الاجتماع ـ جبهة وادى النيل ـ فى الخامس عشر من يناير عام ١٩٤٧ فى مبنى المركز العام للشبان المسلمين ومثل فيه الحزب الوطنى والوفد المصرى والشبان المسلمون والاخوان المسلمون والكتلة الوفدية وجبهة مصر واللجنة التنفيذية للطلبة ومصر الفتاة .. ثم كانت اجتماعات طلاب جامعتى القاهرة والاسكندرية واتحادات العمال .. جميع هؤلاء طالبوا بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ .. واكثر من ذلك انه فى يوم ١٩ يناير ١٩٤٧ ظهرت الصحف مجللة باللون الاسود تطالب بالجلاء من وادى النيل شماله وجنوبه ـ السودان ـ وتندد بضعف حكومة النقراشى .

وأكثر من ذلك أن القضية المصرية عندما عرضت على مجلس الامن جمدت بدون اى حل .. وكثرت المشاكل وتعرضت الصحف للمصادرة .. وقامت المظاهرات وبدأ الاتجاه قويا من النقراشى فى محاربة الاخوان المسلمين بشكل سافر .. ثم ظهرت كارثة تقسيم فلسطين .. ثم كانت الطامة الكبرى عندما تعاون النقراشى مع نائبه ابراهيم عبد الهادى باشا ووكيل الامن والداخلية عبد الرحمن عمار .. وقد أسفر هذا التعاون عن القرار العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان المسلمين وقد شمل القرار اغلاق جميع مكاتبها ومصادرة ممتلكاتها ..

وتم اعتقالى بعد اغتيال النقراشى ..

وبالرغم من أن أفراد الجماعة اعترفوا بحيازة الاسلحة وتوزيع المنشورات فانه استمر اعتقالى لان سائق السيارة اعترف انني اعرفه . والحق انني أعرفه لانه كان يتردد على منزلى .. وكان يستمع الى أحاديثى .. ولقد نقلت ذلك الى المحقق الذى حاول أن يربط بين معرفتى به .. وبين اشرافى على هذه الجمعية الارهابية التى كانت تنوى نسف احد أحياء القاهرة .. واثناء اعتقالى علمت بنبأ مصرع الامام حسن البنا .. ولقد حزنت حزنا شديدا عليه .. لانه كان بحق رجلا قياديا ماهرا .. ولكنه كما ذكرت سابقا فقد السيطرة الكاملة على الجماعة وكان عبد الرحمن السندى يقوم بأعمال كثيرة من خلف ظهره .. بل انه كان يريد منافسته فى قيادة الجماعة .. وحاول ذلك بعد موته ، ولكنه فصل بعد ان حاول الاعتداء على المرشد الجديد حسن الهضيبى ..

استمرت فترة اعتقالى قرابة ثلاثة أشهر .. نقلت اثناءها الى المستشفى لسوء حالتى الصحية .. كنت أشكو من الام شديده فى ظهرى .. وكان هذا الالم يعاودنى اثناء الشتاء .. لاننى عندما كنت ضابطا شابا حاولت حمل مدفع متوسط وعندما حاولت رفعه تمزق ظهرى تماما .. وعولجت وقتها .. ولكن الالام كانت تلاحقنى عندما تقدمت بى السن .. ولما لم تصل جهات التحقيق معى الى نتيجة معينة .. أو على الاقل لم تثبت ضدى أى شىء .. هنا صدر الامر بانهاء اعتقالى وعودتى من جديد الى منزلى فى عين شمس .. وداخل البيت عشت فترة عصبية لمدة ثلاثة أشهر أخرى .. منعت الزيارات عن بيتى .. ومنعت من مغادرته وكان فى حراستى ثلة من جنود الهجانة المعروف عنهم القسوة والعنف ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ كانت فترة سيئة تماما .. لازيارات .. لا مقابلات .. حتى عندما كنت اقوم من نومى مبكرا ، وأريد السير فى الحديقة كان يصبحنى جنديان .. وحتى هذه الرياضة المفضلة عندى اقلعت عنها امام هذه القسوة فى المعاملة .

وبالرغم من أن القضية تم فيها تحديد الجهه التى ينتمى اليها القاتل وبالرغم من أن الشيخ حسن البنا أعلن أنه لا يوافق على الاغتيال .. وأن القاتل لا يمثل الجماعة .. بل وأكثر من ذلك اشتمل بيانه على ان النقراشى علم من اعلام النضال المصرى ، وقائد من قيادات نهضتها .. وأنا لم أوافق على ما جاء فى هذا البيان لان النقراشى لم يكن أبدا علما من اعلام النضال ، بل كان متخاذلا، وضعيفا وبعيدا كل البعد عن النضال ، وجاءت وزارة ابراهيم عبد الهادى التى كانت تحمل السوء لمصر .. ففى عهده بدأت أكبر المحاكمات ودخل المعتقلات المئات ولا أكون مغاليا اذا قلت الالاف .. وداخل المعتقلات تمت أبشع انواع التعذيب .. وكأنما كان ابراهيم عبد الهادى ينتقم لمصرع رئيس حزب السعديين النقراشى .. وكنت أنا ضمن ضحايا ابراهيم عبدالهادى ، وعشت فترة طويلة تحت مظلة التحقيقات التى دامت عدة أشهر .. وكانت قسوة المعاملة أشد من فترات الاعتقال السابقة .. ولكننى تحملتها ، وكان يخفف من حدتها مساعدة بعض الضباط من رجال البوليس لى داخل السجن .. كان هناك نفر منهم ممن كانوا من تلاميذى قدموا لى المساعدة فى الحصول على الجرائد والمجلات والكتب .. وكانوا يحضرون لى عصير الليمون الذى أحبه .. ومرة أخرى يصدر الامر بالافراج .. وأعود من جديد الى بيتى ..

* وجاء حادث السيارة فى اواخر يناير عام ١٩٤٩ .. وكان قد تم ضبط سيارة ملاكى عثر بداخلها على منشورات لقلب نظام الحكم ومدفعين « تومى جن » و ٦٤ طلقة نارية وعدد من المسدسات بخلاف أربع قنابل يدوية شديدة الانفجار .

* يقول عزيز المصرى :

– وتم القبض على وايداعى سجن الاجانب رهن التحقيق الذى استمر معى عدة اسابيع وقد حاول بعض الجنود ايذائى فوجهت اليه لكمة قوية فى وجهه ألقته أرضا . وكان يشرف على فى السجن أحد أولادى من ضباط الشرطة .. ساعدنى كثيرا بتقديم كل عون طلبته ..

ولن انسى مطلقا للسيدة زينب خادمتى انها كانت تهيىء لى البيت وتعمل على نظافته وطهى الطعام مع طباخى الخاص .. وكثيرا ما كنت أحضرهما للجلوس معى والحديث معهما .. أو الاستماع منهما عما كان يحدث فى الشارع السياسى فى مصر .. ولما سمح لى بقراءة الجرائد .. كانت زينب تحرص على شرائها لاقضى وقت فراغى الطويل فى قراءتها وعندما رفعت الحراسة .. وعادت حياتى الى سيرتها الأولى .. بدأت استقبل الكثير من الزوار كما هى عادتى .. لعدة اشهر حتى جاءت حكومة الوفد .. وحتى تم الغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ ثم كما ذكرت سابقا كان دورى الواضح فى كتائب التحرير حتى تجميد نشاطها ..

وبعد ان نفضت يدى من كتائب التحرير .. كانت امامى مهمتان :

* الأولى : الدعوة التى وصلتنى من باكستان .. كان مفاد الدعوة الرغبة الاكيدة لدى زعامة هذه الدولة الوليدة فى تكوين جيش قوى ، وعرضوا على هذا الدور بكل الشروط التى أريدها .. وفى البداية اختمرت الفكرة فى رأسى وكان تساؤلى : لماذا لا أسافر ؟ وكان يقوى هذا الاتجاه المتاعب المتلاحقة من جراء اعتقالى أو تحديد اقامتى أو على الاقل مراقبة حياتى وكل عمل اقوم به .. هذه المراقبة مارستها معى جميع الاحزاب بدون استثناء كذلك حدث عندى نوع من اليأس العام والشامل من حدوث أى تجديد أو جديد على الساحة السياسية فى مصر .. ولكن كان يشدنى تلك اللقاءات التى كانت تتكرر وتتلاحق واحدة وراء الاخرى مع الكثير من الضباط الاحرار ..

من هنا فضلت البقاء فى القاهرة .. ورفضت عرض السفر الى باكستان .

* المهمة الثانية : الدور الذى بدأت امارسه وسط قطاع العمال فى مصر .. وكان هذا الدور يختلف تماما عن الدور الذى كان يمارسه الحزب الشيوعى فى مصر خلال هذه الفترة التى كنت فيها لصيقا بقيادات العمال .. وكنت مشاركا لهم فى مناسباتهم وأعيادهم .. وكانت خطتى تسير نحو الاتى : الاهتمام المطلق بثقافة العامل العامة ،

ضرورة التركيز على محو أميته ، التركيز على انشاء النقابات النوعية ، المطالبة بالقوانين التى تحفظ حقوق العامل امام تعسف وسطوة أصحاب رءوس الاموال ، تحديد ساعات العمل ، تحسين الاجور ..

ولقد ساعدنى فى ذلك المناضل احمد حسين الذى بدأ اتجاهه الاشتراكى فى الظهور .. كما بدأ هجومه المرير على الملك بعد ان كان يقف الى جواره وكانت عندى فكرة اصدار مجموعات شعبية من الكتب ـ ثقافة عامة ـ للعمال .. ولكن تدبير المال اللازم وقف عثرة امامها .. وعشت ايامى راضيا بما قسمه الله لى .. لان السن كانت تقدمت بى حيث تعديت السبعين عاما .. وكنت انظر حولى فلا أرى سوى الفراغ .. والمأساة التى تحيط بشعب مصر من جراء ما كان يقوم به الملك .. والاحتلال والاحزاب التى كانت تاره ترضى الملك .. واخرى ترضى الانجليز دون النظر الى ما يريد هذا الشعب الكريم .. وجاء حريق القاهرة ليثبت عمق المأساة ..

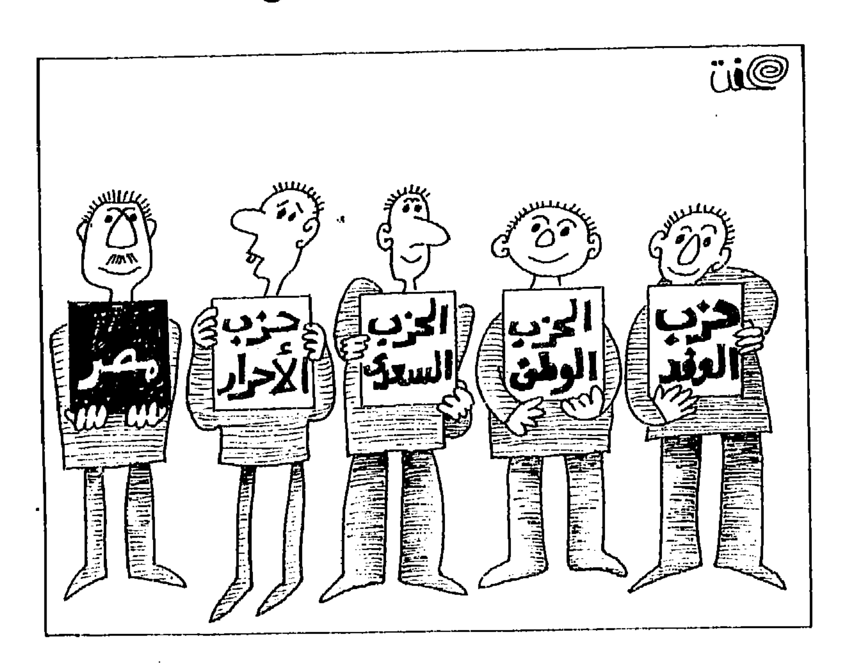
وجاءت انتخابات نادى ضباط الجيش وكيف تحدى الضباط الشبان وخاصة الاحرار ارادة الملك .. كان تحديا سافرا .. وكان نجاحا باهرا بلا حدود جدد الامل فى اعماقى .. ووسط هذه الاحداث ..

ومن وسط الظلام المعتم فى مستقبل مصر .. كان بيتى يستقبل الشباب من الضباط الاحرار .. كانت اللقاءات تتوالى .. وأيضا تتكرر .. وكانت الاجتماعات تتم بعد منتصف الليل .. وكانت زينب تضع لنا اكواب الشاى وفناجين القهوة وكان الحديث يمتد ويطول .. وكان الحماس بلا حدود .. حماس من أعماق شباب امنوا بربهم ووطنهم وشرف الجندية التى ينتمون اليها .. ونسيت كبر سنى .

ونسيت كل الامى .. وتذكرت وهم معى الامل .. عشناه جميعا بقلب واحد .. وأيضا بفكر واحد .. كان القرار ان الملك فاروق فاسد ولابد من عزله وان الاحزاب فاسدة ولابد من مرحلة جديدة .. وان مصر يجب ان تلحق بالعصر وتنعم بحريتها كاملة ، وباستقلالها كاملا .. وعلى الملك ان يرحل .. وعلى الانجليز أن يقوموا بالجلاء عن مصر ..

ذلك كله كان معناه شيئا واحدا .. كان معناه الثورة ..

الفصل السابع



« كرهت جميع الأحزاب
فى مصر .. وهذا كشف حسابها »

* سعد زغلول .. أول وآخر رؤساء الأحزاب العظام
* حزب الوفد كان يمثل الاغلبية فى بدايته والاقطاع فى نهايته ..
* الحزب الوطنى كانت مواقفه وطنية ينقصها البعدالقومى ..
* كان حسن البنا مثاليا وذكيا ومحدثا لبقا وزعيما روحيا ..
* الحزب السعدى كان بحق نسخة مشوهة من حزب الوفد ..
* حزب الأحرار كان يسعى لتحديث مصر بخطة انجليزية ورضاء الملك ..
* العنف والاغتيالات ضيعا الاخوان المسلمين وابعداهم عن هدفهم ..

بدأ الاحتلال الانجليزى الكريه لمصر عام ١٨٨٢ .. وعلى مدى عشر سنوات كان كل شيء فى مصر هادئا وساكنا .. واللورد كرومر المندوب السامى البريطانى خلال هذه الفترة استطاع أولا اقناع بريطانيا بعدم تخليها عن مصر ، لأن الاتجاه السائد كان أن هذا الاحتلال عبء ثقيل ومكلف فى وقت واحد .. ونجح فى ذلك وكانت نتائج هذا النجاح هى المرحلة الثانية التى تخطها بتوفيق كامل فى سياسته وكانت تتلخص فى الآتى :

* تمكن من تحييد الدولة العثمانية وايضا التوافق معها حتى يأمن أى شر من جابنها ..

* استطاع بحسن ادارته ان يصلح من الأحوال المالية المنهارة ويعطى لجميع الدائنين حقوقهم .

* بدأ يهتم بالجاليات الاجنبية داخل مصر ويعطيها كافة حقوقها بل انه جعلهم فى مرتبة اعلى فى الحقوق التى صانها لهم كاملة وبذلك ضمن الولاء من جانبهم دون أية مشاكل ..

* حل المشاكل السابقة قطع خط الرجعة على اى عون خارجى يمكن ان يطلبه المصريون من آية دولة .. وبذلك تمكن من ترويض مصر لمصلحة دولة الاحتلال وقبض بيد من حديد على شئون مصر الداخلية والخارجية ..

* عمل على تنفيذ خطة خبيثة نسج خيوطها بفكره الخاص .. وكان جوهرها فك رباط التماسك الاجتماعى للشعب المصرى من جانب ، وزرع بذور الشك والفرقة بين الشخصيات المصرية التى كانت رموزها الملاك الاعيان والحزب الوطنى ..

* بدأ يوجه سياساته لتحجيم النداءات الوطنية التى يحمل لواءها مصطفى كامل باعتباره من طليعة المثقفين فى مصر ..

ونجح كرومر فى خطته ونجحت ايضا سياسته .

وفوق سطح الحياة السياسية فى مصر كان هناك حزبان : الحزب الوطنى .. وايضا حزب الأمة . والسؤال الآن : هل حقق هذان الحزبان خلال هذه الفترة النتائج التى كان يامل فيها الشعب المصرى ؟

هذه النقطة يتحدث عنها عزيز المصرى فيقول :

— بداية نشأ الحزب الوطنى وتوطدت أركانه فى ظل وجود « كرومر » الذى كان يدير مصر بالحديد والنار .. وبالرغم من ذلك استطاع مصطفى كامل ان يضع بذور الرغبة القومية فى انهاء الاحتلال .. وكانت وسيلته فى ذلك الخطب التى كانت تلقى فى المناسبات .. وايضا فيما كان يكتبه فى جريدة اللواء .. ولا يمكن انكار ذلك الدور فى بناء الوعى السياسى الذى يتبلور فى حب الوطن . وكانت واقعة دنشواى التى نصب فيها كرومر المشانق فى قرية « دنشواى» لأن الفلاحين تسببوا فى موت جندى انجليزى فرصة من جانب الحزب لاستثارة الشعور القومى الداخلى ولجذب المعاونة الانسانية والادبية من دول اوربا خاصة فرنسا التى كانت فى موقف متعاطف مع مصر ..

ولكن دعوة مصطفى كامل كان ينقصها ان فكرة القومية لم تكن متأصل فى وجدان طبقة الاعيان .. والطبقة ـ الفئة ـ المثقفة من ابنائهم .. وبذلك افتقدت لعنصر مهم كان من الممكن ان يثرى الدور الوطنى لمصطفى كامل . يضاف الى ذلك ان مصطفى كامل ، ومن بعده محمد فريد كانا متمسكين بالخلافة خلافة الدولة العثمانية ، الامر الذى كان يرفضه الاعيان وطبقات معقولة من الشعب ، من هنا كادت طبقة الاعيان تعتبر دور الحزب الوطنى خطرا عليهم وعلى مصالحهم وبالتالى على وجودهم .. ومن هنا كان الصراع .. وايضا عدم التأييد .

وكان لابد من وجود حزب .. وجريدة تدافع عن مصالح الاعيان .. وقد تبنى هذه الفكرة لطفى السيد .. وكان فكر هذا الحزب يتبلور فى

عدم التبعية للدولة العثمانية والمطالبة بالدستور والحد من سلطة الخديو الذى كان فى خندق الحزب الوطنى .. ثم المصالحة والمهادنة مع الانجليز .. كذلك رفعوا شعار الاستقلال الذى لم يرفعه مصطفى كامل الذى كما قلنا سابقا كان من أنصار التبعية للدولة العثمانية التى كانت تحمل لواء الخلافة .. وبذلك نصل الى أن ما كان يدور على الساحة السياسية المصرية كان يتلخص فى أن الحزب الوطنى خلق رأيا عاما شعبيا فى رفض الاحتلال وعودة الحكم ـ الاحتلال ـ العثمانى .. أما حزب الأمة فيمكن ان نقول أنه كان ينادى بالاستقلال الذى يرفض الولاء للدولة العثمانية ، ويرفض الاحتلال الذى يمنع تحقيق الاستقلال .. ويمكن ان نعتبر ان مقومات انشاء الدولة الحديثة كان ينادى بها ويرعاها حزب الأمة ..

* ويمضى عزيز المصرى فى حديثه قائلا :

— لكن هناك سؤالا أطرحه : أين مصر ، وشعب مصر وما تحقق له من خلال صراعات الحزبين السابقين وبقية الأحزاب الاخرى التى نشأت ولم يكن لها دور مؤثر مثل حزب الاصلاح ؟ ..

أقول : اذا وضعنا معايير علمية .. سنجد ان المبادىء والشعارات والاهداف التى يرجوها ويتمناها كل حزب كانت فوقية .. بمعنى انها لم تكن لتتعدى العاصمة القاهرة والمدن القريبة منها والعاصمة الثانية الاسكندرية .. اما بقية الشعب المصرى فكان يرزح تحت نير الاستعمار .. ويعانى من تسلط وقسوة الاقطاع . كانت جميع المناصب لرجال الاحتلال .. وكانت قطاعات الشعب تنتج للاحتلال والاقطاعيين وتعمل فى وظائف متدنية تخاف على ضياعها .. فعملت على استمرارها بالابتعاد عن السياسة .

كانت تلك مرحلة .. وننتقل الى مرحلة اخرى .. وحمل لواء هذه المرحلة اللورد كتشنر الذى جاء مندوبا ساميا بعد وفاة جورست .. كانت سياسته التقرب الى أصحاب الملكيات المتوسطة وحمايتها ، والسعى الى جذب طبقة المثقفين الى سياسته .. وأنشأ ما يسمى بالجمعية التشريعية التى جاءت على انقاض الجمعية العمومية ومجلس

شورى القوانين .. وكان رأى الجمعية استشاريا الا فى شئون الضرائب وشئون التعليم والزراعة .. وفى ظل هذه الاحداث برز سعد زغلول الذى كان فى ذلك الوقت وكيلا للجمعية التشريعية ..

وبالرغم من ذلك كله كان الفلاح المصرى لا يجد من يدافع عنه : ويرفع مطالبه ، ويحقق احلامه ، وكان العامل المصرى يعيش فى ظل اقطاع من نوع آخر .. تسلط صاحب العمل وقسوته وخلو حياة العامل من أى حقوق تؤمن مستقبل حياته .. وكانت طبقة الموظفين تعيش على هامش الحياة فى ظل رواتب متدنية .. وكان رجال الدين فى موقف لا يزيد عن اصدار الفتاوى من حين لآخر دون دور وطنى واضح ومؤثر ..

اذن صورة الاحزاب وسط الشعب المصرى كانت باهتة .. مظلمة والشعب كان وسيلة لتحقيق أهداف وغايات الاحزاب التى لم يتحقق للشعب اى مطلب سوى شعارات الاستقلال والجلاء ..

الحقيقة أن الشعب المصرى لم يكن لديه الوعى السياسى الذى يجعله يتبنى مصالحه ويدافع عنها .. وعلى الطرف الآخر لم يكن المحامى ـ الحزب ـ الذى يحقق له هذه المطالب وتلك الاحلام .. وفى ظل هذه المتغيرات والمتناقضات قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .. وكانت تلك مرحلة جديدة من مراحل حركة الأحزاب فى مصر .. والثابت تماما أن مصر تأثرت بالحرب العالمية الأولى خاصة بعد اعلان الحماية التى كانت وسيلة الاحتلال فى البطش والتنكيل بالوطنيين فى القاهرة وتقييد الحريات ووقف اعمال الجمعية التشريعية .. ومصادرة الصحف .. وتحولت مصر كلها الى مزرعة لخدمة المجهود الحربى الانجليزى .. وعلى الجانب الآخر كانت الحكومة المصرية لا تملك الا التسليم التام بكل رغبات الانجليز وكان رئيس الحكومة رشدى باشا ..

* ويمضى عزيز المصرى يتحدث عن مسيرة الأحزاب فى مصر فيقول :

ـــ بعد إعلان الحرب العالمية الأولى ، وإعلان الحماية كان الموقف

فى مصر يسير فى اتجاهين :

* اتجاه شعبى يمثله الشعب المصرى .. وكان اتجاها خافت الضوء حاليا تماما من الوعى السياسى الناضج .. وكان يسيطر عليه الجوع والمرض والجهل .

* اتجاه طليعى يقوده المثقفون برفع شعارات رفض الحماية .. ومقالات فى الصحف والمجلات لا نوافق عليها .. ولكنهم فى حياتهم السياسية والاجتماعية فى حالة انفصام تام عن طبقات الشعب المصرى ..

* كذلك نجد شخصية مثل محمد فريد الذى تسلم قيادة الحزب الوطنى نجده يباشر جهاده من قلب الدولة العثمانية تارة لدرجة أنه كان من المنادين بدخول الجيش التركى مصر من خلال حملة لم يكتب لها النجاح .. وكان من المفروض ان يباشر ذلك النشاط من داخل مصر .. ووسط الفلاحين والعمال وطبقات الموظفين وطلاب المدارس ..

* لم نجد حزبا واحدا فى مصر فى تلك الاثناء ينادى بحماية الفلاح من تعسف الاحتلال والحكومة فى جباية الضرائب .. ولقد أدى انخفاض سعر القطن فى تلك الفترة الى لجوء الفلاحين وأصحاب الملكيات الصغيرة الى بيع ما يملكون من المواشى والقراريط لسد ما عليهم من اموال عامة ـ ضرائب ـ للدولة .

* شهدت هذه الفترة ضائقة مالية خطيرة للغاية .. وكانت المعادلة كالآتى : انخفاض فى الدخل وفى المقابل زيادة رهيبة فى الأسعار .. والشعب لا يجد ما يأكله وموائد الاقطاعيين ورجال الاحزاب عامرة بما لذ وطاب من الطعام والشراب ..

* أما الاحتلال والحماية فكانا ينزعان من مصر سيادتها على ارضها ويكبلان حريتها ، ويمنعان عنها الاستقلال ويستغلان كل خيراتها لصالحهما ..

وسط هذه التركة المثقلة بالمشاكل والقيم المفككة برز إلى سطح الحياة السياسية سعد زغلول باشا كزعيم وطنى أراد ان يقدم الكثير لوطنه .. ويحقق الامانى لجميع طبقات الشعب .. وعندما كانت تظهر

له بارقة أمل وطاقة من نور كان يطفئها له الاحتلال الانجليزى من جانب والاحزاب الموجودة على الجانب الآخر ، وضاع جزء كبير من مجهوده فى الدخول الى قلب ساحة الصراع التى دخلها مبكرا بفكر ثورى وهامة مرفوعة الرأس ، وآمال كثيرة ولكن الخصوم والاعداء من الانجليز ومن أبناء وطنه .. ساعدوا على أخفاقه فى تحقيق آمال شعب مصر .. وسوف يتضح ذلك فى المواقف التالية :

* بدأ نجم سعد زغلول فى البزوغ عندما ظهرت فوق السطح فكرة تكوين وفد مصرى رسمى الى مؤتمر الصلح للمطالبة بحقوق مصر فى الجلاء والاستقلال .

وللأسف اختلفت الكثيرون حول صاحب هذه الفكرة .. فريق قال : سعد زغلول ، وآخر قال : الامير عمر طوسون .. وقد اعترف سعد زغلول بأنها جاءت من وحى فكرة طرحها عمر طوسون ..

* الاتفاق التام على ان يكون سعد زغلول رئيسا للوفد ، ولكن الخلاف كان حول المكان الذى سوف يتوجهون اليه انجلترا أم فرنسا ..

* كانت السمة الاساسية لتشكيل الوفد انه يمثل جميع عناصر الأمة وأحزابها من اجل القضية المصرية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .. وقد تم ضم الحزب الوطنى وباقى الشخصيات السياسية والقيادية وبعض الممثلين للطائفة القبطية .

* انه لأول مرة فى مصر .. بل فى تاريخ مصر السياسى نجد اتفاقا تاما على القضية المصرية .. ونجد اتفاقا شاملا على زعامة سعد زغلول .. ونجد تفويضا عاما من الشعب على اختيار ممثليه بالرغم من اختيار اعضاء الوفد لم يكن بناء على اختيار عن طريق الانتخاب والاختيار الديمقراطى .

* قامت عراقيل وضعها الانجليز وممثلهم السير ونجيت المندوب السامى البريطانى فى منع سفر الوفد برئاسة سعد زغلول .. وبدأ الصدام المباشر مع الاحتلال .

* وصل الصدام الى ذروته عندما تم القبض على سعد زغلول

وصحبه وتم نفيهم الى جزيرة مالطة ..

* قامت ثورة ١٩١٩ .. وهب شعب مصر كله فى مظاهرات عارمة وحدثت مصادعات دامية مع جنود الاحتلال .. ثم أفرج عن سعد زغلول وصحبه وعادوا الى القاهرة ..

* سافر الوفد المصرى الى لندن وصاحب ذلك اعتراف الرئيس الامريكى ولسن بالحماية البريطانية على مصر .. ثم سافر الوفد الى باريس لتدبير حملة دعائية واسعة بين رؤساء الدول والوفود .. واعترفت معاهدة فرساى بالحماية البريطانية على مصر ..

* وبدأت أول مأساة فى تشكيل الوفد .. انفصل عنه عزيز منسى وحسن واصف وعاد على شعراوى الى القاهرة .. وخرج ايضا اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر .

* ضيقت بريطانيا دور سعد زغلول عندما شرعت فى ارسال لجنة ملنر وزير المستعمرات لبحث احوال مصر وايضا لتوسيع شقة الخلاف بين سعد زغلول وبعض القيادات التى انفصلت عن الوفد وبدأت تنادى بالتفاوض مع الانجليز ..

* جاءت ثلاث وزارات .. الأولى برئاسة محمد سعيد باشا ، والثانية برئاسة يوسف وهبى باشا ، والثالثة برئاسة نسيم باشا .. وكانت الرابعة برئاسة عدلى يكن باشا فى ١٦ مارس ١٩٢٠ ..

* موقف الملك فؤاد من الأمير عمر طوسون المزرى الساخط على سعد زغلول وصحبه لدورهم الايجابى ـ فى حدود امكانياتهم ـ لشرح قضية مصر فى فرنسا ثم فى لندن لمقابلة « ملنر » وقد تم ذلك فى ٥ يونيو عام ١٩٢٠ ..

* تم تأليف وفد رسمى برئاسة عدلى يكن باشا ومن الفئات التى رفضت الفكر الثورى لسعد زغلول .. أعقب ذلك مظاهرات صاخبة ترفض الوقوف ضد مبادىء الوفد .. وكان نفى الانجليز لسعد زغلول للمرة الثانية الى جزيرة سيلان ..

* صدور تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ وتأليف عبد الخالق ثروت باشا للوزارة ، ثم انقسام الأمة لسعديين ووفديين .. ويعتبر

عبد الخالق باشا وتعتبر سياساته حلقة جديدة من حلقات تسلط الرجعية التى أضاعت الكثير من الحقوق المصرية على مذبح المطامع الشخصية للانجليز والقصر وفلول الاحزاب خاصة الحزب الوطنى الذى رفض تأييد سعد زغلول .. وفى أعقاب ذلك كله تم انشاء حزب الاحرار الدستوريين برئاسة عدلى يكن ..

* قامت الجمعية السرية لاولاد عنايت بمحاولة قتل عدلى يكن ولكنها فشلت فى مهمتها ، وقد هزت هذه المحاولة أركان حزب الاحرار الدستوريين .. فتقدم عدلى يكن بالاستقالة وقام محمد توفيق نسيم باشا بتأليف الوزارة .. ثم قام يحيى ابراهيم بتأليف وزارة جديدة ..

* بعد عودة سعد زغلول من المنفى وفى ظل انتخابات نزيهة نال حزب الوفد أغلبية ساحقة فى الحصول على مقاعد مجلس النواب وصلت لأكثر من ٩٠٪ وقد شرحنا سابقا كيف ان سعد زغلول قام بتأليف الوزارة ، وكيف سار على نهج وطنى فى مطالبه وفترة حكمه .. وكيف توجس الاستعمار والقصر معا خطورة استمراره فى هذا الاتجاه ، فكانت الاستقالة .. ثم بعد ذلك أصبح رئيسا لمجلس النواب ..

وانتهت زعامة سعد زغلول بموته عام ١٩٢٧ .. ترك الحياة ليلحق بالرفيق الاعلى بعد ان تربص له الانجليز وحالوا بينه وبين تحقيق أمانى الشعب المصرى وبعد أن حاربه القصر بكل اسلحته وعاونته فى ذلك جميع الاحزاب دون استثناء خلال هذه الفترة .. كانت مرحلة صراعات من اجل تحقيق المصالح المشتركة لطبقة الاقطاعيين والرأسماليين .. ومرة أخرى أقول : ان حقوق شعب مصر بجميع فئاته كانت تداس تحت الأقدام ..

يواصل عزيز المصرى مشوار رحلته مع الاحزاب فى مصر .. وهو يختار مجموعة من الاحزاب التى كان لها السيطرة على مجريات الامور السياسية فى مصر بعد وفاة سعد زغلول .. بل انه يعتبر حياة سعد زغلول مرحلة بذاتها انتهت الى مرحلة ثانية ظلت مستمرة من عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٥٢ .. هذه المرحلة استمرت قرابة ٢٤ عاما .. تميزت بصراعات متباينة ومختلفة من اجل الجلوس على

كرسى رئاسة الوزارة .. ولم يكن بأى حال من الأحوال من اجل التفاوض على جلاء جيوش الاحتلال .. والعمل الأيجابى من اجل خلق دولة عصرية تحقق أمانى شعب مصر فى حياة آمنة مستقرة بنيل حقوقه وتأمين حياة قطاعاته .. قطاعات الموظفين والعمال والفلاحين هذه الفئة سأظل أقول : انها كانت تداس بالأقدام وتعامل فى المصنع والحقل والمكاتب الحكومية أسوأ معاملة بدون قوانين ترعاهم ..

* يقول عزيز المصرى :

— سنمضى بداية مع حزب الوفد منذ وفاة سعد زغلول حتى عام ١٩٥٢ .. لنرى ماذا حقق وماذا تحقق على يديه حتى قيام الثورة ؟ ..

* ويستطرد فيقول :

— هناك نقطة لابد ان نقف عندها كثيرا باعتبارها الدائرة التى كان يدور بداخلها نشاط جميع الاحزاب فى مصر دون استثناء .. وهى فى بساطة شديدة الدور التفاوضى الذى كان يقوم به كل حزب مع الانجليز من اجل الجلاء والاستقلال باعتبار ان ذلك هو محور القضية المصرية فى ظل الاحتلال .. وسنرى ان ذلك الدور قد أتيح لمجموعة من الاحزاب دون الأخرى .. أتيح ذلك لاحزاب الوفد والاحرار الدستوريين والسعديين وما كان يسمى ويمكن ان نطلق عليه الائتلاف الوزارى الذى يضم بعض الاحزاب بخلاف المستقلين .. وعلى الجانب الآخر نجد احزابا لم يكن لها اى نشاط تفاوضى من خلال دخولها فى المشاركة فى جلوس المسئول عنها ـ رئيسها ـ على كرسى الوزارة وأن شارك فى القليل النادر منها فى منصب الوزير فى تشكيل وزارى شامل وسنجد ذلك واضحا فى أحزاب الأمة والوطنى ومصر الفتاة والحزب الشيوعى .. وأخيرا جماعة الاخوان المسلمين التى كان لها نشاط دينى فى بداية حركتها ثم انقلب بعد ذلك هذا النشاط الى حركة سياسية فى مظهرها العام ودينية من حيث الجوهر ..

* ويمضى عزيز المصرى فى سرد تلك الأحداث قائلا :

— المعروف ان حزب الوفد نشأ فى أحضان ثورة ١٩١٩ .. وكان

حزبا جماهيريا يحظى بتأييد غالبية الشعب المصرى ، وكانت الثورة طابعا وسمة اساسية فى صراعه وجهاده الوطنى .. حتى جاءت معاهدة ١٩٣٦ وكانت النغمة السائدة فى ذلك الوقت : انها معاهدة الشرف والكرامة .. وكان النقد الذى وجهه لها انها اعترفت بوجود الاحتلال على طول خط القناة بالاضافة إلى مواقع أخرى ، ومن هذه النقطة شاع الدور الاستسلامى للوفد ومهادنة الانجليز باعتبار ان نوعية الاستقلال التى منحت لمصر كانت ناقصة ، ولكن الوفد فى تلك الفترة اعتبر هذه المعاهدة مجرد بداية بعد ان فشل فى المفاوضات من الاحزاب الاخرى دون الوصول الى عمل تفاوضى حاسم يحسم قضية الاستقلال الكامل .. وان قيام الوفد باجراء هذه المعاهدة انما يرجع الى قصر المسافة الزمنية التى يجلس فيها الوفد على كرسى رئاسة الوزارة .. وأن هذه المعاهدة هى غاية معقولة ومقبولة فى ظل حرب لا هوادة فيها ضد الوفد من جانب الملك وأحزاب الاقلية الأخرى التى كانت تسير فى دائرة القصر وصراعه الدائم ضد الوفد لأنه ـ الوفد ـ كان يسعى بكل جهده الى تقليص دور الملك وتحجيم نفوذه ..

* يقول عزيز المصرى :

— ولكن هذه الحجة أو مجموعة الحجج تساقطت واحدة بعد الأخرى بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ عندما فرض الانجليز حزب الوفد على الملك ، وان كان لم يفرضه على غالبية الشعب الذى كان يسير ويؤيد الوفد .. وكما كنت أقول وأردد بعد ذلك الحادث : ياترى لو رفض الوفد طلب الانجليز فى تشكيل الحكومة .. ألم يكن ممكنا ان تتغير مجريات الأمور لصالحه أكثر ؟ وربما جاء بوعى شعبى جماهيرى يفرض نفسه على القصر والانجليز وأحزاب الاقلية .. باعتبار ان الانجليز ما كانوا ليرضوا بثورة شعبية فى ظل حرب عالمية يريدون لها الاستقرار لصالح عملياتهم فى جبهة الشرق الأوسط وخاصة الجبهة المصرية التى تتمثل فى الجيش الالمانى الرابض على حدودنا الغربية .. هذه مجرد تساؤلات ؟ .. وهى ايضا مجرد علامات استفهام ! !

* يقول عزيز المصرى :

— اننى لست من أتباع الملك لأهاجم الوفد .. ولست من حزب الانجليز لضربه تحت الحزام .. وايضا لست سعديا أو انتمى لاى حزب آخر حتى أشن عليه الهجوم .. وحقا كان حزب الوفد توجه اليه السهام من كل جانب وكان فى فترات عدم حكمه الطويلة ـ خارج الحكم ـ يواجه بمصادرة صحفه ، ويشرد اتباعه ، وكان الشائع ان مكرم عبيد فى كتابه الأسود الذى فضح فيه سياسات الوفد واستغلاله لنفوذه .. كان يقول ذلك كله ويتم بمباركة من الملك فاروق ..

* ولكن السؤال :

— من الذى قام بنشر ذلك الكتاب .. انه مكرم عبيد سكرتير عام الوفد الذى يعرف الكثير من هذه الفضائح وحالات استغلال النفوذ ..

وكان من الشائع ايضا ـ وتلك حقيقة ـ ان الوفد أدخل عناصر جديدة فى صفوفه ، وبعضها استطاع الوصول الى مراتب القيادة فى فترة وجيزة .. وقد تكون المحاسبة هنا فى غير محلها لأن من حق الشباب المجتهد الواعى ان يتحقق له هذا الامل والرجاء فى مستقبل افضل .. ولكن اذا نظرنا الى شخصية مثل فؤاد سراج باشا سنجده دخل حزب الوفد عام ١٩٣٦ .. وفى عام ١٩٤٢ كان وزيرا .. ثم فى عام ١٩٤٨ كان سكرتيرا عاما للوفد بدل عبد السلام جمعة باشا .. ومما يذكر عن فؤاد سراج الدين ـ وهو معروف ايضا ـ انه من عائلة اقطاعية وترتبط عائلته برابطة النسب بعائلة البدراوى عاشور باشا من أكبر الاقطاعيين فى محافظتى الدقهلية والغربية .. وأضيف الى ذلك كله انه — فؤاد سراج الدين ـ كان من الاتجاه اليمينى فى حزب الوفدوكانت سياسته امساك العصا من وسطها .. كان يرى انه يمكن القيام بسياسات ترضى القصر والشعب فى آن واحد .. بدون اغضاب اى طرف .. وكذلك شخصية مثل امين عثمان دخل الوفد وأصبح وزيرا للمالية فى الوزارة الوفدية عام ١٩٤٢ على الرغم من علاقته الوطيدة بالانجليز حتى قيل انه كان انجليزيا اكثر من الانجليز أنفسهم .. وقد اغتيل عام ١٩٤٦ .. وهنا كثيرون مثل عبد اللطيف محمود وعبد الجواد حسن ..

ان بعض الوجوه الجديدة التى دخلت حزب الوفد كانت ذات جذور اقطاعية ، ورأسمالية فى قطاعات التجارة والصناعة .. ومثل هذه الوجوه كانت وهى تشارك بالقرار فى سياسات حزب الوفد تبحث عن مصالحها ، وتثبت اقدام القطاعات التى تنتمى اليها .. ومن هنا كانت السياسات التى تسير فى هذا الاتجاه على حساب قطاعات أخرى كالفلاحين والعمال وان كان الوفد قد سمح بانشاء العديد من النقابات العمالية ولكن ايضا فى ظل مناخ يحفظ حقوق اصحاب المصانع والشركات وعلى الطرف الأخر اقول ان حزب الوفد لم يعدم بعض قيادات شابة ذات نظرة مشتركة تجمع بين حس الاستقلال الوطنى وضرورة الاصلاح الاجتماعى لشعب مصر بجميع فئاته وكان ذلك يبرز الدور التقدمى لهذه الطليعة الوفدية الشابة التى وصلت توجهاتها الى تحديد الملكية واتباع نظام الضرائب التصاعدية .. ويبرز فى هذا المجال كثيرون من الشباب اذكر منهم المرحوم عزيز فهمى والدكتور محمد صلاح الدين الذى كان وزيرا للخارجية ومحمد مندور ..

* يقول عزيز المصرى فى حديثه :

— واذا كان الوفد يقف دائما موقف الضد من الملك فى محاولات للحد من سلطاته وحتى فى اختيار رئيس ديوانه فى الوزارات السابقة .. نجده يتهاون مع القصر ـ الملك ـ بعد وزارة ١٩٥٠ .. وكأنما بعد م عن كرسى رئاسة الوزارة ورغبته فى الاستمرار يشجعانه على سياسة المهادنة مع القصر .. ونجد ذلك فى اختيار حيدر باشا فى منصب القائد العام للجيش المصرى بصلاحيات كاملة ، ونجد مصطفى خيرت وزيرا للحربية بصلاحيات مشلولة .. وكذلك فى السماح للملك ـ بسلطات واسعة ـ تعيين اعضاء مجلس الشيوخ ، وكان خير مثال على ذلك تعيين « ادجار جلاد » صاحب صحيفة الزمان عضوا بالمجلس وذلك بخلاف تعيينات السفراء والمناصب الكبرى التى كانت يد الملك هى الاطول فى هذا الاختيار ..

ولقد أتاحت لى الظروف فى احدى المرات مشاهدة الكثير من ضباط الجيش وبعض الرتب المتوسطة يتزلفون الى الموظفين فى القصر

على امل اما الاستمرار فى هذه المناصب أو الترقى الى رتب اعلى .. ويمكن اختصار ذلك كله فى ان المحيطين بالملك فاروق مثل كريم ثابت والياس اندراوس وانطون بوللى ومحمد حسن هؤلاء جميعا كان سلطانهم يعلو على سلطان حكومة الوفد .. وذلك بخلاف زيادة المخصصات الملكية ..

ومن الطرائف التى كانت متداولة فى ذلك الوقت فقر الملك الوهمى الذى جعله يطالب الوزارة الوفدية عام ١٩٥١ بسلفة مائة الف جنيه من راتبه عن عام مالى لم يأت بعد ، وقد تحقق له ذلك علما بأن الملك كان يملك آلاف الافدنة والتفاتيش الزراعية الملكية كثيرة ، واستيلاء القصر على الاراضى واضح ورشوة الملك للحصول على الباشوية والبكوية قائم .. ولقد قيل وتلك حقيقة أن الفساد فى ظل حكومة الوفد ساد بأكثر مما كان فى السنوات السابقة ..

* ويمضى عزيز المصرى فيقول :

— وأكثر من ذلك كان من المفترض ان تقف حكومة الوفد موقفا امينا وشجاعا من قضية الاسلحة الفاسدة التى ضيعت جيش مصر فى ظل حكومة السعديين .. وكان من المفترض ان يعاد التحقيق فى كثير من القضايا التى أثبتت فساد الملك والحكومة السعدية ورؤوس الفساد الذين استوردوا تلك الاسلحة .. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث بل أن فؤاد سراج الدين الذى وقف مدافعا عن أعوان الملك بعد ان قدم مصطفى مرعى عضو مجلس الشيوخ سؤالا الى مجلس الشيوخ حول اسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة الذى على ما أذكر اسمه - محمود محمد محمود - الذى اكتشف الريب فى صفقات السلاح ومخالفات أخرى .. وقد وجه مصطفى مرعى التهمة الى الملك وحاشيته .. وللأسف لم يواظب مصطفى مرعى على حضور باقى الجلسات .. أليست تلك التصرفات من الوفد غريبة وشائنة فى وقت واحد .. والسؤال الآن : لماذا سكت الوفد على ذلك كله ؟ .. والجواب : سياسة المهادنة وامساك العصا من الوسط حتى يستمر حكم الوفد ..

وبدأ التحقيق فى قضية الاسلحة الفاسدة بعد الحملة الصحفية

الناجحة التى قام بها الشاب الصحفى احسان عبد القدوس والتى كشف فيها عن صفقات الاسلحة الفاسدة وقد وجه الاتهام للملك واعوانه .. والى محمد حيدر الذى كان وزيرا للحربية وقتها ـ وقت ابرام الصفقات ـ وقدم استقالته من منصبه بعد حملات احسان عبد القدوس .. وبخلاف ذلك كله كانت هناك مشاكل ذات حجم كبير وكانت خاصة بالنواحى الاقتصادية والزراعية والاحتكارات الصناعية ..

* يقول عزيز المصرى :

— هذه مساحة من السياسات لحزب الوفد .. وأطرح السؤال التالى : أين الاستقلال ؟ وأطرح سؤالا آخر : أين القضية المصرية فى جلاء الانجليز عن باقى الاماكن التى يتواجدون فيها على طول خط القنال ؟ واطرح سؤالا ثالثا : أين سياسات الاصلاح الشاملة لحزب الوفد خلال حكمه حتى نشوب حريق القاهرة واقالته أليس ذلك كله نكسة ؟

أليس ما حدث مأساة ؟

بالنسبة للاستقلال كانت سياسة الوفد تتعاون مع الانجليز حتى الغاء معاهدة ١٩٣٦ وما تلاها من انتشار كتائب التحرير ، وسوف أذكر المزيد من التفاصيل فيما بعد وبالنسبة للقصر كل ما حدث فى السابق خير شاهد على المهادنة .. ولقد ساوم الوفد القصر والانجليز وكان شعب مصر هو الضحية ، وأقول ان ذلك كان كله بسبب الاتجاه اليمينى الذى انتهجه الوفد .. ولو كان الاتجاه ناحية قطاع اليسار داخل الحزب لتم تطهير الحزب ذاتيا .. ولتم تحقيق الكثير مما أضاع الكثير على شعب مصر الضائع .. الذى كنت اقول دائما انه كان يتيم الام والاب .. واقول لشباب مصر جميعا الآن ان صحف مصر فيها الكثير من فضائح حزب الوفد .. ياشباب مصر .. ياأولادى الاعزاء راجعوا تاريخ مصر السياسى منذ الماضى البعيد ارجعوا اليه قبل الاحتلال الانجليزى وبعده .. ستجدون الهوان فى ساسة مصر جميعا باستثناء سعد زغلول الذى مات بسبب حسرة فى قلبه على المصرى

الذى يطعن أخاه المصرى من الظهر من اجل حفنة من مال ، أو كرسى الوزارة أو أرضاء القصر أو الانجليز .. ياأولادى اقرأوا تاريخ بلدكم حتى تعرفوا الخطأ من الصواب ، حتى تكونوا فى المستقبل رجال مصر الاقوياء بالايمان والحب واخلاق الرجال الشجعان فى ظل معرفة الله .. لأن الخطأ فى ظل وظلال الدين الاسلامى ، والدين المسيحى قليل ..

* يواصل عزيز المصرى فى هذه الحلقة استعراضه لخريطة الاحزاب فى مصر .. ويتابع الحديث عن دور « الحزب الوطنى » قائلا :

— ولا يمكن لمصرى ان ينكر وطنية مصطفى كامل أو محمد فريد .. فى حدود عصر الأول ، وفى حدود امكانيات الثانى وتوجهاته سارت سفينة الحزب قوية .. بل وعاتيه ايام مصطفى كامل .. ولكن فاعلية الحزب لم تصل الى مدن مصر .. كانت الدعوة فى حدود القاهرة والاسكندرية ـ غالبيتهما ـ وكانت لا تتعدى المناسبات ثم قويت بظهور جريدة اللواء .. ولكن منهج الحزب كان استقلال مصر فى ظل الخلافة العثمانية .. والأخيرة كانت مريضة لا تصلح اساسا لنهضة مصرية عصرية .. وكما شرحنا سابقا عارض الحزب الوطنى فى تكوين الوفد المصرى ايام سعد زغلول ، وعارض الكثير من تصرفاته .. وقبلها بسنوات كان محمد فريد على رأس من يريدون دخول الجيش العثمانى مصر فى حملتين فاشلتين .. وبمرور السنوات لم تكن له فاعلية أو دور واضح له بصمات فى السياسة المصرية .. كما لم يكن له برنامج يمكن تطبيقه على الساحة المصرية فى جانبها الاجتماعى .. ويمكن القول انه كان واجهة أو مجرد مقر ـ مبنى ـ وفى بعض الاحيان كان يشارك فى وزارات ائتلافية كتلك التى تمت فى عهد الدكتور احمد ماهر رئيس حزب السعديين .. وآخر مرة دخل فيها الانتخابات فاز بسبعة مقاعد .. وبخلاف ذلك كانت صورته باهتة لأن الشخصيات التى تقوده كانت تميل الى الاعتدال ولم يكن داخل الساحة السياسية سوى احزاب الوفد والاحرار الدستوريين والسعديين ..

* أما حزب الأحرار الدستوريين .. فكما ذكرنا سابقا كان يعبر عن طبقة الاقطاعيين وكانت السيادة لهذا الحزب فى تشكيل الحكومات حتى

قبل الحرب العالمية الثانية .. وبالرغم من نظرة الحزب العصرية فى بناء مصر عن طريق شبابه المثقفين وعن طريق نظرة الحزب الى البناء الاجتماعى المصرى ، الا اننا نجده فى معظم الاحيان كان يستمد سلطاته وسلطانه من القصر . وسنجده قد دخل فى تحالف استراتيجى مع الحزب السعدى .. ولكن يمكن القول أن حزب الاحرار فقد فاعليته فى حدود ما كان متاحا له بعد وفاة رئيسه محمد محمود باشا عام ١٩٤١ ..

ولكن لا ينسى ابدا لحزب الاحرار الدستوريين تعطيل الحياة البرلمانية لمدة ثلاث سنوات ، وبالرغم من صداقتى لمحمد محمود باشا رئيس الحزب ، وأنه أول من قام بتعييني مديرا لمدرسة البوليس ، ثم مفتشا عاما للجيش ، الا اننى لم أجد منه ـ الحزب ورئيسه ـ ما يفيد القضية الوطنية على ساحة التفاوض مع الانجليز .. أو الوصول الى صيغة ملائمة حول الاستقلال أو الجلاء .. ولقد كان الانتماء الطبقى لاعضاء الحزب يحدد هويته واتجاهاته .. كذلك الجسر الذى كان يربطه بالقصر جعله فى الدرجة الأولى يحافظ على مصالح فئاته والاعضاء الاقطاعيين .. ولقد استعان الملك فى كثير من الاحوال بهذا الحزب فى ضرب حزب الوفد ومصادرة صحفه ومجلاته ..

* ونطرح السؤال التالى : ماذا فعل الحزب لمصر على الساحتين السياسية والاجتماعية ؟ ..

* يقول عزيز المصرى :

— ان كل المفاوضات التى قام بها محمد محمود وعدلى يكن كانت تؤدى دائما الى طريق مسدود مع الانجليز خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين للأولى والثانية .. ولكن يحمد لمحمد محمود انه وضع بذرة زيادة عدد الجيش وتحديثه ، وارسال الكثير من البعثات الى الخارج .. وبخلاف ذلك كما قلت سابقا كان هناك جسر من التفاهم بين الحزب والملك ، وقدسارالاثنان معا شوطا كبيرا فى هذا المجال ..

والمحصلة النهائية ان القضية المصرية لم تصل فى ظله الى حل .. ومشاكل شعب مصر كانت تتكاثر وتتعقد وتسير من سيىء الى اسوأ ،

وقد قام فتحى رضوان فى عام ١٩٤٢ بانشاء الحزب الوطنى الجديد بعد خروجه من مصر الفتاة .. ولكن لم تكن له اى ايجابية ايضا وكان مثاليا دون فاعلية .

* وعندما نتحدث عن حزب السعديين .. نقول انه انشىء بعد طرد الدكتور احمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى من حزب الوفد بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ .. وقد توحد الحزب السعدى مع الاحرار ، بل ان الحزب السعدى كان حريصا لانه مازال وليدا .. ومنذ اليوم الأول كان أحمد ماهر رئيس الحزب خصما شديدا للوفد .. وكان يوجه سياساته وذكاءه وفطنته فى ابتكار الوسائل التى تضعف من حزب الوفد .. وقد تمكن من ذلك فى اول تجربة له بنجاح فى اقالة حكومة النحاس باشا عام ١٩٣٧ ..

وكانت الوسائل التى استخدمت هى مدح تصرفات الملك ، والاتجاه الى ابراز محاسنه خاصة انه لم تكن قد اتضحت بعد معالم وخيوط وخطوط فساده بل ان الشعب المصرى كان يأمل كل الخير فى وجوده فى السنوات الأولى من حكمه خاصة عندما كان يرخى ذقنه ويغشى المساجد .. وكانت الصحافة حريصة فى ذلك الوقت على ابرازه فى صورة الملك الصالح وهو يمسك المسبحة فى يده اليمنى ..

ولقد ضرب التحالف السعدى والأحرار على وتر الخيانة لقبول النحاس رئاسة الوزارة بعد حادث ٤ فبراير ولولا مساندة الانجليز لبقاء الحكم الوفدى لما استمر عدة اشهر .. وقد تم اغتيال احمد ماهر بعد ان القى بيانا فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ اعلنت فيه مصر الحرب على المانيا واليابان وكان شيئا غريبا ان يتم ذلك قبل انتهاء الحرب بوقت قصير ، ولكن الحجة كانت ان اعلان الحرب كان ضرورة للاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو الذى سوف تتولد عنه منظمة الأمم المتحدة .. وقام محمود فهمى النقراشى بتشكيل الحكومة .. وفى عهده ظهر تخاذله الواضح لحل المشكلة المصرية او حتى عرضها بأمانة على مجلس الامن .. وتم اغتيال النقراشى وجاء بعده ابراهيم عبد الهادى .. ولقد كان العهد السعدى خلال حكمهم بطشا فى حزب الوفد ، منفذا

لسياسات الانجليز ومتعاونا معهم الى اقصى حد .. وفى عهد ابراهيم عبد الهادى فتحت السجون والمعتقلات خاصة فى ضرب جماعة الاخوان المسلمين ، وكانت مذبحة تم خلالها اغتيال المرحوم حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين .. وباقالة وزارة ابراهيم عبد الهادى يمكن القول ان العهد السعدى قد اطفئت أنواره الى الأبد ..

* ويبقى السؤال التقليدى ماذا بعد ؟ أقول لا شىء لقد كان هذا الحزب يرعاه الملك والانجليز .. وكانت صفحاته كلها سوداء .. وكان رصيده صفرا ..

* ويبقى على ساحة الاحزاب حزب مصر الفتاة ..

لقد كنت بداية من المعجبين بهذا الحزب ، ولقد عرفت رئيسه أحمد حسين عندما كان يرفع شعار مشروع القرش لانشاء أول مصنع للطرابيش كصناعة وطنية ، واذكر ان المبلغ الذى جمع وقتها كان قليلا ، ولكنه كان يحمل معنى وطنيا فى تبنى المشروعات الصناعية الوطنية .. قابلت احمد حسين كثيرا .. كانت المرة الأولى فى مدرسة البوليس .. وكان يحضر لزيارتى فى منزلى .. وقد أعجبنى حماسه وشعار شباب حزبه فى ارتداء القمصان ذات اللون المميز .. وكنت أنا شخصيا من المعجبين بذلك لأنه كان يجد هوى فى نفسى .. كان الحزب ينادى بجلاء الانجليز .. وكان النداء حماسيا الى ابعد الحدود .. وكان يركز على شباب المدارس الصناعية وطلاب المدارس الثانوية والجامعة .. كان شعار الحزب الذى توطدت اركانه وأعلن برنامجه عام ١٩٤٨ ـ الله ـ الوطن ـ الملك » ..

كان الحزب يسير فى ركاب الملكية فترة من الزمن وهو ما كان مستغربا من قطاعات كبيرة من الشعب .. كان ذلك فى الوقت الذى كانت فيه مساوىء الملك واضحة وخياناته ثابتة ومفاسده تغطى كل مكان يذهب اليه ثم ما لبث ان تغير هذا الشعار الى « الله ـ الشعب » .. ومن خلال هذا المضمون الجديد طالب بتحديد الملكية الى ٥٠ فدانا ، وبالانتاج الجماعى .. وطالب بملكية قطاعات الخدمات

للدولة وعن طريق هذه المبادىء وصل ابراهيم شكرى الى مقاعد مجلس النواب وكان مما قدمه النائب ابراهيم شكرى واحدث دويا هائلا فى مصر ، مطالبته داخل المجلس بتحديد الملكية والغاء الرتب والالقاب وانشاء اتحادات تعاونية للعمال والفلاحين .. والحرية فى انشاء النقابات العمالية وحقهم فى الاضراب .. وكان يدخل ضمن برنامج الحزب توحيد الشعوب العربية وانشاء جيش واحد .. وطالب الحزب بتأميم قناة السويس واطلاق الحريات العامة وعدم وضع قيود على الصحافة .. كل ذلك من خلال اشتراكية اساسها الدين الاسلامى وطالب بالجلاء والاستقلال .. ولكن المضمون العام لسياسة الحزب كانت تعتمد على الاثارة السياسية دون مضمون سياسى واجتماعى واقتصادى يصب فى وعاء عقيدة الحزب .. وكان من الواضح ان اتجاهات الحزب تنزع نحو الاشتراكية حتى اطلق عليه الحزب الاشتراكى لما كان ينادى به من تحديد الملكية ..

وجاء حريق القاهرة ووجه الملك اتهاماته بأن الحزب ورئيسه احمد حسين وراء الحريق .. وتم اعتقال رئيسه والكثير من الأعضاء .. وبالرغم من النهج الجديد الذى سار عليه الحزب والشعارات التى أطلقها لم يكن دائم الانتشار الا فى مصر والاسكندرية وبعض المدن بدون قواعد فى الريف .. وكان كل نشاطه الاجتماعات والمناسبات والمظاهرات والصحيفة التى يبث فيها مبادئه وينشرها .. وان كانت ايضا غير واسعة الانتشار ..

وكان ذلك هو حال حزب مصر الفتاة او الحزب الاشتراكى الذى كانت له شعاراته الثورية .. وكما كان الحماس هوالبداية .. كان الحماس لنسيانه هو النهاية حتى جاءت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

ويبقى على طريق الاحزاب .. أولا : جماعة الاخوان المسلمين .. ثم ثانيا : الحزب الشيوعى المصرى ..

ويهمنى بالدرجة الأولى الحديث عن جماعة الاخوان المسلمين .. وقد يكون فى ذلك الحديث اطالة أو استطراد أكثر من أى حزب آخر وعندى سببان جوهريان وراء ذلك :

* الأول : العلاقة الشخصية التى كانت تربطنى بالمرحوم مرشد الاخوان حسن البنا ، ولم أندم فى يوم ما على هذه الصداقة ..

* الثانى : اننى رجل مسلم وكان يهمنى جدا الوصول إلى صيغة حياتية مثلى وعصرية من خلال منهج دينى .. ايضا عصرى ومستنير لوضع بذور دولة اسلامية تطبق الشريعة الاسلامية التى لم تطبق على الوجه الصحيح بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين .. ولكن للأسف الشديد لم يتم الوصول إلى هذه الصيغة ..

وأقول بكل الصدق ..

أقول : إننى لم أجد فى يوم من الأيام منذ عرفت حسن البنا وحتى اغتياله ثم بعد اغتياله ومجىء الهضيبى .. لم أجد أحلامى وآمالى فى جماعة الاخوان المسلمين ربما كانت البدايات مشجعة .. أو أعطت الضوء الأخضر .. ولكن متابعة المسيرة حولت الجماعة الى مجموعتين : واحدة ارهابية والثانية معتدلة كانت تقاوم تسلط الاولى حتى اضاعت الغاية من خلال وسائل مشوشة وضعت بذرة التعصب الذى وصل الى حد التطرف فى كثير من الاحيان ..

ان قصة نشأة جماعة الأخوان المسلمين فى مصر معروفة .. بدأت حوالى عام ١٩٢٧ فى مدينة الاسماعيلية كجمعية دينية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وضرورة التمسك بأهداب الدين وتنفيذ أحكام الشريعة الاسلامية .. وواكب نشاطها بناء المساجد فى الاسماعيلية وما حولها .. وكان يجلس فيها المرحوم حسن البنا يشرح الغامض من سور القرآن ويضع منهاجا جديدا للتعليم الدينى بخلاف ما كان متبعا فى المدارس الحكومية .. وان كنت أرجح انه كان يبغى من وراء ذلك تنشئة الشباب الصغير على تعاليم الاسلام .. وسار على هذا المنهج عدة سنوات حتى انتقل الى القاهرة ليعمل مدرسا بمدرسة عباس بالسبتية .. كانت حركته متسعة جمع حوله العديد من المريدين كمرحلة اولى ، ثم بدأ يستميل اليه طلاب الجامعة وبخاصة القادمون من الريف ، وأذكر أن حسن البنا قال لى :

— هؤلاء نبت أخضر فى حسن السلوك والايمان بالمبادىء واخلاق

القرية المصرية ، وبخلاف كونهم على استعداد تام للاتجاه اكثر نحو الدين مادام يقدم لهم فى اطار جاذب من خلال الموضوعات التى كانت تطرح عليهم ، والتى كنت اختارها بدقة لتخاطب فيهم العقل والقلب ، وكان مدخلى الى ذلك الفساد الذى يكتسح مصر من اقصاها الى اقصاها .. وكنت أركز على ان حزب الله سبحانه وتعالى هو اقوى الأحزاب ، واكثرها فائدة ونفعا ، لأنه حزب القرآن الذى أنزل على رسولنا الكريم سيد الخلق محمد عليه افضل الصلاة والسلام ..

* يقول عزيز المصرى :

— ولقد كانت رسالته رفض الأحزاب .. تماما كما كنت أرفضها .

ومن هنا تلاقينا .. ومن هنا ايضا التقينا .. لأنه كان ينادى بأن اصلاح الاحوال لن يتم الا اذا صلح الفرد أولا .. لأن الفاسد لا يعطى غير الفساد ، والصالح لا يعطى الا ما يرضى ربه وضميره ، كان يقول لى :

— الانجليز قوم خبثاء ، البقاء فى مصر مستمر من جانبهم مادمنا ضعفاء وفى فرقة ولكن اذا احسوا اننا يد واحدة ، وقلب واحد .. وان الاستشهاد غاية .. تأكد انهم سوف يتركون ويرحلون عن مصر ..

وفى خلال خمس سنوات وربما اكثر استقرت الجماعة وقويت ، وبدا واضحا تماما الاتجاه السياسى الذى بدأت تسير عليه ، وكانت معاهدة ١٩٣٦ هى القاعدة التى انطلقت منها لتهاجم الوفد ، باعتبارها معاهدة من جانب واحد فى صالح الوجود الانجليزى على أرض مصر .. ومن الغريب ان هذا الهجوم جاء مواكبا ويسير فى خط متواز مع هجوم الملك والاحزاب على المعاهدة .. كان يقول لى :

— لقد استطاع الانجليز الوصول الى غاياتهم عن طريق الوفد .. ولو كان سعد زغلول على قيد الحياة لرفض هذه المعاهدة جملة وتفصيلا .. ولا يمكن لمصرى ان يقبل استمرار الاحتلال من خلال قواعد عسكرية على امتداد مدن القناة الثلاث السويس والاسماعيلية وبورسعيد .. إن ما حدث استسلام قيادى وحزبى من جانب حزب الوفد ، يريد النحاس فرضه على شعب مصر بحجة انه حزب الاغلبية .

وأقول لك صراحة . اننا فى حاجة الى اخوان يعملون من اجل نصرة الاسلام .. وعلينا جميعا ان نجاهد بكل ما نملك فى سبيل تحقيق هذه الغاية ..

كان حسن البنا يقول لى :

— ان دعوتنا اسلامية .

وكنت أقول له :

— كيف ؟

وكان يقول لى :

— ان غايتنا ان نجاهد لتحقيقها .

وكنت أقول له :

— كيف ؟

وكان يقول لى :

— هل ترضى بهذه القوانين الوضعية التى نقلناها عن القانون الفرنسى وغيره من القوانين ؟

وكنت أقول له : وما هو البديل عندك ؟

وكان يقولى لى : الفساد فى كل مكان .. والاحزاب ضد شريعة الله ..

وكنت أقول له : وهل البديل عندك يصلح منهاجا مقننا قابلا للتطبيق ؟ لا يوجد عندك سوى الحدود فقط كحد السرقة والقتل والزنا مع تحريم الربا والخمر وغيرهما .

وأذكر اننى جلست معه أكثر من مرة وكان الحديث بيننا يتطرق الى الخلافة الاسلامية التى كانت تحتل ركنا كبيرا داخل عقله وسياسته .. كان يحدثنى فى أمر الخلافة حديثا كله يدخل فى دائرة المنطق والاقتناع .. ولكن من ناحية التطبيق لم أجد عنده ما يثير انتباهى .. لاننى كنت ارى ان مسألة الخلافة تلك لابد ان تتوارى كمرحلة ثانية بعد ان نرى القدوة الحسنة الشاملة فى اعمال الأخوان المسلمين ، لأن

الشعارات أو المؤتمرات وحدها لا يمكن ان تصلح اساسا لبناء قواعد هذه الخلافة كنت أقول له :

— كيف نبنى وننادى بالخلافة الاسلامية وهى أساسا لا تجد الارض الصالحة للتطبيق فى مصر ؟ وكيف ننشد هذه الأمنية وذلك الرجاء ولا يوجد اى تطبيق عملى لاصول هذه الخلافة وتطبيقاتها العملية على الساحة المصرية .. ان قانون الجماعة لا يصلح اساسا لذلك ، ولكن لابد من وضع منهج شامل يطبق بالتدريج . ان الانجليز لن يسمحوا لك بذلك .. وكذلك الملك وايضا الاحزاب .. اذن فهو صراع سوف يستمر واستمرار الصراع سوف يجعلك تحيد ولا تصل الى غاياتك ..

* وكنت أقول له :

— هل لديك ما هو صالح للتطبيق لتغيير كل ما هو قائم لو فرض وجاءت جماعة المسلمين الى الحكم ؟ .. هل أنت على استعداد لحدوث النكسة والفشل اذا لم تجد معك سياساتك الدينية والدنيوية التى من المفروض ان تكون اساس الحكم من واقع الشريعة الاسلامية ؟ ..

* وكنت أقول له :

— لديك جريدة الاخوان المسلمين .. وبعدها مجلة النذير الاسبوعية هل قدمت أى منهما قانونا بديلا للقانون المدنى الذى تطالب بالغائه وتبديله ؟ هل لديك بديل مقنن درسه وبحثه افراد جماعتك من القياديين فى جماعة الاخوان المسلمين ؟ لديك جماعة الجوالة التى ترعاها .. ولديك فرقة الاخوات المسلمات ما هو البديل الذى تقدمه لهما عن الحياة العصرية الفاسدة ؟ هل هى مجرد شعارات ملتهبة تفقدهم عقولهم بحماس دينى بلا طريق أخضر مرصوف بخطة شاملة ؟

* ويمضى عزيز المصرى فى حديثه :

— جميع تساؤلاتى لم أجد لديه عنده اى جواب لدرجة اننى فى احدى المرات قلت له :

— اليس الاسلام ينادى بمبدأ الشورى ؟ فقال : نعم . فقلت له : لماذا لا تطبقه فى جماعتك ؟

كان يقول لى :

— لدى مكتب الارشاد العام ومجلس الشورى الذى يتكون من جميع نواب المناطق ومجالس الشورى المركزية وغيرها .. والاراء تصب فى القنوات الشرعية ..

* وكنت أقول له :

— هذا حق .. ولكن هل تلتزم بها فى جميع الأحوال ؟ انك فى احاديثك تطالب بالحزم والشدة مع المعارضين .. أليست المعارضة رأيا ؟ الم تقم باقصاء معارضيك الذين رفضوا النائب الذى عينته نيابة عنك فى الاسماعيلية .. ألم يحدث ذلك ايضا فى عام ١٩٢٩ عندما اتجهت جماعة الاخوان المسلمين الى السياسة وكان من المعارضين احمد السكرى .. ألم تكتب وتقول : انني اتمنى ان يكون الى جانبى رجال يفهمون ويديرون فأسلم اليهم هذا العمل وارتاح بهم قليلا واطمئن الى مقدرتهم ولكن أين هم ؟ مثل هذه الكلمات ألا تعطى المفهوم الواضح بأنه لا احد يفهم سواك . ولا أحد عنده القدرة على الفهم والادارة غيرك ..

عند الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين لم أجد الجواب العلمى الواقعى عن الحكومة الاسلامية .. وكذلك القوانين الوضعية وتغييرها بقوانين اسلامية طبقا للشريعة الاسلامية .. لم أجد الجواب لماذا لم يقنن جميع القوانين من الوجهة الاسلامية بما يحل مشاكل العصر فى حياة المسلمين اليومية .

* كنت أقول لحسن البنا :

— الظروف السياسية فى مصر تساندك .. ان الجموع من المسلمين والشباب الذين يسيرون خلفك كفروا تماما بالمجتمع . بالقيادات .. بأحوال مصر التى تسير من سيىء إلى اسوأ .. كل شىء فاسد .. وأنت أتيت من وسط هذا الركام المتداعى المظلم لتنير الطريق .. ولابد ان يلمس الناس تطبيقاتك اكثر من أقوالك .. أذكر اننى قلت له مرة :

أريد أن تقدم لى برهانا على صدق دعوتك من الناحية العملية .. كنت اتمنى لو ان الأخوان المسلمين ـ مثلا ـ تبنوا قضية محو الامية فى

مصر .. أليست تلك قضية وطنية تستحق التنفيذ .. ايضا لماذا لا تقومون بتبنى مشكلة البلهارسيا فى الريف المصرى ؟ لماذا لا تتبنى الجماعة انشاء المصانع الوطنية كتجربة فى الانتاج وسلوك العامل المسلم فى عمله من اجل اجادة وتجويد الانتاج ؟ ولماذا لا يساهم شباب الاخوان المسلمين فى تجربة زراعة الصحراء ؟ ..

* أيضا أذكر اننى قلت له فى احدى المرات :

— أريد أن اقرر لك حقيقة لا أرضاها : اذا ناقشت احد اعضاء جماعة الاخوان المسلمين يهرب منك الى آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية .. ذلك لا غبار عليه بل أوافق عليه تماما .. ولكن اذا ناقشته فى غيرها تجده صلبا عصبيا لا يقبل الرأى الآخر .. إن الاقناع عندهم قائم على التسلط والقوة .. وذلك فى رأيى عطاء ناقص .. لابد ان يكون عضو الجماعة سلسا هادئا ، واسع الصدر قادرا على الاقناع .. وضحكت وقلت له : مثلك ـ وايضا لديه من المعلومات الاخرى ما يجعله واسع الثقافة .. واسع الحيلة كثير التدبير .. ان حماس شباب الاخوان افقدهم حسن الرؤية ، والشخصية الاسلامية الحقيقية .. انهم رموز تسمع فتطيع حتى ولو كان هناك خطأ ..

قلت سابقا ان دخول جماعة الأخوان المسلمين الى مجال السياسة كان فى البداية بعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ .. وكان الهجوم من جانبهم على الوفد قاسيا وشديدا .. وتصادف ان الملك والاحزاب الأخرى كانت تقف فى خندق واحد مع الاخوان .. أو أن الاخوان وجدوا انفسهم فى خندق واحد مع الملك والاحزاب .. واذكر ان على ماهر باشا ـ رئيس الديوان الملكى ـ كان يحرص على حضور الكثير من اجتماعات الشيخ حسن البنا .. وكان ينقل رضاء الملك على جماعة الاخوان .. وأذكر هذا الحديث لعلى ماهر :

— ان مولانا جلالة الملك يوافق على اتجاهات الجماعة فى الوقوف ضد الوفد والنحاس .. وان النحاس يشيع انه اقوى منك ومن تنظيماتك .. وانه لو دخل انتخابات ضد جماعتك لاكتسح نتائجها ضدك .. لأن الشعب معه ..

ـ وفى الحقيقة لم تكن اجتماعات على ماهر مع حسن البنا تأتى من فراغ ، انما كان يريد ان يشعر الملك انه يحتوى هذه الجماعة .. وانه قادر على ضمها الى جانبه ـ الملك ـ لتكون سلاحا فى صفه ضد الوفد .. ولقد ذكرت لحسن البنا هذا الاتجاه .. وقد أكد لى انه يستوعب ذلك تماما ولكنه لا يستطيع ان يمنع على ماهر من الحضور اليه ، ولا يمنع نفسه من الجلوس معه .. ولكن هذه الرغبة من المرشد العام كانت تقابلها رغبة من الاعضاء المؤسسين برفض على ماهر لأن الانتساب اليه يجعل جماعة الاخوان تقف فى صف الملك ، الأمر الذى لا يوافقون عليه .. وهذا الاتجاه ايضا من جانب بعض اعضاء الجماعة لم يعجب حسن البنا لأنه كان يرى خلاف رأيهم ..

وبخلاف ذلك .. بخلاف على ماهر باشا .. كان عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام ثم وكيل وزارة الداخلية ـ بعدها ـ يحرص على الجلوس مع حسن البنا .. ويشارك فى الاجتماعات والندوات .. بل أن الكثير منها كان يتم فى حراسة رجال البوليس .. وفى الوقت الذى كانت قوانين الدولة تمنع انشاء وتشكيل الوحدات العسكرية وما يشبهها ، كنت أجد تغاضيا كاملا عن التشكيلات شبه العسكرية لجماعات الاخوان .. ولقد وصل عدد شباب الجوالة من الأخوان لحوالى ٣٥ الف شاب مسلم .. وأذكر اننى خاطبته فى امر الكثير من الاعانات التى كان يحصل عليها من وزارة الشئون الاجتماعية لجمعياته .. وكان يشارك فى الكثير من اللجان العليا للدولة .. وحذرته كثيرا من ذلك حتى لا يقال انه يسير فى اتجاهات الاحزاب أو الحكومة ، فكان يقول لى :

ـــ وما المانع ياعزيز باشا ؟ اننى اشارك فى السياسات العليا .. اشارك واعطى رأى الدين ..

وفى عام ١٩٤٦ عندما أراد اسماعيل صدقى مفاوضة الانجليز ارسل صهره ابراهيم رشيد للمرشد حسن البنا .. ودارت مفاوضات هدفها تأييد الاخوان لتلك المفاوضات باعتبارها قاعدة جماهيرية مسلمة لها وزنها الاجتماعى والسياسى .. وقد ناشدت حسن البنا قبل تحديد الموعد عدم الجلوس مع ابراهيم رشيد .. لأن ذلك معناه انحياز ..

ومعناه المساندة وهو أمر يجب أن يترفع عنه المرشد كقائد لجماعة اسلامية ترفض الاحزاب لكنه لم يوافقنى على رأيى ..

* يقول عزيز المصرى :

— ولقد حذرت حسن البنا كثيرا من اتجاهات عبد الرحمن السندى العدوانية باعتباره مشرفا على التنظيم الخاص ـ الارهابى ـ ولقد أحس مكتب الارشاد بذلك تماما .. لدرجة ان السندى كان يجاهر فى بعض الاحيان بمعارضته لحسن البنا .. ولقد استمد عبد الرحمن السندى هذه القوة من رئاسته لهذا الجهاز الخطير الذى كان يملك السلاح باعتباره الجيش السرى ـ المعلن ـ للأخوان المسلمين ..

* وكان الامام يقول لى :

— ان عبد الرحمن السندى مسلم عاق لتعاليم الجماعة .. وان كل شىء سيتم فى الوقت المناسب ..

* يقول عزيز المصرى :

— ولكن بقى السندى ..

وعلمت فيما بعد ان السندى لم يكن يستمد قوته فقط من كونه رئيسا ومشرفا على جهاز التنظيم الخاص ، ولكن لكونه يملك أسرار أماكن السلاح الذى كان يملكه الاخوان وكان على علاقة قوية بالعديد من الضباط فى القوات المسلحة .. ولم يرد حسن البنا ان يقطع صلته بالسندى بالفصل حتى لا يفقد الخيط الذى يربطه بالضباط الشباب الثائرين فى الجيش الذين كان يسعى اليهم ويقربهم اليه ويعمل على احتوائهم تحت جناحيه .. واقد كان رحمه الله يحدثنى كثيرا عن هذه التنظيمات بحذر شديد .. وان البعض منهم يحضر اليه .. وقد علمت فيما بعد ان الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف الذى كان معى فى الطائرة التى وقعت بنا فى قليوب كان من الاخوان المسلمين .. وانه قام بتدبير لقاء مع جمال عبد الناصر الضابط الثورى الشاب وحسن البنا .. وذلك لم يذكره احد من قبل .. حتى أنور السادات نفسه الذى كانت علاقتى به قوية لم يذكر الواقعة .. لكنى عرفتها من عبد المنعم عبد الرؤوف الذى توطدت صلتى به بعد ذلك وكنت اعتبره من

أولادى ..

وأعود فأقول ان حسن البنا لم يشأ ان يفقد عبد الرحمن السندى حتى لا يفقد اطراف الخيط الآخر الذى كان يمثل علاقته ـ علاقة السندى ـ بضباط الجيش ومن هنا نرى ان حسن البنا تنازل لاول مرة فى حياته وكانت الأولى والاخيرة عن دكتاتوريته فيعمل على بقاء السندى من اجل الاحتفاظ باتصالات الضباط معه .. وكان أنور السادات احد أطراف هذا الخيط ولو أنه لم يكن عضوا فى الأخوان ..

ولقد كانت علاقة عبد الرحمن السندى قوية جدا مع جمال عبد الناصر .. وكان ضمن الضباط الشبان الذين يجمعون السلاح من الجيش ـ القطع الصغيرة ـ وأرسلها الى الأخوان .. بل انني علمت ان عبد الناصر كان مشاركا للسندى فى وضع تصميمات الكثير من هذه المخازن .. وعند حريق القاهرة فى عام ١٩٥١ قام الكثير من الضباط الاحرار بتسليم قطع السلاح التى كانت فى منازلهم الى عبد الرحمن السندى ، الذى وضعها بدوره فى تلك المخازن .. وعندما وقع الخلاف بين عبد الناصر والاخوان فى اتهام الأخوان بأن هذا السلاح كان لضرب ثورة ٢٣ يوليو .. وكلام عبد الناصر غير حقيقى لأن الكثير من السلاح وضع فى تلك المخازن بعلم عبد الناصر قبل الثورة وقد استغل ذلك فى ضرب الاخوان ..

* ويقول عزيز المصرى :

ـــ لقد استمرت علاقة عبد الرحمن السندى بجمال عبد الناصر قوية تماما .. بل ان عبد الرحمن السندى كان عين عبد الناصر عند الأخوان .. وكان منفذا لرغباته التى تمثلت فى تلك الحادثة : ان عبد الناصر كان يريد الانشقاق الداخلى للأخوان فى عهد المرشد العام حسن الهضيبى الذى تولى رئاسة الجماعة بعد اغتيال حسن البنا وقد قام السندى على رأس قوة من الأخوان باحتلال المركز العام وذهب فريق الى منزل حسن الهضيبى وأساء البعض اليه اساءة بالغة .. ولما خشى من عواقب هذه التصرفات كان القرار بفصل عبد الرحمن السندى ، وكان جزاء السندى من عبد الناصر وظيفة فى شركة شل براتب كبير ..

وقد ثبت بعد ذلك ايضا أن عبد الرحمن السندى هو الذى سلم عبد الناصر جميع اسماء وعناوين الاخوان وجميع الاماكن السرية لمخازن اسلحتهم التى استغلت ضد الأخوان فى صراعهم مع عبد الناصر ..

كان عبد الرحمن السندى هو احد العناصر السيئة للأخوان .. وكانت هناك جوانب اخرى لم أرضى بها.. ولم أوافق عليها وهى :

* مقتل المستشار الخازندار .. وكانت سبة فى جبين الأخوان ..

* عمليات النسف التى كانت تباشرها الجماعات الارهابية الخاصة ..

* نسف الكثير من المحلات العامة وكان منها نسف بعض المحلات اليهودية .

* اغتيال النقراشي باشا رئيس وزراء مصر ، بعد مرور عشرين يوما على قراره بحل جماعة الاخوان المسلمين ..

* ويقرر عزيز المصرى حقيقة هامة :

— للحق اقول ان علاقات الضباط الاحرار مع المرشد حسن البنا كان يحتفظ بها لنفسه .. وعلى الرغم من علاقتى به وزياراتى فى مقر الجماعة وبيته .. ومبادلته لى الزيارة فى منزلى لم يخبرنى بأن جمال عبد الناصر اقسم يمين الولاء لجماعة الاخوان المسلمين .. ولقد حاول ذلك مع انور السادات ولكنه كان يراوغ .. واذكر ان علاقة عبد المنعم عبد الرؤوف كانت جيدة جدا مع جمال عبد الناصر الذى لا ادرى حتى الآن لماذا انقلب على الأخوان هذا الانقلاب الشرس ؟ ..

* هل كان خوفا من منازلتهم له على القيادة والزعامة ؟

* هل كان رغبة منه فى عدم الانتماء اليهم باعتبار ان ذلك يكسبه زعامة اكثر ؟

* هل كان خوفا من اتقاء شرهم وهو يعلم تماما مدى قوتهم واستقرار قواعدهم فى محافظات مصر ؟

* هل سهل له عبد الرحمن السندى هذه المهمة بعد اعطاء اسرار الأخوان وتنظيماتهم وخلاياهم السرية .. واتجاهاتهم فى معارضته ؟

* هل كان بسبب اتجاههم ناحية محمد نجيب الذى كان على علاقة طيبة بالمرشد حسن الهضيبى ..

الحق لا أدرى ..

وأيضا لا أحد يدرى سوى عبد الناصر نفسه قد يكون احد هذه الاسباب .. وقد تكون جميع هذه الاسباب وراء انقلاب جمال عبد الناصر على الأخوان المسلمين ..

كانت هناك اخطاء كثيرة من جانب الأخوان .. وكل ما حدث من اغتيالات وانفجارات وارهاب لا يمكن ارجاعه الى المقولة التى كانت تردد وقتها وبعدها دفاعا عن الأخوان : بأن ذلك حدث من جانب بعض الشباب المتحمس .. ومعنى ذلك ان حماس الشباب من الأخوان كان زائدا عن الحد .. وانه حماس غير متقن تنظيميا لأن ذلك لو كان حقيقة .. فمعناه ان الجماعة فقدت انضباطها ، وفقدت عملية الضبط والربط بين القيادات والشباب ، وبين القيادات ومرشد الاخوان .. واذا كان أحمد ماهر قد قتله شاب ينتمى إلى الحزب الوطنى .. فان النقراشى لقى مصرعه على يد شاب من جماعة الاخوان المسلمين .. وقد روعتنى الحادثة .. واذكر اننى حذرت حسن البنا من العواقب الوخيمة لنتائج هذا الاغتيال وقلت له بالحرف الواحد :

— اننى اتوقع نتيجتين : الاولى اغتيالك .. والثانية حل جماعة الاخوان لأن القصر وابراهيم عبد الهادى اذا لم يفعلا لك فمعناه انحسار سلطتهما وهيبتهما ، لقد جاء ابراهيم عبد الهادى وفى نيته الانتقام وتصفية جماعة الاخوان على الرغم من ان حسن البنا اعلن تصريحه الشهير : بأن القاتل ليس من الجماعة وبأن الجماعة تتبرأ تماما من اعماله ، ولكن الشاب أعلن انه القاتل ، وانه من جماعة الاخوان المسلمين .. وبخلاف ذلك فان ما سجله الاخوان ضد النقراشى قبل وفاته سواء فى اجتماعاتهم وفى اجتماع الهيئة التأسيسية .. أعلنوا أن النقراشى لا يصلح رئيسا لوزراء مصر ، وانه يرتمى فى احضان الانجليز والقصر ، ومتقاعس عن المطالبة بحقوق مصر فى الجلاء والاستقلال .. وقامت المظاهرات لتشمل القاهرة

والاسكندرية وبعض المدن الكبرى وسقط الكثير من الشهداء .. ثم استقال النقراشى وجاء بعده اسماعيل صدقى الذى فشل فى كل عمل قام به .. وعاد النقراشى مرة اخرى رئيسا للوزراء فى ديسمبر عام ١٩٤٦ .. وفى عهده أبلى الاخوان المسلمون بلاء حسنا ومشرفا فى معارك فلسطين .. ثم جاء قرار حل جماعة الاخوان على يديه ولن ينسى الاخوان للنقراشى انه فتح عليهم كوبرى عباس وسقط المئات صرعى الرصاص وكانت كارثة وطنية .. وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ أطلق الرصاص على النقراشى عبد المجيد حسن وكان من الاخوان المسلمين ..

كان القاتل حقا من جماعة الاخوان رغم ان البعض ومنهم حسن البنا كان يقول : انه ليس من الجماعة .. وبعد اغتيال حسن البنا جاء بعده المرشد حسن الهضيبى لم تكن صلتى به قوية مثلما كانت مع حسن البنا .. اذكر اننى قابلته مرة او مرتين وربما ثلاث مرات .. كان على النقيض من حسن البنا ، شخصية معتدلة ورث هذه الروح من كونه رجلا من رجال القضاء يفتقد تماما الروح الثورية والعلم الغزير فى الدين ، ولم يكن يحظى باتفاق الجماعة على وجوده .. وتحدثنا سابقا عن احتلال عبد الرحمن السندى لمقر الجماعة ، ثم ذهابه الى منزل حسن الهضيبى والاساءة اليه بشكل بالغ حتى صدر الامر بفصله .. ولكن على الطرف الآخر من الصدام كان يقف صالح عشماوى الذى كان متطرفا ولم يرض عن اختيار حسن الهضيبى لأنه كان أيام حسن البنا نائبا للمرشد العام ورئيسا لتحرير صحيفة الدعوة الاسلامية .. وقد دخل فى الصراع معه عبد الرحمن البنا وعبد الحكيم عابدين وأحمد حسن الباقورى - المعتدل - ولكن الأخير انسحب من هذا الجو التنافسى ووقف فى صف اختيار حسن الهضيبى الذى كان يماثله فى الحيادية والاعتدال ، وقد أيد ذلك عبدالرحمن البنا ، وكانت وجهة نظر هؤلاء ان ظروف الجماعة لا تحتاج إلى شخصية ثورية بقدر ما تحتاج الى شخصية معتدلة تحاول ان تلملم الجراح وتعمل كما يقول المثل الشعبى : على تعويم سفينة الاخوان .. ولقد أحسن ذلك الاتجاه صنعا

باختيار حسن الهضيبى لأن حكومة الوفد جاءت الى الحكم عام ١٩٥٠ .. ومن المعروف ايضا العداء السافر الذى كان بين الوفد والاخوان ..

* ويمضى عزيز المصرى فى سرد الاحداث قائلا :

— الحق يقال ان علاقة الهضيبى بالملك كانت اقوى من علاقة حسن البنا بالقصر .. واذكر ان الصحف وقتها كانت تحرص على إعلان لقاءات الملك بمرشد الأخوان الهضيبى .. كما سجلت الصحف فعلا تصريحات لمرشد الأخوان لصالح الملك ، ولقد كان الملك فاروق حريصا تماما على ابراز هذه الرابطة وتلك العلاقة لانه يريد ان يهادن الاخوان ويهدد الوفد بهم .. وصاحب ذلك ان ابعد الهضيبى المتطرفين من الجماعة وكان على رأسهم صالح عشماوى واعوانه .. وبدأت تعديلات فى الجهاز السرى للأخوان خاصة بعد اقصاء عبد الرحمن السندى ، وقد استفاد الهضيبى من قانون الجماعة الذى كان يركز السلطات فى يد المرشد ..

وعند الغاء المعاهدة .. معاهدة ١٩٣٦ طلب الأخوان الوفد بموقف صريح وواضح من اهمها : عدم مفاوضة الانجليز ودعم التعاون معهم ، والغاء القوانين المحرمة للحريات وقطع العلاقات مع بريطانيا وطرد الحاكم الانجليزى من السودان .. وكان من الغريب ان يذكر حسن الهضيبى انه لا يقبل التفاوض مع الانجليز ، ولكنه ينسى ذلك عند بحث كيف سيتم الجلاء .. وهو يرى انه يمكن ان تشترك مصر مع الانجليز فى نظام اقليمى ولكن بشرط ان يتم الجلاء اولا حتى يكون التفاوض من منطلق الند للند .

وكان التحدى السافر من جانب الاخوان للوفد عندما اصدرت الحكومة الوفدية القانون الذى يتيح لها مراقبة اى جمعية بخلاف الاطلاع على حساباتها وجميع اوراقها ودفاترها مع حظر انشاء الفرق العسكرية .. ومن هنا هاجم الاخوان الوفد هجوما سافرا وشديدا ، ولم يقدموا أى أوراق أو حسابات الى جهات الاختصاص فى الحكومة ..

مرة أخرى أقول ان صلة الاخوان بضباط الجيش الثوريين لم تكن عن طريقى فلم أكن فى يوم ما طرفا للتوفيق او التعارف بين الضباط الأحرار وبين المرحوم حسن البنا .. ولكن كان طرف الخيط عبد المنعم عبد الرؤوف الطيار بسلاح الجو الملكى المصرى .. ولقد سبق ذلك ضباط ولكنهم لم يكونوا ابدا من الضباط الاحرار .. ولقد تصادف عندما كان حسن البنا فى زيارتى فى منزلى .. تصادف وجود بعض الضباط من الذين كانوا يحترمون شخصيتى العسكرية ، ومن ابنائى عندما كنت مفتشا عاما للجيش ثم بعد ذلك رئيسا للاركان .. وكان اعجابهم بعسكريتى واسلوبى فى التعامل وثوريتى ضد البعثة الانجليزية ووزير الحربية .. كذلك اتصال انور السادات بالجماعة لم يكن اتصالا تنظيميا لانه لم يكن فى يوم من الأيام عضوا بالجماعة ، ولكنه كان يحرص على لقاء حسن البنا ..

كما اذكر ان التشكيل الأخوانى داخل الجيش كان يقوده عبد المنعم عبد الرؤوف وهو الذى قدم جمال عبد الناصر الى المرشد حسن البنا .. وكان أيضا شاهد رؤية لعبد الناصر وهو يقسم يمين الولاء للجماعة .. ولقد سألت فى ذلك جمال عبد الناصر بشكل مباشر .. فقال لى :

— اننى احب الأخوان المسلمين ، لأنهم جماعة تدعو الى الدين والتمسك بالشريعة الاسلامية وذلك يجد هوى فى نفسى واعماقى .. ويكفى انهم ضد الاحزاب .

* يقول عزيز المصرى :

— الشىء المحير الآن لماذا انقلب جمال عبد الناصر على الأخوان ؟ .. وحتى الآن اجد نفسى داخل علامة تعجب كبيرة من حادثة المنشية .. هل هى حقيقة ام هى جزء من خطة ضرب الاخوان من جانب عبد الناصر شخصيا .. لقد حكى لى محمد نجيب فى احدى المرات :

— ان جمال عبد الناصر يؤيده صلاح سالم وجمال سالم كانوا دائما يهاجمون الاخوان .. وكانوا يرونه تنظيما لا يجب ان يستمر فى ظل الثورة التى لا يجب ان يكون عليها اى سيادة أو وصى .. وانهم

جماعة لا يؤمن جانبهم لأن الخلافات تدور بينهم فوق السطح وايضا فى الأعماق ، ولا يمكن الارتباط بهم .. وعندما فاتحت عبد الناصر فى ذلك فى أواخر عام ١٩٥٣ قال لى :

— كيف اتعاون ليعرفوا اسرارى وانا لا اعرف اسرارهم .. لقد تحدث صلاح سالم مع حسن الهضيبى فى ذلك الموضوع منذ عدة اشهر قالوا : سوف نرد عليكم وحتى الآن لا يوجد أى رد .. اننى لا اخاف ولكن الحيطة واجبة ..

* يقول عزيز المصرى :

— ولقد تعجبت من كلمات عبد الناصر ، الذى يناقضها تماما علمى التام بأن الاخوان كانوا طرفا بمباركة عبد الناصر فى المفاوضات التمهيدية مع الانجليز من أجل الجلاء قبل توقيع الاتفاقية ..

وحدثت تصادمات بين جماعات الاخوان وهيئة التحرير التى اقامتها الثورة كتنظيم شعبى يدافع عنها .. وكانت الجامعة معقل هذه الخلافات والصدامات ثم كانت مأساة اخراج محمد نجيب من الحكم .. ولم أكن وقتها موجودا فى القاهرة كنت فى منصب السفير المصرى فى الاتحاد السوفيتى .. وتلك لها قصة طويلة سوف يجىء ذكرها فيما بعد .. وجاءت احداث المنشية فى الاسكندرية فى شهر اكتوبر عام ١٩٥٤ .. وكان قد سبقه اعتراض الاخوان على المعاهدة التى وقعها عبد الناصر مع الانجليز من اجل الجلاء .. لأن المعاهدة تضمنت ان تصبح مصر شريكة فى اى حرب قادمة اذا حدث اى اعتداء على بريطانيا ..

وكانت تصفية جماعة الاخوان المسلمين بعد المحاكمات التى استغرقت بعض الوقت .. وهذه المحاكمات شملت احكامها الاعدام لبعض قيادات الاخوان .. وكان الاعدام من نصيب محمود عبد اللطيف وحسن الهضيبى الذى خفف حكمه بعد ذلك الى الاشغال الشاقة المؤبدة ويوسف طلعت وابراهيم الطيب وهنداوى ومحمد فرغلى وعبد القادر عودة .. بخلاف احكام الاشغال الشاقة المؤبدة ..

وبهذه الاحكام اقفل الباب على الاخوان المسلمين كجماعة دينية

تحولت من فعل الخير وبناء المساجد الى خلية ثورية شغلت الشارع السياسى فى مصر سنوات طويلة وعبرت عن الامانى بطريقة أو بأخرى ولكن لا جدال ان الجانب الأرهابى بين صفوفها قادها الى المزيد من الاخطاء التى قضت عليها فى نهاية الأمر ..

تبقى سطور قليلة لابد من ايرادها حول الحزب الشيوعى فى مصر .. لقد كرهت الحركة الشيوعية منذ بدايتها لأن نواتها كانت صهيونية . ولا أحسب فى يوم من الأيام انها ستجد ارضية للانتشار بين طبقات الشعب المصرى لانها فى جوهرها الحادية تتخفى وراء المعسول من الشعارات وتجنح الى الجدل المادى الذى يوصل الى خطأ من لا يؤمن بمبادئها ..

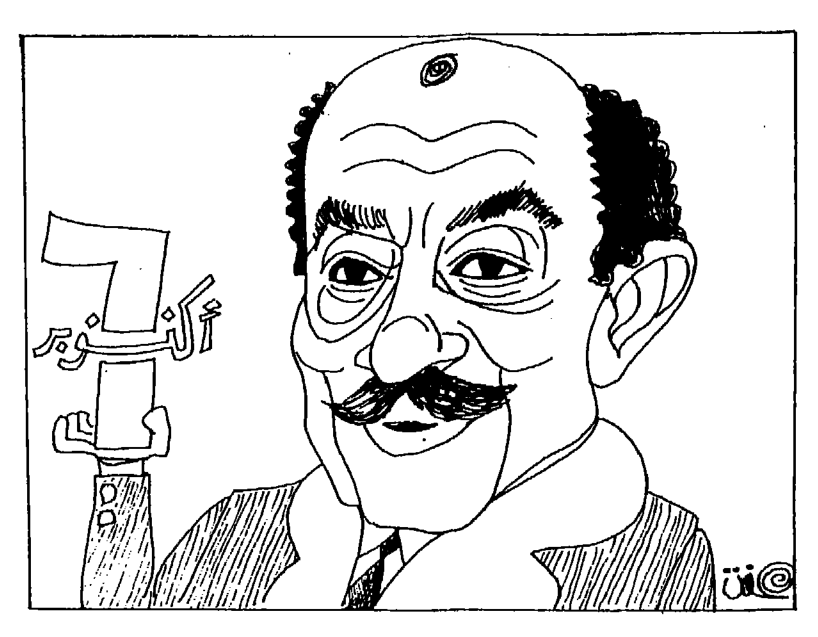
والدليل على عدم صلاحيتها الاختلاف فى الهدف الذى ساد معظم جماعاتها التى كانت تنقسم على بعضها فى صراعاتها من اجل البقاء .. ومن أجل الدفاع والخلاف عبر العناصر الاجنبية التى كانت تقود الحركة فى مصر .. وبشكل اجمالى ركزت الحركة على شباب العمال والجامعة .. وكان لهم جريدة اذكر ان اسمها صحيفة الملايين .. وكان شعار الحركة طرد الاستعمار والكفاح المسلح وتحقيق الجلاء والتحالف مع الأتحاد السوفيتى وعدم التعاون مع الغرب .. ولقد لقيت الحركة الشيوعية كل العنت من جانب الكثير من الحكومات قبل الثورة .. ثم التشريد على يد جمال عبد الناصر ..

* وتمضى رحلة عزيز المصرى ..

ويمضى مشوار حياته .

وينتقل الحديث الى موضوعين هامين جدا : الأول حرب فلسطين .. والثانى حرب كتائب التحرير .. وكلاهما مهدا لثورة ٢٣ يوليو ..

الفصـــل الثـــامـــن



« السادات أول الضباط الأحرار الذين عرفتهم »

* مصر والسعودية افشلتا مخططات بريطانيا للأحلاف الاقليمية ..
* الأخوان المسلمون كانوا طليعة كتائب المتطوعين فى فلسطين ..
* كنت قائدا لكتائب التحرير ولكن الحكومة الوفدية عارضتنى ..
* تنبات بحتمية وقوع خلافات بين الاخوان والضباط الأحرار ..
* اعجبنى حماس الضباط الثوار ورفضهم للأوضاع فى مصر ..
* من هى زينب التى أوشكت على ضرب جمال عبد الناصر ؟ ..

ستظل اسرائيل وصمة عار على جبين بريطانيا بالنسبة للعرب .. وسيظل العرب يعانون من هذا السرطان الاستيطانى الذى زرعه الانجليز إلى الأبد ..

وستبقى اسرائيل كالشوكة تدمى الكيان العربى ما دام هذا الكيان ممزق الأوصال ، متعدد السياسات ، لايتفق على رأى ، ولا يتحد فى سياسة اقتصادية أو زراعية أو اجتماعية أو فنية .. ان ما ضاع لايمكن استرداده ، وعجلة التاريخ لايمكن أن تتقهقر إلى الخلف .. وكل زمان له سياسة وهدف .. وكل سياسة لابد أن يكون لها استراتيجية .. والقائد الناجح هو الذى يحول الهزيمة إلى انتصار .. والانتصار لن يتحقق إلا إذا دبر القائد إمكانياته ، وعرف هدفه وبث فى جنده حماس الشرف والكرامة .. واسرائيل دولة وكيان خطط لها رجالها الخطط طويلة الأمد .. وكل رجل جديد عندما يسقط القديم يسير على الخطط الشاملة ، أو الاستراتيجية التى وضعت لقيام دولة اسرائيل واستمرارها ..

ولو حدث مرة واحدة وجاء زعيم اسرائيلى ليخطط بخلاف آخر لما استمر هذا البقاء لهذه الدولة .. ولما قويت عاما بعد آخر .. ولما اشتد عودها سنة وراء الأخرى .. ذلك كله يتم ونحن نتنازع على الزعامة .. ونفتت قوانا فى الخلافات ورفع الشعارات .. وتحويل القضايا الوطنية إلى خلافات شخصية .. إن العدوان الاسرائيلى على العرب بصفة عامة ومصر بصفة خاصة لن يقف عند عدوان ١٩٥٦ .. لابد أن يحدث أكثر من عدوان .. وهى معارك لابد أن تخوضها اسرائيل وهى مفروضة عليها كسياسة عامة ولن تتخلى أبدا عن سياسات البطش والعدوان

لمحو الشعب الفلسطينى من الوجود .. وإذا كانت قد فشلت فى ذلك عام ١٩٥٦ .. فإنها لن تفشل فى الأعوام التالية .. وإذا حدث أن اعترض طريقها أمر عارض أو أحداث وسياسات لاتجعلها تحقق أمانيها القومية .. فلن تتوانى أن تتحالف مع الشيطان فى سبيل تحقيق ما تريد ..

* ويمضى عزيز المصرى فى حديثه :

— ذلك كله يدعو للأسى والأسف فى وقت واحد .. لذلك فالمطلوب من العرب لإجهاض الاستراتيجية الاسرائيلية أن يستذكروا هذا الدرس جيدا .. ولابد من اتحادهم ليتحولوا إلى كيان قوى .. وأنا ضد أى اتحاد عاطفى .. ان الاتحاد للدول غير اتحاد الأفراد والجماعات .. لقد خلف الاستعمار البريطانى وراءه نغمة الفرقة بين دولة وأخرى ، وهى ترسبات لابد أن نعمل حسابها وحساباتها فى كل لحظة .. اننى ضد أى وحدة أو اتحاد مهما كان نوعه .. لا أطلب ولا أطالب إلا بالوحدة فى الأمور السياسية ، والزراعية والاقتصادية ، والتجارية .. وأن يتحول هذا الوطن العربى إلى بلد واحد بالنسبة لكل مواطن عربى .. لابد أن نفتح الحدود ، جواز السفر المصرى يعتبر بمثابة بطاقة شخصية أو عائلية لدخول أى بلد .. علينا أن نرفع القيود .. وكما صبر اليهود عشرات السنين على قيام دولتهم .. وصبروا أكثر لامتداد دولتهم .. علينا أن نصبر على وحدتنا ونقويها بأن نتحد فى كل شىء ، حتى الجيش العربى الواحد لابد أن نعده .. ونسعى إلى وجوده مهما كانت التضحيات ..

* يقول عزيز المصرى :

— لم تكن اتفاقية سايكس بيكو هى الطعنة الدامية الوحيدة التى وجهتها بريطانيا إلى الأمة العربية .. ولكن الطعنة الثانية الأكثر قسوة وضراوة كانت فى تصريح « بلفور » الذى أصدرته الحكومة البريطانية فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧ .. وبعد الحرب العالمية الأولى وضح الدور الذى لعبته بريطانيا وهى تخطط من أجل مصالحها مع فرنسا .. وتقرر انتداب بريطانيا على العراق وفلسطين والأردن وفرنسا على الشام

ـ سوريا ولبنان ـ ولاشك أن الانتداب على الشرق العربى الأسيوى بالصورة التى تقرر بها فى مؤتمر سان ريمو يعتبر بحق الصورة النهائية التى تم بواسطتها تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو .

لقد أقر لويد جورج بأن نظام الانتداب كان بديلا للاستعمار القديم .. وبذلك سيطرت بريطانيا تماما على قناة السويس لأنها كانت تحتل مصر منذ عام ١٨٨٢ .. وبذلك ضمنت سيطرتها الكاملة على ذلك المرفق المائى الحيوى الذى يوصلها فى أمان إلى الهند ومستعمراتها هناك .. وهو الأمر الذى خططت له ونجحت فيه تماما إلى مدى بعيد ..

ومرت السنوات حتى وقفت عند عام ١٩٢٩ .. وفى تلك الفترة جاءت حوادث حائط المبكى .. هذا الحائط الذى يعتبره اليهود آخر آثار هيكل سيدنا سليمان .. وفى نفس الوقت له قدسية عند المسلمين حيث صعد من هناك الرسول صلى الله عليه وسلم على البراق بصحبة سيدنا جبريل حيث سدرة المنتهى للقاء وجه ربه الكريم ..

كان الصراع واضحا بين الوطنية العربية على أرض فلسطين وبين الحلف البريطانى الصهيونى .. وصاحب ذلك الهجرة اليهودية التى كانت تتزايد شهرا وراء آخر ، وحدثت مصادمات دامية بين عرب فلسطين واليهود ، هذه الأحداث تمت فى الوقت الذى كانت تعانى فيه مصر من قسوة الاحتلال البريطانى وكانت الحكومة فى ذلك الوقت برئاسة محمد محمود باشا ، ترى أن مايحدث على أرض فلسطين من مجازر ووحشية ضد الفلسطينيين أمر يزعج الانجليز إذا تدخلت مصر .. فجنح إلى الهدوء وبذلك عزل مصر عما يحدث على أرض فلسطين ..

يضاف إلى ذلك أن مصالح كبار الاقطاعيين والرأسمالية المصرية فى ذلك الوقت كانت ترتبط بالمؤسسات والمصالح التى كان يديرها اليهود فى مصر ، وعندما تصدى بعض الكتاب والمفكرين للكتابة عن المشكلة الفلسطينية أغلق محمد محمود صحفهم .. تماما كما فعل اسماعيل صدقى باشا الذى كان رئيسا للوزارة عام ١٩٣٠ وكان من ضمن ما صادره جريدة الشورى الفلسطينية التى كانت تصدر فى مصر .. بل

من الغريب والمثير فى وقت واحد أنه أبقى تماما على جريدة « اسرائيل » التى قام بانشائها « البرت موصيرى » .. ومن المعروف أن هذه الجريدة انشئت فى عام ١٩٢٠ وكانت تنشر الأفكار الصهيونية وتتولى الدفاع عنها ..

* يقول عزيز المصرى :

— لقد كنت أمتلك العديد من أعداد هذه الجريدة .. ولكن للأسف الشديد ضاعت هذه الأعداد ، مع الكثير من المذكرات التى كنت أدونها حول مشوار حياتى خلال فترات الاعتقال التى تمت بعد حادث الطائرة التى حاولت فيها مغادرة مصر ولكن لم يقدر لها النجاح ..

* يواصل عزيز المصرى حديثه :

— فى تلك الفترة لم يكن يدافع عن القضية الفلسطينية سوى حزب الوفد فى مصر .. وأذكر أنه فى عام ١٩٣١ حضر الوفد المؤتمر الاسلامى الذى عقد بالقدس .. وأذكر أن عبد الرحمن عزام ممثل الوفد ألقى كلمة الوفد نيابة عن مصطفى النحاس باشا .. وأذكر أيضا أن لم تخن الذاكرة أن ممثل الوفد انتخب عضوا فى اللجنة التنفيذية .. وكان من القرارات : توحيد البلاد العربية والعمل على وحدة فلسطين وانشاء جامعة عربية بالقدس ، وتأسيس مصرف يساعد فى منع بيع الأراضى إلى اليهود ..

وأذكر أنه عند انشاء حزب مصر الفتاة خلال هذه الفترة تعايش رئيس الحزب أحمد حسين مع الأفكار الثورية التى كانت تنادى بايجاد صيغة ملائمة حتى تتحد البلاد العربية .. وأذكر أيضا أن جمعية الشبان المسلمين فى مصر كانت على مستوى المسئولية الوطنية والعربية .. فكانت نداءاتها بمساعدة الفلسطينيين ، وقامت بجمع التبرعات لضحايا البطش الصهيونى ..

وفى عام ١٩٣٦ قامت ثورة فلسطين .. وفى عام ١٩٣٧ وقف وزير الخارجية المصرى ـ وفدى ـ فى عصبة الأمم يطالب بحقوق شعب فلسطين .. ووقف الوفد ضد الانجليز مدافعا عن حقوق شعب فلسطين ، وعارض اتجاه نورى السعيد الذى كان يبغى تصفية

القضية .

وبالرغم من أن حزب الأحرار الدستوريين كان ضد هذه القضية أيام محمد محمود باشا .. إلا أنه فى عام ١٩٣٩ شارك فى مؤتمر لندن مع العرب .. وكان من مطالب الأحرار الدستوريين الافراج عن الوطنيين الفلسطينيين الذين اعتقلهم الانجليز واعطاؤهم الفرصة لحضور المؤتمر .. أيضا شاركت مصر فى مؤتمر بلودان العربى الذى نظمه نبيه العظمه فى سوريا عام ١٩٣٦ ..

وأذكر فى وزارة على ماهر باشا عام ١٩٣٩ وأثناء التشكيل كانت لى جلسة خاصة معه بعد أن استدعانى للمشورة .. ودار بيننا حديث طويل حول رغبته فى مد يد العون الكاملة إلى القضية الفلسطينية .. وأكد لى أن ذلك لن يتم إلا إذا تم اختيار العديد من الشخصيات المصرية المعروف ولاؤها للقضية العربية .. وعندما علمت انه اختارنى رئيسا لأركان حرب الجيش طلبت منه أن يختار وزيرا للحربية لا أختلف معه .. وطلب منى ترشيح وزير للدفاع ، وبعد مناقشات عرض اسم صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين .. ووافقت .. وطرحت عليه اسم عبد الرحمن عزام ومحمد على علوبة .. وتم الاتفاق على جميع هذه الأسماء وطلب منى على ماهر فى ذلك الوقت جس نبض المرحوم حسن البنا فى الاتجاه الجديد لحكومته نحو القضية الفلسطينية ، ولقد وجدت ـ بالحق ـ موافقة كاملة من حسن البنا ..

وقد تزامن مع هذه المشاورات العديد من المقالات التى كتبها الاخوان تشجع على الثورة وتعمل على استمرارها ، بل ان حسن البنا أطلعنى على العديد من الرسائل التى أرسلها إلى حكام البلاد الاسلامية والعربية يحث فيها الهمة العربية لمساندة القضية ..

وفى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تخطط لسياساتها الاستعمارية .. نجد أن اليهود كانوا أيضا يخططون لتنفيذ سياساتهم واحكام قبضتهم على أرض فلسطين ، ففى الوقت الذى كان تحالفهم واضحا وسافرا مع الانجليز الذين يحتلون أرض فلسطين نجدهم أيضا يستشعرون بالحاسة السادسة والسابعة بأن هناك وافدا جديدا

استعماريا ولكن بلون وشكل آخرين يتطلع إلى منطقة الشرق الأوسط لأهمية البترول التى كانت شركاتها تمارس دورها فى استخراجه فى بعض البلاد العربية .. أيضا بدأت تتطلع إلى أهمية البحر الأبيض .. والبحر الأحمر ، والمحيط الهندى .. كذلك بدأ يتضح الدور الايجابى لليهود الأمريكيين فى مساندة الحركة الصهيونية ..

ومن هنا مدوا أيديهم إلى أمريكا ، وتطلعوا إلى اللوبى اليهودى داخل أمريكا .. وأحسوا أن هذه الدولة هى المستقبل فى المنطقة ..

وشعروا أنه لابد من مد الجسور اليها لتعبر من خلالهم ، ولو فوق أجسادهم لتحقيق مصالحها وفى ذات الوقت يتحقق للصهيونية مصالحها وجميع أهدافها ..

وكانت خطة ذكية .. حققت لها كل أحلامها وما تريد .. وكان عزم بريطانيا على انهاء الانتداب .. ووافقت الأمم المتحدة على انهاء الانتداب البريطانى على أرض فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨ .. وكان قرار التقسيم فى نوفمبر ١٩٤٧ جزء لانشاء دولة عربية .. وآخر لانشاء دولة اسرائيل .. وسارت المظاهرات فى مصر ترفض التقسيم .. وفى البلاد العربية خاصة فى سوريا .. ويسجل التاريخ أن المتطوعين من الاخوان المسلمين كانوا على رأس المحاربين للعصابات الصهيونية .. تسللوا عبر سوريا وسيناء وبدأوا فى قتال المستعمرات اليهودية .. ثم تكونت كتائب تحت ظلال الجامعة العربية .. ويشهد التاريخ أن كتائب الاخوان المتطوعين أبلت البلاء الحسن فى هذه المعارك .. لدرجة أن إحدى جماعات الاخوان من المتطوعين دخلت احدى المستوطنات وأخذ أحد الاخوان من مكان مرتفع ونادى بالجهاد وأعتقد الصهاينة أن المستعمرة تم احتلالها فخرجوا هاربين .. واحتل الاخوان المستعمرة لساعات طويلة .. ثم سلموها إلى الجيش المصرى ..

وكما قلت سابقا كان نظام التطوع لحرب فلسطين يسير فى اتجاهين :

الأول : المتطوعون من الاخوان المسلمين وكان يغلب عليها حرب العصابات ثم بعد ذلك الاعداد من الضباط والجنود الذين سافروا

كمتطوعين ، وهذا الفريق الأخير لاقى صعوبة كبيرة فى البداية للسفر إلى أرض فلسطين لمحاربة الصهاينة ..

وأذكر أننى إلتقيت أكثر من مرة مع القائمقام أحمد عبد العزيز، وحكى لى الكثير عن المشاكل التى كان يضعها فى طريقه الفريق عثمان المهدى حتى لايجد الجيش نفسه وقد تركه المئات من الضباط المتحمسين للسفر تحت قيادة أحمد عبد العزيز ، وقد أكد لى أحمد عبد العزيز أن الضابط كمال الدين حسين من أكفأ الضباط .. وأن حماسه يفوق حماس مائة ضابط ولذلك اختاره أركان حربه كمعاون أول .. وقد علمت فيما بعد مدى الجهد والتضحية وأعمال البطولة التى قام بها كمال الدين حسين .

أمام حماس الضباط .. وأمام سيل خطابات الاستقالة أو الاحالة إلى الاستيداع والرغبة فى المشاركة فى منازلة اليهود الصهاينة لم يكن هناك بد من الموافقة على سفر الضباط .. ولكن المشكلة كما قال لى أحمد عبد العزيز كانت بعد ذلك فى نوعية السلاح الذى سمحت به قيادات الجيش ليتسلح بها الضباط وجنودهم المغادرون إلى أرض فلسطين .. لقد كانت محنة أن يسمح لكل ضابط بطبنجة وبندقية ولم يكن ذلك السلاح بقادر على تمكين المتطوعين الضباط من إحراز أى نصر .. وكان من المتطوعين الضباط عبد المنعم عبد الرؤوف رفيقى فى الطائرة التى لم يكتب لرحلتى فيها النجاح .. ولقد اخبرنى عبد المنعم فيما بعد بالكثير من المشاكل وكان على قمتها :

* ان المدافع التى سمح بها الجيش المصرى ـ القيادات ـ لم تكن جيدة بل كانت قديمة ومرمى نيرانها أقل من تلك المدافع التى كانت مع اليهود ..

* ان عربات نقل الجنود وغيرها كانت فى حالة سيئة لاتحقق الغرض من وجودها .

* ان الذخيرة لم تكن تصل بانتظام الامر الذى عاق حسم الكثير من المعارك لصالح المتطوعين ..

لقد كان الحماس قويا وشديدا .. وقد أبلى هؤلاء المتطوعون بلاء

حسنا فى حدود امكانياتهم .. ودارت معارك ضارية وكانت المأساة الكبرى عندما استشهد القائمقام أحمد عبد العزيز .. لقد كان حماس هذا الضابط فوق كل حماس .. وسطر مع رجاله أروع قصص البطولة التى لاتنسى .. والتى نقلها الصاغ كمال الدين حسين إلى كل الضباط بصفة عامة والأحرار بصفة خاصة .. وبهذا الاستشهاد طويت صفحة من حرب فلسطين لتبدأ صفحة أخرى ..

كان الحماس فى مصر بلا حدود .. وكانت المظاهرات لاتهدأ حتى تعود لتبدأ من جديد .. التذمر كان فى كل مكان .. واللعنات تصب على رأس الوزارة من كل مصرى يعيش فى أرض مصر .. وكانت النداءات ترمى الملك بالفساد .. وتفضح مفاسد أمه الملكة نازلى .. ووقتها كان النقراشى قبل مصرعه يفكر فى أن الدور قادم عليه إذا لم يفعل أى شىء حتى يمتص هذه الثورات الجامعة من الشعب والجيش .. ولكن قرار دخول الجيش المصرى الحرب لم يكن قادرا على النطق به من جانبه ، ولكن القرار ظل فى حالة التردد حتى كانت أوامر الملك عن طريق حيدر باشا وزير الدفاع دخول جيش مصر حرب فلسطين دون علم الوزارة ..

وكان وراء قرار الحرب من جانب الملك حكاية : كان فاروق وقتها يحلم بالزعامة العربية أمام كل الأسرة الهاشمية فى العراق وشرق الأردن .. ولذلك سبق قرار دخول الحرب من جانبه فى عام ١٩٤٦ مد جسور قوية جمعته مع الملك عبد العزيز آل سعود ، باعتبار أن هذه الرابطة عنده أقوى من أى رابطة .. وباعتبار أن الجسر السعودى المصرى المتفاهم أقوى من التفاهم مع أى دولة عربية أخرى .. ومن الطريف أن قرار الحرب من جانب الملك تم بدون علم حكومة النقراشى التى أبدت ذلك فيما بعد .. باعتبار أن أخبار الحرب سوف تطغى على أى مشكلة داخلية ..

وضاع جيش مصر .. تآمر عليه الملك .. وخانته بعض قياداته .. وقدمت له أسلحة فاسدة أفسدت الهدف النبيل الوطنى الذى كان شعاره عندما اقتحم الحدود ليحارب جيش الصهاينة .. كانت طلقة المدفع بدل أن تندفع إلى الأمام تتجه إلى الخلف وبدل أن تدمر العدو ،

قتلت الأبرياء من الضباط والجنود .. كان يدير المعركة ضابط من مصلحة السجون على رأس الجيش المصرى ـ الفريق حيدر ـ وضباط كبار ترهلت أفكارهم العسكرية .. وحاشية الملك وتجار الوطنية الذين استوردوا السلاح الفاسد .. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك كله :

* عاش الشعب على فوهة البركان .. وعاش الجيش قصة الخيانة والفساد كما عاش أيضا الاحساس المر بالهزيمة .. وبدأ المد الثورى ينمو داخل شباب الجيش من الضباط الذين عاشوا المأساة على أرض فلسطين ..

* وكان الاحساس العام أن الجيش لابد أن يسترد كرامته .. وأن الملك الفاسد لابد أن يتغير ويزول حكمه .. والأحزاب جميعا التى ابتلعت طعم الخيانة من الملك وأعوانه لم تتحرك لادانته ، بل تحركت جميعا لارضائه لاستكمال حلقات فساده التى كانت على كل لسان ..

وكان هناك جانب آخر للتطوع لخدمة القضية الوطنية المصرية بعد انكسار الجيش المصرى فى حرب فلسطين .. وهذا التطوع لم يكن لمحاربة الصهاينة ، ولكن لاعلان الحرب الشعبية على قوات الاحتلال على امتداد خط ومدن قناة السويس ، ففى ٨ أكتوبر ١٩٥١ ألقى مصطفى النحاس باشا بيانا أعلن فيه باسم شعب مصر إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتى السودان المبرمتين بين مصر وبريطانيا فى عام ١٨٩٩ .. وبكل القيم لايمكن إنكار دور حزب الوفد فى إلغاء المعاهدة .. كان عملا وطنيا وثوريا فى آن واحد .. وان كان قد تردد أن الملك كان ينوى إقالة حكومة النحاس ، وان السفير البريطانى اتفق مع الملك على هذه الاقالة .. وان كريم ثابت مستشار الملك كان على علاقة طيبة مع فؤاد سراج الدين .. وقد أخبره الملك بذلك الاتجاه من أجل هذه العلاقة ، ولكون كريم ثابت لم يكن على وئام مع السعديين .. ولذلك كله جاء التفكير فى إلغاء المعاهدة لاحراج الملك ، وكسب التأييد الشعبى الذى يضمن المزيد من البقاء للوفديين فى الحكم ..

إلغاء المعاهدة أسقط دعاوى بريطانيا التى تضمنها تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ .. كما سقطت من قبله دعوى الحماية .. لقد

سقطت معاهدة الدفاع المشترك وانكشف الغطاء الذى قام بتعرية الوجود البريطانى .. هذا الوجود الذى أصبح بعد إلغاء المعاهدة وجودا غير شرعى .. بل انه وجود يشكل اعتداء صارخا على السيادة المصرية .. كان هذا الانتصار مجرد بداية وأعقبه تصرفات وطنية إتضحت فى الآتى :

* عقد عمال منطقة فايد مؤتمرا سريا شارك فيه قرابة عشرة آلاف عامل واتخذوا قرارا بترك العمل فى معسكرات الجيش الانجليزى .. وقد تضامن خمسة آلاف عامل سودانى بالمعسكرات بالامتناع عن العمل مع الانجليز ..

* عقد سائقو القطارات اتفاقا تعاهدوا فيه على عدم التعاون مع القوات الانجليزية .

* امتنع عمال الشحن فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس عن المساهمة بأعمالهم فى خدمة قوات الاحتلال ..

* عقد عمال منطقة القرين مؤتمرا قرروا فيه الامتناع عن العمل أو تقديم أى مساعدة للانجليز ..

* وواكب ذلك كله مظاهرات صاخبة فى القاهرة والاسكندرية وداخل العديد من المدن تطالب بالسلاح لمحاربة الانجليز .. كانت المشاعر كالبركان .. وكانت الأحاسيس كالشلالات .. وكان الحماس اسطوريا يفوق أى وصف ..

وكان القرار الذى أصدرته الحكومة الوفدية بناء على اجتماع تم بين الفاعليات المصرية ذات التأثير السياسى ، وأذكر أن عبد الرحمن عزام أخبرنى أن مصطفى النحاس باشا يريد لقائى .. وقابلته ، وكانت تسبقنى مذكرة كتبتها أعرض فيها خدماتى العسكرية بالنسبة لكتائب التحرير .. وأذكر أيضا اننى أطلعت صالح حرب باشا على المذكرة ، وأنه الذى حملها إلى مصطفى النحاس وكان رسول الهادىء الطيب قبل إصدار القرار .. ولقد اشترطت أن يتعاون معى فى هذا العمل صالح حرب ، كانت فكرتى أن يعم تشكيل هذه الكتائب مصر كلها .. وليس كما رأيت كتائب من الجامعة وأخرى للاخوان وثالثة لبعض

العمال ورابعة يقودها بعض ضباط الجيش .. أريد أن يكون تشكيل الكتيبة بما يشابه قوة الأورطة العسكرية .. وكنت أرغب فى أن يتم تسليح هذه الكتائب بالسلاح الموجود داخل الجيش المصرى يشترى من التبرعات التى وصلت إلى بضعة آلاف من الجنيهات لاتكفى أبدا حاجة الكتائب .. وعندما بدأت عملى وجدت أن السلاح الموجود لايصلح أبدا للاستعمال .. كما كان ثمنه مبالغا فيه ، وبعدها اكتشفت التلاعب الشديد فى عمليات الشراء .. وكذلك اكتشفت أن فؤاد سراج الدين عين أحد الضباط من رجال البوليس بالقلم السياسى داخل أحد الكتائب ليكون عينا له علينا ، يقوم بإبلاغه بكل حركاتنا .. ولم يعجبنى ذلك فقمت بفصل كل من حامت حولهم الشبهات .

وعلى الرغم من هذه الصعاب حاولت بكل ما أملك من جهد وخبرة عسكرية تقديم المئات من المتطوعين الذين يصلحون للقتال ضد الانجليز .. ولقد وضعت ضمن خطتى ضرورة الحصول على السلاح من مخازن الذخيرة الانجليزية على امتداد مدن القناة .. ولقد تحقق لى ذلك ، ولكن لم يكن بالقدر والكمية التى نحتاج إليها .. وقمنا بأعمال باهرة زلزلت الوجود الانجليزى .. نسفنا العديد من المعسكرات .. وقطعنا امدادات الماء .. ودمرنا عشرات العربات ، وأقول لأول مرة إننا كنا نخطط ونخلط الرمال بالطعام الذى كانوا يتناولونه .. ولوثنا بعض الآبار الجوفية .. وخطفنا العشرات من الجنود السكارى .. وساهمنا فى تلغيم الكثير من أطراف معسكراتهم .. وسقط الكثير من الشهداء من عندنا .. كنت أعيش وسط المتطوعين .. أرتدى ثيابهم ، وأتناول طعامهم وكان احساسى أنها مهمة وطنية لابد من المضى فيها إلى آخر الشوط .. وكانت الكتيبة التى أشرف عليها بنفسى متجددة الرجال خلال كل فترة زمنية أقوم بزيادة عدد أفرادها ..

ومضى الوقت بسرعة .. واكتشفت أن خطتى بدأت تجد من يحاول الاقلال من فاعليتها .. لقد اتضح لى بجلاء أن حركة الكتائب التى أسندوا إلى تشكيلها فى اجتماع ضم بعض الشخصيات المعروفة بفضلها ووطنيتها واخلاصها للبلاد اتضح لى أن حركة الكتائب هذه

كانت تنظر لها الحكومة الوفدية بعين الاحتراس ، وعدم الاطمئنان .. وكانت الحكومة الوفدية ممثلة فى هذا الوقت بفؤاد سراج الدين الذى كان يحتل ويجلس على كرسى وزارة الداخلية والوزيرين عبد الفتاح حسن وعبد المجيد عبد الحق ..

وكذلك كان الملك والحاشية ينظرون نفس النظرة إلى الكتائب وكان الفريق محمد حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة هو الذى ينقل هذا الاحساس إلى الملك حتى حول الأمر إلى قلق داخل أعماق فاروق .. وقد بلغ من سوء نية الحكومة أن دست العديد من رجالها وسط الكتائب ، وأوهمت رجال الكتائب أننى أنا الذى أمرت بوجودهم ليكونوا الواسطة بينى وبين الحكومة .. لقد قاموا بأعمال تخريبية لشل حركة وفاعلية الكتائب .. وفى الوقت الذى كان يقدم فيه أفراد الكتائب أرواحهم .. كانت الحكومة تعمل على إفشال هذا العمل الوطنى ..

من الأشياء المثيرة .. أقصد بذلك أن فؤاد سراج الدين ذات مرة أعلن فى الصحف أنه أمر محمود البدينى محافظ القاهرة بتسليم كميات من السلاح إلى كتائب التحرير وأن وزارة الداخلية تقدم كافة المساعدات للكتائب .. وأنها خصصت لكل كتيبة مجموعة من الضباط ليكونوا فى خدمتها وتلبية مطالبها واحتياجاتها .. وأن البعض منهم دفعه حماسه إلى المشاركة فى الأعمال الفدائية لهذه الكتائب التى يشرف عليها الفريق عزيز المصرى ..

والحقيقة أن شيئا من هذا كله لم يحدث .. كل ماحدث بث عيون وزارة الداخلية داخل الكتائب .. ولقد راعنى أن يصل الزيف والخداع فى القضايا الوطنية ، وفى الأعمال الفدائية التى يضع صاحبها رأسه على كفيه من أجل وطنه ..

ولقد تعاون كثيرون فى هذا العمل الوطنى أذكر منهم بكل إعزاز وتقدير الضابط الطيار وجيه أباظه الذى كانت له قصص نادرة فى البطولة والبذل والعطاء والطيار حسن عزت ، وأذكر أيضا مدحت عاصم الموسيقى وكان يحضر الاجتماعات الصحفى إحسان عبد القدوس وكثيرون لاتحضرنى شخصياتهم الآن .. وقد أدت

الكتائب أدوارا رائعة فى مناطق القرين وكفر عبده والاسماعيلية .. كما أذكر أن رفيق الطرزى الوفدى - عضو مجلس النواب - قد تبرع لنا بقرابة ٣٠ ألف طلقة ..

وبمرور الوقت أحست الحكومة بمدى خطورة تسليح الكتائب باعتبارها جماعات منظمة تملك السلاح .. وجماعات منظمة تنتمى إلى العديد من التنظيمات السياسية المتباينة العقائد والأفكار والمبادىء .. وأن إحكام السيطرة عليها مهما كان شديدا وقويا فإنه يمكن أن يفقد فاعليته فى لحظة معينة تحت أى ظروف شعبية غير مستقرة ، ولقد كان يبدو جليا خطورة هذه الكتائب عند تشييع جنازات الشهداء .. وكان القرار السياسى الخطير الذى أعلنه فؤاد سراج الدين يضم الكتائب إلى الحكومة ، وأذكر أن وزير الداخلية - فؤاد سراج الدين - أعلن فى مجلس النواب أن قرار الحكومة جاء بعد أن خرجت الكتائب عن الخط الذى كان يجب أن تسير عليه ..

* ويمضى عزيز المصرى فى سرد ذكرياته :

— والحق أن الحكومة الوفدية التى كان يسيطر عليها فؤاد سراج الدين - وزير الداخلية - لم تكن تريد استمرار حرب الكتائب ليس لأنها عمل غير شرعى ولكن استمرارها ربما يكون ضد مصالحها ووجودها .. وقامت المظاهرات فى أنحاء مصر .. وقررت الأحزاب رفض قرار الكتائب إلى الحكومة ، باعتبار أن ذلك سوف يقلل من فاعليتها للأهواء السياسية .. ولقد أصدرت فى ذلك الوقت بيانا ساهم فى الكثير من الاضرابات والاضطرابات خاصة فى القاهرة بين قطاعات الطلبة والعمال :

* وكان نص البيان كالآتى :

بيان من الفريق عزيز المصرى باشا عن قرار الحكومة بشأن كتائب التحرير :

منذ احتلت القوات الانجليزية أرض الوطن ما فتىء الشعب يكافح لتطهير البلاد منه ، ولما كدت أؤمن أن السبيل إلى هذا يتركز فى ازعاجهم فى الداخل والخارج حتى يضطروا للانسحاب .. وقد بنيت

إيمانى على حقائق ثابتة فى تاريخ جميع الأمم ولكن الذين تصدوا لقيادة الشعب فى هذه الفترة رأوا غير ما رأيت ، فكان لابد أن أنتظر اللحظة التى يدعونى فيها الوطن لتأدية رسالتى .. وجاءت هذه اللحظة حيث أقدمت الحكومة الحاضرة على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنة ١٨٩٩ .. فتقدمت إليها عارضا خدماتى دون نظر إلى مركز أو وظيفة أو مرتب ، وبينما كنت أنتظر جوابها جاءتنى وفودكم واضعة أرواحها وأموالها تحت تصرف الوطن ، ولما كان الموقف يقتضى أن تتكاتف جميع قوى الدولة الشعبية والحكومية صارحت المسئولين بهذا فوجدت منهم ترحيبا وتشجيعا دفعنى وزملائى إلى وضع خطة ايجابية للحركة على أساس من الثقة والتعاون مع الحكومة ، تعاون لايحرجها ولا يقيد الشعب ..

وقد بينت للحكومة أن ما يثيره أعداء الحركة حولها من شكوك بحجة حماية البلاد من استخدامها لأغراض سياسية ، أو اندساس بعض ما يسمونه بالأشرار والخطرين بين أفراد الكتائب لا محل له إذ أن طبيعة التعاون معها يمكنها من معرفة كل خطى الحركة ، والقائمين عليها ، وهذا يمنع أى إنحراف تخشاه .. وبرغم ذلك فوجئنا بقرار الحكومة بتدريب الشباب عسكريا وتموينهم فكأنها اعتبرتها جزءا من الجيش العامل ومتى وجهتهم فى حرب ضد الانجليز تكون قد أعلنت حربا رسمية على انجلترا : فإن كان هذا غرضها فليس لنا أن نناقش صواب هذا القرار أو خطأه .. أما إذا كانت فى حاجة إلى كفاح شعبى يؤيد سياستها الخارجية فلها فيما عملته حكومة الصين فى كوريا قدوة وأسوة ، إذ أنها ليست فى حرب رسمية مع قوات الأمم المتحدة فى الوقت الذى تدفع فيه المتطوعين وتمدهم بالمال والعتاد ..

كما أن هذا القرار لم يتعرض لمصير الشباب الذين هجروا أعمالهم واتجهوا للميدان ، هل يبقون بغير سلاح أو ذخيرة ؟ .. هل يعودون تاركين الغاصب يعتدى على الحق والقانون مجردا من أى معنى انسانى ؟ فضلا عن أى تعليق العمل على أجل فى وقت لايحتمل التسويف أمام عدو سريع القرار والتنفيذ .. وذلك يبين أن الحكومة لم

تنظر إلى المقاومة الشعبية نظرة جدية .. ومطالبتها بإرسال التبرعات إلى رئاسة مجلس الوزراء يتنافى مع القانون ، فهذه الأموال ليست ملكا لنا ، وإنما وديعة أمامنا ننفقها فى الأغراض التى حددها أصحابها ولاتخفى على أحد .. فإذا أصرت على وجهة نظرها فسأرد هذه الأموال إلى أصحابها كاملة ، أما ما صرف منها على الحركة حتى الآن فسيتحملها القائمون عليها ..

هذه أيها المواطنون كلمتى ، وتلك أيها الزملاء الاعزاء وجهة نظرى بمناسبة قرار الحكومة الأخير ، والكلمة الآن للشعب فهو مصدر السلطات ، وكلمة الشعب هى العليا ..

* والسؤال الآن : ماذا كان رد فعل الانجليز تجاه القوة والملحمة الوطنية التى قامت بها الكتائب على أكمل وجه ؟

* يقول عزيز المصرى :

ــ وضح من سياسات الاحتلال بعد نشاط عمل الكتائب الذى كان أكثر من رائع .. أنه سبب الرعب لجنود الاحتلال الذين كانوا يتساقطون فى المعارك ويتم أسرهم من الشوارع وهم مخمورون .. وضح تماما عندما قابلوا العنف بالعنف عندما نزلت القوات الانجليزية إلى مدن القناة بشكل سافر .. وأخذت تجوب الشوارع .. وتعتقل المواطنين .. ووصل بهم الأمر إلى احتلال العديد من المكاتب الحكومية كالجمارك والجوازات ، واستولوا على كوبرى الفردان ، ووضعوا مدن القناة فى ظل الأحكام العرفية العسكرية وتقدموا إلى منافذ المدن والقرى المحيطة بها على أمل السيطرة على معسكرات الفدائيين والقبض على أفرادها .. وخرجت المظاهرات لتسود مدن القناة وأطلق الانجليز الرصاص على الأهالى .. وسقط العشرات من المصريين شهداء الغطرسة الانجليزية .. وأطلقت الأعيرة النارية على قوات البوليس وأطلقت النيران على محافظة الاسماعيلية وتزايد أعداد الشهداء وسقط العشرات من جنود الاحتلال صرعى من رصاص الأهالى والفدائيين .. وفى السويس حوصرت قرية كفر أحمد عبده ـ منطقة على أطراف المدينة ـ وتم نسف الحى بأكمله ..

وعاش الانجليز الرعب بشكل مستمر .. وصدرت الأوامر للجنود الانجليز بالخروج فى تجمعات بعد حوادث الخطف الكثيرة .. وبدت منطقة القناة وكأنها ساحة حرب طرفها الأول الكتائب والثانى قوات الاحتلال .. وفى الخامس والعشرين من يناير ١٩٥٢ فرض الانجليز الحصار على مبنى محافظة الاسماعيلية ـ وكالة المحافظة ـ وطلبت انسحاب جنود بلوكات نظام الاقاليم من مبانيها الادارية التى تقيم فيها .. ثم دارت معركة غير متكافئة بين رجال الشرطة بأسلحتهم القديمة وذخيرتهم المحدودة وبين الجيش الذى كان يحاصر المكان بالمدافع والدبابات ، وسقط أكثر من ٤٥ جنديا صرعى بخلاف عشرات الجرحى .. وكان ماحدث سبة على جبين الاحتلال ، وكان يقود القوات من الشرطة اليوزباشى مصطفى رفعت وأحمد فؤاد الدالى .. لقد قاتلا مع جنودهما حتى آخر طلقة ..

وفى صباح اليوم التالى الموافق ٢٦ يناير ١٩٥٢ خرج جنود بلوكات نظام الأقاليم من ثكناتهم فى منطقة الدراسة بالقاهرة فى حالة احتجاج على ماحدث لزملائهم بالاسماعيلية وسارت المظاهرة تخترق شوارع القاهرة ، ثم ذهبت إلى جامعة القاهرة .. وتحمس الطلاب لحماس جنود بلوكات نظام الاقاليم وتحركت مظاهرة جماعية كبيرة عائدة الى وسط المدينة ، ومن الغريب أن شهود عيان أكدوا أن بعض صغار الضباط كانوا يقودون هذه المظاهرات بشكل ايجابى .. وكانوا يلهبون مشاعر الجنود والطلاب .. وتلك نقطة مازالت تحتاج إلى ايضاح .. بمعنى أنه : من كان وراء هؤلاء الضباط الصغار فى قيادة هذه المظاهرات ؟ ومن الذى أثار حماس جنود بلوكات النظام ليخرجوا فى هذه المظاهرات العارمة التى لم تتدخل أى قوات من البوليس لتفريقها ؟ .. بل يمكن القول إن قيادات البوليس لو كانت جادة لأمكنها السيطرة عليها فى وقت قصير ..

المثير أيضا أن هذه المظاهرات عند عودتها أشعلت النيران فى المحلات ودور السينما والفنادق وحولت منطقة وسط القاهرة إلى شعلة من النيران ..

* يقول عزيز المصرى :
— مازلت مؤمنا حتى الآن أن الذى دبر لهذا الحريق هم الانجليز والملك .. لقد كانت مصلحة كل طرف هى المؤشر إلى إرتكاب هذه الجريمة .. جريمة الحريق للأسباب التالية :
* كانت شعبية الملك تساوى صفرا وأقل من ذلك بكثير .. وفى المقابل كانت قرارات حكومة الوفد تتم لمسايرة المد الشعبى الوطنى خوفا من هدير المظاهرات التى كان يعلو صوتها يوما بعد آخر .. وكذلك كان الملك يخشى عدم السيطرة من القصر على الأحوال السياسية الأمر الذى يمكن أن يهدد وجود واستمرار الملكية ..
* ان الانجليز كان من مصلحتهم إزاحة حكومة الوفد التى فقدوا السيطرة عليها بنسبة كبيرة جدا .. وقد وضح ذلك فى المد الثورى النضالى لكتائب التحرير فى بداية عنفوانها .. ثم فى الكثير من العمليات الفدائية التى كانت تتم بالرغم من صدور قرار الحكومة بضمها - الكتائب - إليها ..
* انه لابد من مجىء حكومة جديدة .. ولابد أن تعيش مصر فى ظل الأحكام العرفية حتى تحكم بيد من حديد .. وبذلك يستفيد الانجليز بتجميد النشاط الفدائى .. والملك بحكومة يسيطر عليها .. وفى رأيى القاطع أن حريق القاهرة دبر من أجل تحقيق هذين السببين الرئيسيين من الملك والانجليز .. ولقد أثبتت الأحداث انه طلب نزول قوات الجيش بعد أن فقدت وزارة الداخلية السيطرة على رجال الشرطة .. ولم تحقق قيادات الجيش لحكومة الوفد مطلبها فى نزول قوات الجيش إلا بعد أن تحولت مناطق وسط القاهرة إلى أنقاض محترقة ..
وأقيلت وزارة الوفد ..
وجاء على ماهر باشا رئيسا للوزارة .. وعين مرتضى المراغى وزيرا للداخلية .. وكان الأخير من رجال القصر .. وقام بتنفيذ كل مطالب الملك فى اجهاض حركة الكتائب ، وفتح المعتقلات التى دخلها الآلاف من المواطنين والفدائيين ..
ان حريق القاهرة كان بداية لضرب الوطنية المصرية واجهاض

حركتها وفاعليتها ونشاطها .. وعاشت مصر فى ظل الأحكام العرفية .. وفى ظل أكثر من وزارة وصل عددها إلى قرابة أربع وزارات كلها منيت بالفشل .. حتى كان بركان مصر الثائر فى ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

كان ارتباطى بالضباط الأحرار فى الجيش المصرى المحطة الأخيرة من حياتى العسكرية والسياسية .. كانت المرحلة الأولى مشوار حياتى حتى حصولى على البكالوريا .. وكانت المرحلة الثانية ارتباطى بالعسكرية الألمانية طوال دراستى فى الكلية الحربية وكلية أركان حرب .. والمرحلة الثالثة خوض غمار المعارك ضد الثورات الشعبية فى القطاع الأوربى الغربى الذى كانت تمثله مناطق بلغاريا واليونان وقطاعات من يوغوسلافيا الآن .. وكانت تعتبر المدرسة التى تعلمت فيها فنون الحرب خاصة حرب العصابات .. والمرحلة الرابعة تلك الصحوة التى تبلورت فى أعماقى وفكرى حول مفهوم جديد للقومية العربية ونشوء ما يسمى باللامركزية فى نظام حكم البلاد العربية مع تبعية للدولة العثمانية فى توحيد الخلافة والسياسة الخارجية وقيادة الجيوش .. ثم ما لبثت أن تطورت بالاستقلال التام لكل دولة عربية .. وكانت المرحلة الخامسة الحملة على اليمن ثم مشاركتى فى الحملة العثمانية إلى ليبيا لمحاربة الاحتلال الايطالى .. وكانت السادسة مرحلة النفى إلى أسبانيا التى قضيت قرابة ثمانى سنوات فى الخارج ..

وكانت السابعة فترة بقائى فى مصر وتقلدى لعدة مناصب ثم خروجى واحتكاكى مع الأحزاب دون استثناء ومعايشتى لجميع الجمعيات السرية .. وكان قرارى بالتجربة أن الأحزاب أفسدت الجو السياسى فى مصر ، وانحرفت عن الطريق الصحيح لخدمة وتحقيق أهداف شعب مصر .. وكانت المرحلة الثامنة والأخيرة مرحلة ارتباطى بالضباط الأحرار فى الجيش المصرى وسطوع نجم الأمل من جديد فى ثورة تحقق الجلاء والاستقلال الكامل والحرية والديمقراطية والبحث عن صيغة شاملة لتحقيق دولة مصرية عصرية تعوض مافات وترسم معالم مجتمع جديد ..

ومن خلال هذا النسيج المتين يمكن أن تقود إلى اتحاد شامل لدول

العربية فى السياسات الخارجية والعسكرية والاقتصادية والزراعية .. وهذا فى رأيى قدر مصر .. وأيضا قدر جميع الدول العربية لخلق كيان عربى يحتفظ لكل دولة بكيانها ونظام حكمها .. وأيضا أن يكون ارتباط هذا الكيان بالقوى العالمية أو التكتلات السياسية العالمية أو التكتلات الاقتصادية .. أن يكون ارتباط الكيان العربى مع هذه القوى مجتمعة أو منفردة على أساس تبادل المصالح المشتركة وسياسة الند للند دون تغلب الارتباط بكيان أو قوة عظمى على حساب الأخرى ..

تلك هى بداية حديث مشوار عزيز المصرى عن علاقته بالضباط الأحرار .

* ويمضى قائلا :

ــــ لاشك هناك بداية ..

كانت البداية تتمثل فى السؤال التالى :

كيف نما الحس الوطنى لدى الضباط الأحرار فى الجيش المصرى ؟ ..

والجواب على لسان عزيز المصرى وهو يشرح فى ايجاز هذه البداية قائلا :

ــــ لاشك أن البداية كانت فى تواجد أو التحاق الشباب المصرى من أبناء الطبقات المتوسطة والشعبية فى الجيش المصرى .. وعندما التحقت بالجيش المصرى لأعمل مفتشا عاما ثم رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ،كانت طلائع هذه الشباب تعمل فى رتب الملازم والملازم أول .. ولايمكن إنكار دور الوفد الذى فتح أمام الشباب المصرى هذا الباب بعد أن كان مقصورا على أبناء طبقة أو مجموعة من الطبقات بعيدة تماما عن الاحساس أو إدراك الظروف التى تعيشها الطبقات الشعبية .

لقد غيرت الكثير من المفاهيم العسكرية سواء فى إدخال علوم عسكرية معاصرة أو فى معايشة الضباط والجنود داخل معسكراتهم .. كانت هناك حلقات نقاش وكانت هناك تدريبات شاقة .. وكان هناك أيضا لقاء شريف بين القائد ورجاله وكذلك كانت هناك مطالب بمزيد

من السلاح وكراهة الانجليز ورفض الأسلوب التقليدى للقيادات العسكرية والمطالبة برحيل البعثة الانجليزية داخل الجيش .. كانت تلك الأشياء مجتمعة هى البذرة أو نواة الضباط الأحرار .. وتحولت هذه البذرة إلى نبت صغير ثم إلى عود أخضر بعد حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ .. واحساس هذا الشباب بالاهانة بفرض النحاس رئيسا للوزارة بعد حصار الدبابات والجنود الانجليز لقصر فاروق .. ولأن هذا الشباب من صميم الشعب أحسوا وانفعلوا بدور الأحزاب الذى افتقر إلى الوطنية ثم تبع ذلك كارثة حرب فلسطين .. وقضايا الأسلحة الفاسدة .. وكان هناك أيضا الاحساس بالاهانة للعسكرية المصرية التى لم تحقق أهدافها فى تلك المعركة ويكفى ما قاله البطل أحمد عبد العزيز لكمال الدين حسين :

— أن المعركة الحقيقية فى مصر ويقصد الفساد .. ثم كانت حرب كتائب التحرير التى نزلوا إلى ساحتها وشارك البعض فيها من منطلق وطنى .. وكان الكثير منهم يقوم بالتدريب مثل جمال عبد الناصر وأنور السادات وصلاح سالم وكمال الدين حسين .. وكان هناك من رجال الأحرار غير أعضاء مجلس قيادة الثورة وجيه أباظه وكمال رفعت وعبد المنعم عبد الرؤوف .. ثم كان حريق القاهرة الذى كان السهم الأخير الذى أطلقه الانجليز والملك والأحزاب لخراب مصر .. فكان النهاية لهذا الثالوث الفاسد فى مصر .. لقد كان ذلك كله الوقود الساخن الملتهب الذى ساعد على نضج وبلورة تنظيم الضباط الأحرار داخل الجيش المصرى ..

* يقول الفريق عزيز المصرى وهو يمضى فى الحديث عن الضباط الأحرار :

— كان أنور السادات أول من إلتقيت به من الضباط الأحرار .. كنت أثنى على همته ونشاطه وأيضا حيويته عندما كنت أزور وحدات الجيش .. وبدأت صورته تتضح أكثر أمام عينى من خلال زياراته لى فى بيتى فى فترات متباعدة خاصة فى المواسم والأعياد .. وكنت أعتبره ضمن شباب مصر الذين كانوا يحضرون إلى بيتى للحديث بشكل عام فى

أمور السياسة والسياسيين المصريين .. ثم إلتقيت به أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان بناء على استدعاء منى له فى منزلى ثم مخاطبته فى شأن الكشف عن جهاز اللاسلكى الذى كان فى حوزة رجل المخابرات الألمانى أبلر والذى كان معطلا عن العمل لاصلاحه ، وقد أفادنى بأن الجهاز سليم .. ثم جاء إلى منزلى وطلب حمل الجهاز الأمريكى الآخر إلى بيته ليرى كيفية إدارته ، وقد ساعده فى ذلك الأستاذ عبد المغنى سعيد الذى كان ضمن الفريق المصرى الذى يتحمس للألمان ضمن الشعور العام الذى كان سائدا فى مصر فى ذلك الوقت ، ذلك كله كان يتم فى اطار الجبهة والشعور العام بكراهية الانجليز وحب الألمان ..

* يقول عزيز المصرى :

— كانت شخصية أنور السادات حتى ذلك الوقت حماسية ووطنية .. يرفض الانجليز ويطالب بالجلاء .. ودخل من هذا المفهوم فى مغامرات كثيرة وقبض عليه أكثر من مرة مثلى تماما .. وأيضا خلال هذه الفترة لم يتفوه بأى حديث حول وجود تنظيم للضباط الأحرار .. وان كنا نتلقى ونقرأ العديد من المنشورات ضد الانجليز والملك والأحزاب .. وكان الاعتقاد السائد أن هناك جماعات من الشباب داخل الجيش ترفض الأوضاع السياسية وتصدر المنشورات ولكن وجودها كان لايرقى إلى درجة التنظيم الشامل .. وفى نفس الوقت كان هناك تنظيم من شباب الجيش من الضباط ولكنه كان يتبع الأخوان المسلمين ، أو هو بحق من الاخوان المسلمين .. وكنت أعلم أن عبد المنعم عبد الرؤوف ضمن قياداته العليا .. أما اللقاء الذى تم بينى وبين أنور السادات فى عيادة الدكتور ابراهيم حسن وكيل جمعية الأخوان المسلمين ، وكانت هذه العيادة تقع فى حى السيدة زينب .. هذا اللقاء أراده المرحوم حسن البنا أن يتم فى حضور الدكتور ابراهيم حسن بعيدا عنه ، لأنه ـ حسن البنا ـ كان يريد أن يعلن عن طريقى بعد لقائى مع أنور السادات هذه الحقائق :

* حقيقة الدور الذى يلعبه أنور السادات لأنه كان قد شاع أنه يدخل ضمن تنظيم الحرس الحديدى الذى كان يديره القصر لصالح

الملك ..

* انه طلب من أنور السادات عن طريق عبد المنعم عبد الرؤوف ومنه شخصيا أن ينضم إلى جماعة الأخوان المسملين فرفض بأسلوب دبلوماسى ..

* ان حسن البنا وهذه نقطة هامة جدا كان يريد أن يعرف حقيقة وحجم وعدد الضباط فى تنظيم الضباط الأحرار حتى يستطيع تقييم دوره وأهميته بالمقابل لعدد الضباط من الاخوان المسلمين ..

* وكان هدف المرحوم حسن البنا ايجاد الوسيلة لمعرفة أسماء بعض قياداته بخلاف أنور السادات لامكان احتوائها تحت مظلة الاخوان ..

* يقول عزيز المصرى :

— وإذا كان حسن البنا فى شوق لمعرفة ما يريد .. فكدت أيضا أحمل نفس الشوق للقاء أنور السادات باعتباره ـ هذه المرة ـ عنصرا ثوريا ضمن اطار تنظيمى داخل الجيش .. بل أقول إننى كنت مؤمنا تماما أنه رسول مجموعات شابة تريد الخلاص من الفساد .. وأذكر أننى لم ألق عليه أى سؤال : من أنتم ؟ وماهى هويتكم ؟ وماهى أسماء أعضاء التنظيم ؟ ولكنه قال لى :

— نحن أبناء لك يا باشا .. لأنك الذى بثثت فينا الحماس ومعرفة الطريق الصحيح للخلاص من الفساد ..

* وقلت له :

— لن أسألك من معك ؟ ولن أقول لك ماذا تفعلون ؟ ولكن على بركة الله ما تعملون وما تخططون وما تدبرون من أجل خلاص مصر من أبطال اللعبة السياسية القذرة .. وقلت له أيضا : لقد حقق نابليون بونابرت ما حققه وهو فى سن السابعة والعشرين .. لقد اعتمد على نفسه .. ومن هنا يجب أن تعتمدوا على أنفسكم .. وتأكدوا أن الله معكم ما دمتم قد اتجهتم إليه ، ومن يتجه إلى الله بنية خالصة ، ومن خلال عمل مخلص أساسه الايمان العميق بالتغيير فلن يتخلى الله سبحانه وتعالى عنكم ، لأن يد الله مع الجماعة .. ولقد أخبرنى أنور السادات فيما بعد بما هو هام جدا .. قال لى :

— لقد أخبرنى الشيخ حسن البنا .. أنك تريدنى لأمر هام .. وعندما سمعت حديثك معى تأكدت لصلتك القوية بمرشد الاخوان أنه يريد معرفة الكثير عن التنظيم الذى أنا عضو فيه داخل الجيش لأنه طلب منى أكثر من مرة الانضمام إلى الاخوان المسملين .. ولقد شعرت أنك تريد معرفة الكثير من التنظيم ولكنك من خلال كبريائك رفضت حتى أخبرتك أنا بذلك .. وما أردت أن أعطيك تفصيلات أمام الدكتور ابراهيم حسن وكيل جمعية الاخوان المسلمين لأنه سينقل كل الحوار إلى الشيخ حسن البنا .. وقال لى السادات أيضا :

— هناك تنظيم جديد شامل غير تنظيم جماعة الاخوان المسلمين ، وسوف نتحدث عنه الكثير فى المرات القادمة ..

* وقلت لأنور السادات :

— ولكن من فى اعتقادك أبلغ المرحوم حسن البنا بخلاف بعض منشوراتكم ؟

قال لى :

— عبد المنعم عبد الرؤوف يحاول معرفة الكثير من التنظيم علما بأنه فى تنظيم الاخوان .. وهناك اتجاه لدينا لضمه إلينا حتى نعرف الكثير عن تنظيمات الاخوان داخل الجيش .. وأن حدث لا أدرى كيف سيوفق بين ولائه لجماعة الاخوان المسلمين وبين الولاء لتنظيم الضباط الأحرار .. وبعدها تكررت لقاءاتى مع أنور السادات .. كذلك لم يحصل منى المرحوم حسن البنا على جواب من وجود تنظيم الضباط الأحرار سوى قولى له :

— التنظيم موجود ..

ومرت عدة أسابيع ..

وتقابلت مع أنور السادات ..

أخبرنى أنه رجع إلى التنظيم ، وتم الاتفاق على أنه من الضرورى وجود قاعدة شعبية تساند العمل العسكرى .. وأن هذه القاعدة لن تتوافر بالشكل المطلوب وبالكثافة التى نرجوها إلا من خلال الاخوان المسلمين .. وكان المنطلق إلى ذلك :

* التنظيمات القوية التى تربط أفراد الجماعة على مستوى مصر كلها فى المدن والقرى ..

* الحماس الدينى الذى يمكن أن يلهب المشاعر ويساعد على إلتحام الشعب مع الجيش عند الضرورة ..

* يقول عزيز المصرى :

— لقد أخبرت حسن البنا بوجود التنظيم الخاص بنا .. وطلب منى حسن البنا ـ والحديث لأنور السادات ـ أنه من الضرورى ايجاد قاعدة أو حد أدنى من التفاهم بين تنظيم الضباط الأحرار وبين تنظيم الضباط من الاخوان .. وأيضا كنا نحن مجهولين كأفراد بالنسبة لحسن البنا ..

أمام هذه الصورة .. أحسست بالقلق الشديد .. انتابنى خوف بأن هناك صداما وشيك الوقوع بين التنظيمين .. لأن كل فريق سيعمل على ابتلاع الآخر وإذا حدث أى صدام هنا ستقع الكارثة .. ولكنى شعرت ببعض الارتياح عندما أخبرنى السادات ، أنه تم اختيار عبد المنعم عبد الرؤوف ليكون حلقة الاتصال بين التنظيمين. وأذكر أننى عندما تقابلت مع المرحوم حسن البنا بعد ذلك طلبت منه التعاون دون أدنى حساسيات .. وأن المصلحة العليا يجب أن تكون من أجل مصر التى تحتاج إلى تضافر القوى الوطنية فى الجيش والاخوان .. وأذكر انه قال لى :

— إن شاء الله لن يكون هناك إلا الخير .. وأنا مؤمن مثلك أن أى فرقة أو خلاف سوف يطيح بالجميع .. لا فرق بين تنظيم وآخر ..

وأذكر اننى إلتقيت أيضا مع عبد المنعم عبد الرؤوف وقلت له :

— اننى أعلم تماما ومقدما حماسك الشديد للاخوان .. تلك قضيتك ولكننى أرجو أن تراعى الله ومصلحة الوطن قبل أى اعتبار آخر لأننى أخشى الخلاف الذى يمكن أن يقضى على الجميع ، وتلك هى الكارثة ..

وتطورت الأحداث ..

وشاركنى أنور السادات وعبد المنعم عبد الرؤوف فى خطة مغادرة

مصر الأولى التى لم يرض عنها الألمان والثانية التى تعطلت فيها السيارة فى طريق الواحات البحرية وكان معى عبد المنعم والثالثة التى سقطت فيها الطائرة فى قلنيوب وكان معى فيها حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

وكانت تطورات الجاسوس الألمانى ابلر ثم القبض عليه .. والتحقيق معه الذى لايرقى إلى درجة الاعتقال .. وكذلك تم القبض على أنور السادات ومحاكمته وطرده من الجيش .. ثم جاءت واقعة هروبه التى فتر خلالها نشاطه السياسى .. وأذكر أنه إلتقى بى فى المنزل مرات عديدة كان يأتينى خلالها متخفيا .. وأقول بحق أنه كان يجيد اجادة تامة التنكر فى شخصيات أولاد البلد وكان لونه اسمر يساعده على التخفى خاصة عندما حلق شاربه الذى كان من مميزات شخصيته .. وفى إحدى المرات قلت له :

— لولا أنى اعرفك مناضلا .. لقلت لك على الفور أن تحترف التمثيل فأنت قادر بدهاء على أن تتلون مع الشخصية التى تتخفى فيها فى اتقان بارع سواء من حيث الشكل أو المضمون ..

ومرت فترة طويلة دون لقاءات ..

لامن جانب أنور السادات ..

ولا من جانب أى تنظيم آخر ..

حتى جاء اللقاء مع جمال عبد الناصر الذى كانت بدايته مثيرة وغريبة .. وهى بدون شك تستحق التسجيل .. لأنها مازالت محفورة فى مخيلتى وذكرياتى كأنها وقعت بالأمس ..

عرفت جمال عبد الناصر بشخصيته المناضلة من خلال موقف طريف .. موقف يبعث على الدهشة والضحك فى آن واحد .. كانت خادمتى زينب خير الله على وشك أن تصطدم به فى معركة سلاحها عصا طويلة غليظة ـ شومة ـ أمسكت بها واوشكت أن تهوى بها على مقدمة كتفه وظهره ، ولو تدخل القدر لتمت المعركة .. وتم ضرب عبد الناصر علقة ساخنة فى بيتى الذى حضر إليه لأول مرة زائرا ليرانى وأراه .. ليجلس معى فى أول حديث منظم ومرتب حول تنظيم الضباط الأحرار ..

وأذكر أنه قال لزينب فى إحدى زياراته بعد الثورة وكان مازال رئيسا للوزراء :

— ياترى يا ست زينب ماذا كان سيقال ويسجله التاريخ لو أنك قمت فعلا بضربى بالعصا ؟ كانوا سيقولون : ضربت زينب عبد الناصر بالعصا فى بيت عزيز المصرى ..

يومها ضحكنا حتى نفرت عروق وجوهنا .. وكان من الحاضرين محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأنور السادات وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم ..

يقول عزيز المصرى :

— نعود إلى حكاية زينب ..

— لقد حمدت الله وشكرته أن المعركة بين زينب وعبد الناصر بدأت ساخنة ثم ما لبثت أن هدأت تماما عندما ظهرت فى الوقت المناسب لأمنع الأستمرار فى تقصير الموقف .. وأقوم بفض الاشتباك .. وهذه هى الحكاية بالتفصيل :

ذات مساء كنت أجلس فى حجرتى بمنزلى فى عزبة النخل بمنطقة عين شمس وجاءت إلىّ زينب تطرق الباب فى هدوء تستأذن فى الدخول وأخبرتنى أن هناك مجموعة من الشباب يرتدون الملابس المدنية يرغبون فى لقائى والجلوس معى خاصة بعد اغتيال أحمد ماهر وأمين عثمان والنقراشى .. وكان منزلى لايخلو أبدا من مراقبة رجال القلم السياسى .. ولكن فى بعض الأحيان كانت حدة هذه المراقبة تقل وتخف .. وتتحول إلى مجرد المرور لساعة أو أكثر ثم لا تلبث أن تزول .. فى هذا المساء كنت متعبا ، وأحس بالارهاق .. ومن هنا كان قرارى أن أجلس وحدى ولا أقابل أى زائر ، إلا إذا كانوا من رجال البوليس ومعهم أمر بالقبض على والذهاب بى إلى السجن للتحقيق فى أى شىء .. هنا لن أقول : لا ..

قلت لزينب وهى تنتظر الاجابة منى على مقابلة الشباب :

— انتى متعب .. أرجو أن تقدمى لهم على الفور اعتذارى لتوعكى .

وخرجت زينب وأغلقت الباب وراءها .. وبعد دقيقة وربما أكثر سمعت

صوتا عاليا .. سمعت صوت زينب الهادىء ـ وكان ذلك طبعها ـ قويا هادرا يطلب من الزائرين الانصراف والحضور فى وقت آخر لأن حالتى الصحية غير جيدة .. ثم ساد الصمت بعض الوقت وبعدها سمعت صوتها مرتفعا تنادى الطباخ لاحضار عصا غليظة وزادت الضوضاء فى ردهة المنزل .. وأقدام كثيرة تتحرك ، وتصطدم بأرضية الصالة .. وخرجت لاستطلاع الأمر .. وعندما فتحت باب حجرتى ، وتقدمت بضع خطوات داخل الصالة .. وجدت زينب تمسك بالعصا وتتجه نحو شاب طويل أسمر تنوى الاعتداء عليه بشراسة .. طلبت منها فى دهشة تامة تفسيرا لما أراه أمامى وتقدم الشاب الطويل الأسمر خطوة إلى الأمام .. ثم خطوة أخرى ، وكان الخجل باديا على وجهه وقال :

— نأسف لما حدث .. نحن أولادك ياباشا .. نحن تلاميذك ياسيادة الفريق نأسف لما حدث مرة أخرى.. نحن نعرف تاريخك ومواقفك جئنا لنجلس معك ، بل نحن فى شوق لأن نجلس معك .. نحن من ضباط الجيش كان من المفروض أن يسبقنا إليك أنور السادات حتى يعرفك بقدومنا ، ولكن للأسف لم نجده هنا ليقدمنا إليك .. وأجزم أنه فى الطريق إلينا الآن ..

وأمام هذه الكلمات سقطت منى أى حجة للاعتذار وعدم الجلوس معهم وأقول الحق أننى نسيت تعبى كله .. وتقلصت بداخلى جميع همومى الشخصية وشعرت بالانتعاش .. واحسست بالحيوية تسرى فى جسدى كله .. ونسيت كل شىء وأنا أدعوهم إلى الجلوس .. تأسفت لهم لسوء التفاهم .. وضحكت من أعماقى لأن زينب كانت جادة وحاسمة فى القرار الذى اتخذته بضرب الشاب الأسمر الطويل الذى كان يسطع من عينيه بريق يدل على الذكاء والفطنة .. وهذا الشاب الأسمر لم يكن سوى جمال عبد الناصر ..

قال لى :

— أنا جمال عبد الناصر ..

ولا أذكر من الأسماء سوى عبد الحكيم عامر وجمال سالم ، وربما حسن ابراهيم .. أقول بحق اننى كنت أمام ثورة جامحة رافضة لجميع

الأوضاع السياسية فى مصر .. كل واحد من الحاضرين كان يتحدث وفى أعماقه جبل من الهموم والألم والرغبة فى التغيير .. وذكرنى ذلك كله بحماسى واندفاعى أيام شبابى كانت أحاديثهم تقطر مرارة .. وعندما تحدث جمال عبد الناصر عن أحوال مصر .. وفساد الملك واستغلال الحاشية لهذه الظروف لمصالحنا وتحقيق أهدافها الشخصية .. كان جسده يهتز ، ويداه تلوحان فى عصبية زائدة خاصة عندما انحدر بحديثه تجاه الاحتلال الذى جثم على صدر مصر ينهش خيراتها .. ويوجه سياستها وحاكمها الأول فاروق .. تنوع الحديث وتشعب فى أكثر من اتجاه .. عن أحوال الفلاحين وسوء حالهم واستغلالهم من الاقطاعيين .. وإلى العمال الذين لم تكن تحكمهم قوانين عادلة لتضمن حياتهم وتكافىء جهدهم الذى يبذلونه وتحدث عن الرجعية والأحزاب والخيانة فى فلسطين .. وفى ذات المساء قال لى جمال عبد الناصر :

— ان الجيش المصرى لاحول له ولا قوة .. لاسلاح ولا تدريب .. بل انه لقمة سائغة فى فم الملك يحركه ويتحرك به كما يشاء .. ويساعده فى ذلك الفريق حيدر ومجموعة من اللواءات الجهلة التى تنفذ رغبات الملك وحيدر ، أن الجيش لايجيد إلا السير فى الاحتفال بالمحمل الشريف الذى يحمل كسوة الكعبة إلى الأراضى المقدسة فى السعودية .. أيضا هناك اسرائيل .. دولة باغية معتدية وشرسة زرعتها انجلترا وسط الجسد العربى لتكون شوكة تدمى بها أجسادنا وظهورنا وتدحر نهضتها وتساعد على كبوتنا .. وإذا استمر حالنا على ماهو عليه فمن المعقول أن تبتلع حدود الدول المجاورة لها ومنها مصر .. وتدوس على تراب وطننا خطوة وراء الأخرى .. اننا كضباط نستشعر ونستوعب تماما ذلك الخطر .. وهذا الخطر يجب أن يظل دائما بداخلنا .. يشغلنا ساعة وراء الأخرى .. ودقيقة وراء دقيقة حتى نستعد ونتسلح بما يجب أن نتسلح به من سلاح مناسب للزمان والمكان ..

وقال جمال عبد الناصر ضمن ماقال :

— ان ذلك كله لن يتم إلا إذا تغيرت أحوال مصر .. وتغيرت كل السلطة فى جميع القطاعات .. ان الثورة هى الأمل .. ثورة داخل

الشعب وأخرى داخل الجيش ونرجو الله أن يوفقنا فى هذا النضال الشريف ..

يقول عزيز المصرى :

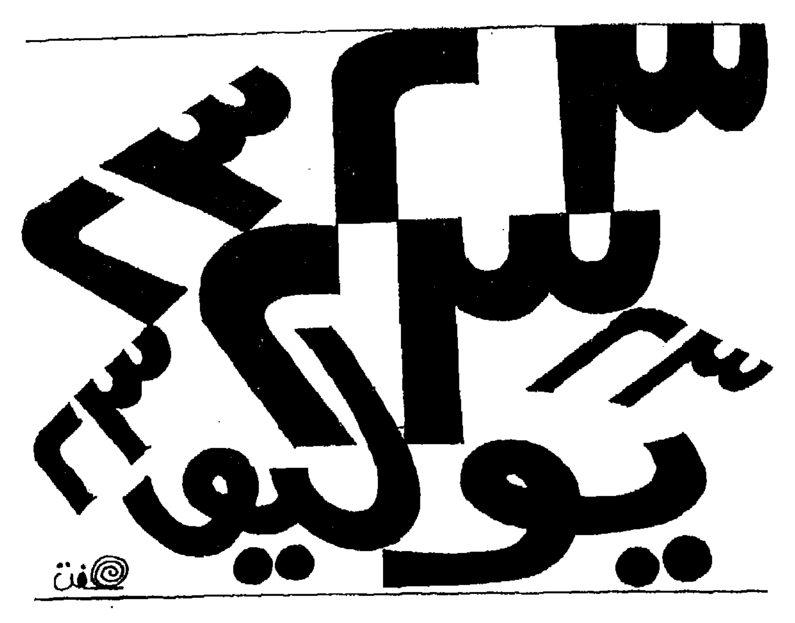
— كان الجلوس مع جمال عبد الناصر .. ومع الزملاء من ضباط الجيش يعطينى الاحساس بالدفء العاطفى .. والراحة العقلية واسترخاء النفس المصحوب بالاعجاب .. كنت أحس بامتزاج ثورتى داخل ثورتهم .. شعرت تماما أننا شخص واحد وكيان واحد .. وأيضا فكر وعقيدة واحدة .. ولقد كنت فى بعض الأحيان أتعجب لصمتى وأنا أستمع إليه وإلى ثورتهم .. وكان تساؤلى :

كيف أظل صامتا أنا الذى دائما أقود دفة أى حديث مع الشباب ، ولكننى هذه المرة ، وفى المرات التالية .. كنت أحس أن حماسى هو حماسهم .. ورغبتى فى التغيير هى رغبتهم .. وكان على السكوت .. ان أصمت حتى أترك شلال أفكارهم ينحدر من أعماقهم الثائرة إلى أفواههم .. إلى كلماتهم الساخنة الملتهبة التى كانت تختلط مع آمال شيخوختى التى تجسدت لى فى أشخاصهم بشكل كان يرضينى ويشبع طموحى فى أن التغيير قادم لا محالة ما دام أمامى أمثال هؤلاء الرجال ..

كانت أمسية لاتنسى :

وكأنى بعد هذه الساعات قد عدت شابا .. عروقى نافرة وقلبى ينسج الأمل فى المستقبل .. وعقلى مستريح لما أراه أمامى من أن شباب مصر .. ضباط مصر بخير ..

الفصل التاسع



« عبد الناصر كان وطنيا ولكن بمواصفات خاصة »

* الفريق حيدر كان عينى على الملك فاروق داخل الجيش .
* رفضت قيادة الثورة وفضلت ان اكون الأب الروحى لها .
* طلبت السلاح السوفياتى وتفاوضت لبحث التعاون العسكرى .
* الحياة فى الاتحاد السوفيتى لم تكن تناسبنى ابدا .
* تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للجيش أكبر اخطاء الثورة .
* فشل الوحدة مع سوريا كان ضارا بمصر وعبد الناصر .

فى الفصل السابق تحدث الفريق عزيز المصرى عن لقائه الأول مع جمال عبد الناصر الذى زاره فى منزله بعين شمس ومعه مجموعة من الضباط الاحرار ، حيث تناقشوا معه حول سوء الاوضاع فى مصر .. وفى هذا الفصل يحكى عزيز المصرى عن لقائه الثانى مع عبد الناصر .. ويتابع حديث الذكريات قائلا :

ـ وجاء اللقاء الثانى مع عبد الناصر ..

وفى هذه المرة لم تكن زينب فى انتظاره .. انما كنت أنا وأنور السادات وعبدالمنعم عبد الرؤوف فى انتظاره .. وأذكر أن الحديث استمر قرابة ثلاث ساعات من العاشرة تقريبا حتى الواحدة .. بعد منتصف الليل .. وكانت زينب تجلس على باب البيت ومعها الطباخ .. ونور الحجرة التى نجلس فيها خافت وجميع النوافذ مغلقة وفوقها ستائر تحجب النور من الخارج .

وأذكر انه كان المتحدث الوحيد فى هذه الجلسة .. وكان حصار الفالوجا ـ الذى كان أحد رجاله ـ هو الخيط الذى بدأ منه جمال عبد الناصر الحديث عن اليهود .. قال :

ـ فى حصار الفالوجا كنت أجلس وحدى كل مساء أتطلع الى النجوم وأحلق بخيالى فى الجيش المصرى المنهار تماما بالاسلحة الفاسدة التى دمرته وخربت معنويات الضباط والجنود .. وأغرقتهم فى دمائهم الزكية التى راحت وضاعت ضحية الخيانة ..

كنت أتطلع الى النجوم فى ظلام الليل ..

أتطلع فى حسرة وأنا أتخيل مرارة الحصار .. والهزيمة والخيانة .

أن جيش مصر ضائع بلا قيادة وطنية ..

وجيش مصر ينخر فيه السوس ..

وكنت أتوقع المزيد من الذل والاذلال ليس لجيش مصر ، ولكن لمصر كلها اذا استمرت الملكية .. واستمرت الاحزاب بشكلها المترهل الحالى .. وبقيت القيادات بدون تغيير أو تبديل ..

يقول عزيز المصرى :

ـ كنت استمع الى عبد الناصر كأنما أنا صاحب حديثه .. فقد سبق لى أن تنبأت بالهزيمة عندما لا حظت وتأكدت من أن الوصول معهم الى معركة حاسمة أمر لن يتم أبدا .. لسببين جوهرين هما :

الأول : أن كتائب التحرير التى سافرت قبل دخول الجيش المصرى وجدت صدا من القصر والحكومة وأيضا من قيادات الجيش .. كانت الخطة التى وضعتها فى البداية تكوين مجلس حرب تحت قيادتى من عشرات الضباط الذين رغبوا فى دخول هذه المعركة ـ الصراع ـ بعد استقالتهم .. وكان على رأسهم المرحوم القائمقام أحمد عبد العزيز .. كنت أخطط لحرب عصابات سريعة الحركة على المستعمرات اليهودية .. وضرب مواقع العدو بشكل مؤثر .. والضرب كالاعصار المدمر فى شكل دوائر واسعة لا تلبث أن تضيق .. وفى مربعات ومستطيلات تتشابك وتتداخل قوة نيرانها من كل اتجاه مع حرية الحركة فى الانسحاب .. والاتجاه الى مواقع أخرى .. ولكن ما حدث كان كارثة .. أمام مئات الاستقالات من ضباط الجيش وارتباط اسمى بهذه الكتائب جعل شرط الموافقة عدم وجودى .. ورفع يدى من هذه العملية ..

وأذكر اننى منعت من التحرك شرق قناة السويس .. وحتى عندما سافرت هذه الكتائب كانت بغير سلاح مناسب كما تحدثت سابقا .. ولم يكن مخططا لهذه الكتائب أن تكون لها عيون وحرب شعبية داخل أرض فلسطين ـ أهلها ـ المحتلة لذلك لم تنجح هذه الكتائب فى مهمتها ..

* الثانى : أن دخول الجيش المصرى المعركة .. لم يكن هدفه الحقيقى هزيمة اليهود .. بقدرما كان يقصد به هزيمة الجيش والحاق العار به لاسباب كثيرة أرادها الانجليز والملك والحكومة .. كان الهدف

ضرب الجيش .. وتحطيم معنويات الضباط الشبان الذين بدأت أفكارهم وتجمعاتهم ومنشوراتهم تصل الى السراى وقيادات الجيش .. وان مجمل أفكار هؤلاء الشباب اقصاء الملك وحاشيته وأيضا قيادات الجيش .. لذلك لم يحقق الجيش المصرى أهدافه من حرب التحرير والتأديب لليهود ..

لقد تراجعت قواته التى كانت مندفعة الى تل أبيب .. ولم يكن هذا الاندفاع والسماح به من جانب اليهود ، الا خطة دبرها الانجليز لتطول خطوطه التى كانت تواجه اليهود من الامام والانجليز على طول شاطىء القناة الغربى من الخلف بمعنى ان الجيش المصرى كان فى حالة كماشة أحد فكيها شرق القناة والاخر فى غربها يضاف الى ذلك كله الاسلحة الفاسدة التى أفسدت كل المعركة لانها كانت تضرب ضباط وجنود الجيش المصرى .. وتحولهم الى اشلاء متناثرة ينزف منها الدم ..

وفشلت المهمة القتالية لشباب الضباط المتحمسين ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ لقد لاحظت بعد ذلك فى أحاديثهم أنهم يرددون كلمة انقلاب أكثر مما يرددون كلمة الثورة ..

وكنت أقول لهم :

ـ أن الانقلاب .. يمكن أن يعقبه انقلاب اخر كما كان يحدث فى سوريا فى ذلك الوقت .. وطلبت منهم رفع شعار الثورة .. لان الثورة أقوى وأشمل وان الشعب المصرى عندما يقوم بتأييد ثورة الجيش ، فهى بالنسبة له ثورة من داخله لانه رافض للملك والاحزاب والاحتلال ، ويرغب فى التغيير الشامل .. واذكر اننى قلت لهم :

ـ ان كلمة انقلاب تعنى فى مدلولها العام ، وفى محصلتها النهائية خلق طبقة من الضباط أشد قسوة من الملك والاقطاعيين والرجعيين .. لانها متى وصلت الى الحكم ستجد نفسها بدون أن تشعر ـ وبمضى المدة ـ تسعى جاهدة الى تأمين وجود مصالحها .. ومصالح رجالها بالقسوة والعنف .. ضد انفسنا وضد المواطن المصرى الذى

سيكتشف ـ آجلا أو عاجلا ـ نتائج مأساة الانقلاب، أما الثورة فهى امتزاج بين قيادات عسكرية وقيادات وطنية من اجل مصر .. ولقد تحققت نبؤتى بعد الثورة بسنوات .. بدأت بأزمة مارس ١٩٥٤ .. ثم خلافات بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة .. وكانت قمة المأساة تعيين عبد الحكيم عامر بعد منحه رتبة المشير قائدا عاما للجيش المصرى .. وسوف نتحدث عن ذلك فيما بعد ..

يقول عزيز المصرى :

ـ الحق أقول أن الامسيات التى كنت أجلس فيها مع عبد الناصر ورفاقه من شباب الضباط المتحمسين .. تعطينى المزيد من الحماس .. وتقوى فى أعماقى الايمان المطلق بأن مصر مقبلة بحق على عهد جديد ..

ونطرح السؤال التالى :

ـ هل اختلفت مع جمال عبد الناصر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ؟ ولماذا ؟ ..

يقول عزيز المصرى :

ـ اختلفت معه عدة مرات .. أذكر هذه الواقعة .. وأذكر اننى قلت له :

ـ لا تعتمد على الاحزاب أو أى تنظيم سياسى فى مصر .. تاريخ الاحزاب معروف بعد سعد زغلول .. وأنا وأنت شاهداه ونلمس وقائعه وأحداثه كل يوم .. ولكن عبد الناصر كان له رأى اخر .. كان يقول :

ان الاحزاب يمكن أن تطهر نفسها ، ويمكن أن تستغنى عن قياداتها الفاسدة ويمكن أن تتفهم روح التغيير المنشود ، والتغيير المرتقب فى توفير الحرية والديمقراطية والعدل واعطاء الحقوق لاصحابها لجميع المستويات ..

يقول عزيز المصرى :

ـ ولم يمض وقت طويل حتى جاء عبد الناصر الى بيتى وقال لى : لقد حدثت لنا تجربة مع فؤاد سراج الدين .. وهى تجربة قاسية على النفس الى أبعد الحدود .. كانت الفكرة التى عندنا أن نرى ماذا عند الوفد من اتجاهات وافكار وأوفدنا أحد رجالنا ـ البكباشى أحمد أنور ـ

للقاء فؤاد سراج الدين .. كان الهدف جس نبضه ، ومعرفة ميوله أو حتى التعاطف مع الضباط الاحرار .. وكان فؤاد سراج الدين يتهرب من الاسئلة المباشرة .. ولانستطيع الجزم انه كان فى صفنا .. بل كان همه وهدفه من حواراته المباشرة أن ننضم تحت لواء الوفد حتى يحتوينا .. وأكثر من ذلك أن بعض تساؤلاته كانت تهدف الى معرفة رئيس التنظيم وأسماء الاعضاء ، ولقد قال لنا أحمد أنور : فؤاد سراج الدين سياسى ومناور بارع .. كان يريد أن يأخذ منى كل شىء .. ولا يعطينى أى شىء ..

وقال جمال عبد الناصر :

ـ لقد تألمت بشدة .. كان لدى الامل فى حزب الوفد .. ولكن خاب ظنى .. بل خاب ظن الضباط الاحرار جميعا فيه ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ ووافقنى جمال عبد الناصر على فكرتى بعدم التفاهم مع الاحزاب .. ولكنه تراجع عن هذه الفكرة بعد الثورة تحت شعار تطهير الاحزاب لنفسها .. ثم ما لبث أن قام بحلها جميعا ما عدا الاخوان عندما فشلت الاحزاب فى ذلك ..

وهناك حكاية أخرى :

* يقول عزيز المصرى :

ـ أخبرنى جمال عبد الناصر أنه أرسل صلاح سالم لمقابلة مرشد الاخوان المستشار حسن الهضيبى أكثر من ثلاث مرات .. وانه شخصيا ذهب لمقابلته بعد ذلك مرتين ولكنه خرج من هذه المقابلات بعدة حقائق :

* ان الاتجاه العام كان رغبة الاخوان العارمة فى احتواء تنظيم الضباط الاحرار ..

* أن يكون لهم أعضاء يمثلونهم فى المجلس الذى سيحكم مصر فى حالة نجاح الثورة ..

* اعلان تطبيق الشريعة الاسلامية .

وقال جمال عبد الناصر :

ـ ان اعلان تطبيق الشريعة الاسلامية لا خلاف عليه من ناحيتنا على الاطلاق .. وهو بالتالى كان شرطا غير ذى موضوع من جانب الاخوان .

* وقال جمال عبد الناصر :

ـ كيف أسلم التنظيم للاخوان المسلمين ؟ .. أو كيف أضعه تحت قياداتهم وأنا أشاهد الخلاف بينهم تحت السطح .. وفى نفس الوقت لا أريد أن أخسر تنظيماتهم وقوتهم فى حسن الانتشار فى المدن والقرى .. كذلك لن أنسى كلمات مرشد الاخوان حسن الهضيبى وهو يقول :

ـ ان تآزر الاخوان مع حركة الضباط سوف يثرى دورنا ومهمتنا ويجعل لها قيمة .. وان ارتباط الشعب سيكون أقوى لو تم ذلك .. كذلك لاحظت ان حماس عبد المنعم عبد الرؤوف للاخوان كان اقوى من حماسة لنا .. ومعنى ذلك تفسخ جبهتنا ..

* يقول عزيز المصرى : قلت لعبد الناصر :

ـ لا ترتبط بأى حزب .. ولاحتى بجماعة الاخوان المسلمين .. ان حالهم الآن غير الحال أيام المرحوم حسن البنا .. ربما فى وجوده كانت الامور تأخذ شكلا اخر .. ولكن الاهم هناك صراعات .. هذه الصراعات اذا دخلت نسيج تنظيم الضباط الاحرار سوف تفسده .. الشىء الوحيد الذى وافقت عليه اختيارى بالانتخاب مستشارا لشركة المناجم والمحاجر الاسلامية التى كان رأس مالها بأموال مصرية وعربية

* يقول عزيز المصرى :

ـ لقد كنت مؤمنا فى فترة من الفترات بأن الاخوان المسلمين هم الامل فى مستقبل مصر عن طريق العقل الراجح والفكر الاسلامى المستنير القادر على حل مشاكل الشعب المصرى .. ولكننى لم أجد أى شىء يتحقق على الاطلاق .. ويكفى أن الشخصية لعضو الاخوان .. شخصية متوجسة غير موافقة على الاعتدال حتى فى المناقشة ويكفى الاسلوب الدموى الذى اتبعوه طوال مسيرتهم .. والخلافات التى

وضحت فى أسلوب تعاملهم مع أنفسهم والاخرين .. كانوا ومازالوا ثلاثة فرق .. واحد يؤمن بالاغتيالات .. والاخر معتدل .. وثالث حائر بين الأول والثانى .

يقول عزيز المصرى :

ـ كان قرارى بالتجربة الابتعاد عن الاحزاب .. وجماعة الاخوان المسلمين .. ووافقنى جمال عبد الناصر بعد أن شرح لى انه بالرغم مما حدث الا انه متعاطف مع الاخوان .. ولا يرى خسارتهم .. ولكن الايام اثبتت عكس ذلك بأسلوب لم أوافق عليه .. لقد خسر الاخوان عندما ضربهم تحت الحزام بعد الثورة وخسر الاخوان الثورة لانهم ارادوها لهم وليس من أجل مصر وشعبها ..

وتلك حكايات أخرى ..

كان حريق القاهرة كارثة على مصر كلها .. فجأة كان وسط العاصمة تشتعل فيه النيران .. وفجأة نسى الشعب كله الحالة السيئة التى كان يعيش فيها .. والمظاهرات التى تبدأ من الجامعات والمدارس وتخترق شوارع القاهرة تهتف ضد الفساد والملك والاحزاب .. وتطالب بجلاء الانجليز عن ارض الوطن .. نسى الشعب ذلك كله وبدأ يتطلع الى المأساة فى حزن عميق .. وألم كبير .. وكان السؤال الذى يتردد على كل لسان : أين تمضى مصر ؟

هذا السؤال لم يجد الجواب الصادق فى البداية .. ولكن التحليل السليم أثبت أن الملك شريك فى هذه المأساة لانه كان يريد اقالة حكومة الوفد وكان يريد حكومة موالية له .. وكان يريد اشغال الجيش بهذه اللعبة حتى تفتر ثورته الساخنة فى بدايات تكتل الضباط الاحرار ضد مرشح الملك لقيادة نادى الضباط وما قيل وقتها من أن فاروق يريد ترشيح رجله الأول اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود عضوا فى مجلس ادارة النادى ورفض الجمعية العمومية لذلك .. ثم كان انتخاب اللواء محمد نجيب رئيسا لنادى الضباط .. وهذا التحدى لم يقبله الملك .. وهذا التحدى لم يرض به الانجليز .. ولم توافق عليه الاحزاب لان معناه الوحيد أن هناك قوة جديدة تفرض رأيها على

مختلف هذه الجبهات وهو أمر فى مجمله جد خطير ..
وبالاضافة الى ذلك كان لابد من القيام بصدمة تسكت المظاهرات وحالة التوتر فى مصر لفرض الاحكام العرفية حتى تحكم البلد بالحديد والنار .. وفى ظل الاحكام العرفية بدأت حملات الاعتقال ، وامتلأت السجون بطلاب الوطنية والحرية .. وساد السكون الشامل على الساحة السياسية والعسكرية .. ثم ما لبثت مؤامرة حريق القاهرة أن دخلت حيز السياسة والعسكرية .. ثم ما لبثت مؤامرة حريق القاهرة ان دخلت حيز الضوء .. فتكشفت الحقائق وظهرت الادوار الخائنة التى لعبها القصر ورجاله فى حريق القاهرة .. وقبل هذه الاحداث كان هناك لقاء حاسم وهام فى منزل عزيز المصرى .. كان أبطال اللقاء : جمال عبد الناصر ، أنور السادات ، صلاح سالم ، عبد الحكيم عامر ..

* يقول عزيز المصرى :
- كانت أمسية مثيرة ..
بدأ الاجتماع بصمت شديد .. ثم ما لبث عبد الناصر أن بادره قائلا فى حماس :
- لقد جئنا اليك - يقصد عزيز المصرى - لاننا أولادك وتلاميذك نعرفك حق قدرك ، ونعلم اخلاصك وتعاطفك معنا .. وطالما جلسنا معك وتحدثنا اليك الساعات الطوال يوما بعد اخر .. وأنت تعرف عنا الكثير .. وعرفت هوايتنا وكل خططنا وأهدافنا .. وما عزمنا عليه من أجل مصر .. وأنت تعلم تماما اننا فى مجملنا أصحاب رتب متوسطة تقف عند رتبة البكباشى وقليل جدا من يحمل رتبة القائمقام .. وأن عصب الضباط الاحرار ممن يحملون رتبتى اليوزباشى والصاغ .. لذلك قررنا أن يكون لنا كبير .. وأن يكون لنا قائد له قدره وقيمته وأهميته وتاريخه المعروف حتى يرضى عنه الشعب .. لذلك قررنا اختيارك قائدا لثورتنا ..

* يقول عزيز المصرى :
- كان الحديث مفاجأة لى ..

وكان القرار من جانب الضباط الاحرار يثلج صدرى ويسعدنى الى أقصى مدى .. وفى نفس الوقت شعرت بولاء الضباط نحوى .. ومدى احترامهم وحبهم لشخصى .. وبصراحة شديدة لم أكن حماسيا فى ردى ، ولا منفعلا فى قرارى ، قلت لهم :

ـ اذا وضع أى واحد منكم مكانى .. فلن يشعر بسعادتى .. ولكن أريد أن أفصح ما بداخل صدرى .. أولا أن هذا الطلب كان مفاجأة لى ولم يدر بخلدى فى وقت من الأوقات وثانيا : أنا رجل عسكرى بعيدا عن الجيش قرابة أحد عشر عاما .. وثالثا : أنا رجل اقترب من السبعين عاما وربما تجاوزت ذلك بعدة أشهر .. ورابعا أنا لا أريد هذه القيادة هروبا منها ، ولكن لاننى عازف عنها ورافض لها .. ربما لاننى لست الشخص المناسب .. أو أننى غير صالح لهذه المهمة . أبحثوا عن غيرى .. ولكن ان شئتم أن أكون صاحب رأى ومشورة .. أو مساعدا فى اتخاذ أى قرار .. هذا أرحب به ويسعدنى ان اقوم بهذه المهمة كأب روحى لكم .. كوالد يحب أولاده ويتمنى لهم أكثر مما يتمناه لنفسه ، ويكفى أن اقول بصراحة شديدة اننى أجد فيكم كل شبابى وعليكم تعقد كل آمالى ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ ودار حوار طويل ..

حوار استغرق عدة ساعات ..

ولكننى لم أتنازل عن قرارى ..

بل أقول فى صراحة شديدة اننى ما ندمت على ذلك فى يوم من الايام لاننى بالرغم من علاقتى القوية بهم جميعا لم أكن أريد أن أسلب القيادة منهم .. لانهم كانوا أحق بذلك منى .. وكان لابد أن تكون لهم هذه الريادة ، وتلك القيادة ولقد أثبتت الايام بعد ذلك حكمة قرارى عندما جاء محمد نجيب ليقود الثورة فى بدايتها باعتباره صاحب رتبة كبيرة .. ثم كيف حدث الخلاف الذى أدى الى حجبه عن أداء وظيفته كرئيس للجمهورية .. ثم اقالته وتحديد اقامته .. ولم أكن أريد لنفسى أن أكون مكانه .

قال لى جمال عبد الناصر :

- من ترشح لنا للقيام بهذه المهمة ؟

قلت له :

- الامر لا يمكن حسمه بهذه السرعة .. ولكن علينا أن نستعرض الاسماء .. وعلينا أن ندقق تماما فى الاختيار حتى لا يكون من نختاره سببا فى افشاء اسراركم عند الملك وحيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة .. وطلبت منهم الحضور بعد عدة أيام ومعهم كشف بالاسماء المختارة لاختيار الشخصية المناسبة لهذه المهمة الشاقة ..

وبعد قرابة الاسبوع كان اللقاء الثانى .. وبعد استعراض الاسماء كان الاتفاق على اللواء محمد نجيب الذى نقل من سلاح الحدود الى سلاح المشاه غدرا .. وكان محمد نجيب شخصية معقولة ومقبولة فى وقت واحد ..

وكان الاتفاق أن يكون على رأس الضباط الاحرار رتبة كبيرة تحوز الاجماع والرضا بين أوساط الجيش والشعب .. وعلمت بعد ذلك أن مفاتحته فى هذا الموضوع لم تتم مرة واحدة بكونه على قمة الضباط الاحرار والرئيس المنتظر للثورة .. ولكن تتابع الاحداث خلال هذه المرحلة فرضت عليه سلوكيات معينة كان يرسم خطوطها جمال

عبد الناصر .. وعلى سبيل المثال : تكليف الملك فاروق مرتضى المراغى - رجل القصر - ووزير الحربية بالتفاهم مع محمد نجيب على قبول اللواء حسين سرى عامر عضوا بمجلس ادارة نادى الضباط .. والرفض من جانب محمد نجيب كان بناء على توجيه من جمال عبدالناصر .. أيضا أمام اصرار محمد نجيب بعدم اتخاذ أى قرار يرضى القصر جرت معه مفاوضات بعضها بطريق غير مباشر والاخر بطريق مباشر بقبول منصب وزير الحربية .. ولكنه رفض المنصب بشكل واضح بعد أن طلب منه هذا الرفض ..

وأصبح واضحا تماما أن هناك جبهة متماسكة من الضباط داخل الجيش لها جذور قوية داخل أفرع القوات المسلحة . وظهر بوضوح أن جميع الاغراءات التى قدمت لم تثن هذه الجبهة عن خططها واهدافها التى كانت حتى ذلك الوقت غير واضحة المعالم .. لدرجة اننى شعرت بالقلق والخوف عندما رفض محمد نجيب منصب الوزارة لان هذا الرفض كان معناه أن المطلوب أكبر من قبول منصب حتى ولو كان قمة المناصب فى الجيش .. ولقد نقلت هذا الشعور تماما الى كل من جمال عبد الناصر وأنور السادات .. لان ذلك سوف يجعل القصر يطرح على نفسه السؤال التالى : ماذا تريد هذه الجبهة من الضباط الشبان بعد رفض محمد نجيب لمنصب وزير الحربية ؟ .. وأذكر أن جمال عبد الناصر أخبرنى : أنها فترة عصيبة ، ومرحلة متوترة يجب أن نعيشها ونتحملها حتى تجىء ساعة الصفر التى لم تكن قد تبلورت حتى ذلك الوقت .. ولكننى قلت لجمال عبد الناصر :

ـ اننى اخشى من شىء واحد .. أخاف أن تحدث حركة تنقلات بين ضباط الجيش .. لان هذا الاجراء فى حد ذاته اذا تم فسوف يكون نقطة لصالح الملك تحسب له وليست عليه .. وهى ضد تنظيم الضباط الاحرار بكافة المقاييس التى يمكن طرحها فى هذا المجال ..

كان شهر يوليو ١٩٥٢ عصيبا فى أحداثه الى درجة كبيرة .. ظهرت اشاعات قوية وسط الضباط أن القصر يعد حركة تنقلات كبيرة تستهدف نقل الرتب من اليوزباشى حتى رتبة البكباشى الى خارج القاهرة .. وبالذات الى أسيوط ومرسى مطروح ورفح وخط القناة .. وقد أعقب هذه الاشاعة القوية صدور قرار حل مجلس ادارة نادى الضباط .. وأذكر أن ذلك تم فى منتصف شهر يوليو عام ١٩٥٢ ..

وبعد قرار الحل تحقق ماكنت أخافه فقد صدرت أكبر حركة تنقلات فى تاريخ الجيش المصرى . وكان تنفيذها معناه انفراط عقد تنظيم الضباط الاحرار ..

وتتابعت الاحداث بسرعة شديدة .. وعلمت أن هناك اجتماعات متوالية يشارك فيها جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم وعبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم وحسين الشافعى .. وأخطرنى أنور السادات انه حضر احدى هذه الاجتماعات وان ساعة الصفر وشيكة الوقوع .. وعلمت ان ساعة الصفر تحدد لها يوم ١٩ يوليو .. ثم عدلت الى ٢١ يوليو .. وعلمت أن صاحبى خطة الثورة هما جمال عبدالناصر وزكريا محيى الدين .. وان مسئول الاتصال بالضباط الاحرار داخل القاهرة وخارجها كمال الدين حسين ..

ولم يعد أمام الضباط الاحرار الا اعلان ساعة الصفر التى سوف يتحدد فيها مستقبل مصر .. وربما المنطقة العربية بأسرها .. حتى جاء الفجر بعد ليل طويل حالك الظلام شديد العتمة مملوء بالاهات والدموع ..

وكان اذان الفجر ..

ذلك الاذان الذى بدد الظلام ..

وهنا يصعد فوق السطح سؤال هام : هل كان عزيز المصرى يعلم موعد قيام الثورة فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ؟ نترك الاجابة على لسانه وهو يقول :

ـ كان الموعد الذى أعرفه هو صباح ٢١ يوليو .. ولقد كان حزنى شديدا عندما جاء ذلك الصباح كالايام العادية ولم أسمع أى اخبار عن الثورة .. حتى شعرت بخيبة أمل شديدة .. حتى رن جرس التليفون قبل الغروب وكان صوت عبد الناصر يقول :

ـ لا تقلق يا باشا .. موعدنا معك ان شاء الله بعد يومين .. وجميع

الزملا بخير ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ لقد قضيت اسوأ أيام حياتى طوال يوم ٢٢ يوليو .. لقد كانت رسالة جمال عبد الناصر لى من خلال محادثته معى أشبه بالدش البارد الذى رطب مشاعرى وأزال القلق من راسى .. أستمعت من جهاز الراديو اخر نشرات الاخبار فى المساء حول أخبار الملك الذى كان يقضى الصيف فى الاسكندرية ووزارة نجيب الهلالى الثانية وظللت ساهرا طوال الليل ، لدرجة أن الصداع هاجم رأسى بشدة .. ومن الاشياء التى كنت اعانى منها كثيرا آلام هذا الصداع ، ومزاجى المتقلب .. يضاف الى ذلك القلق البالغ الذى كان يسرى فى كيانى كله ..

وبعد أذان الفجر دعوت الله سبحانه وتعالى أن تنجح الثورة .. وأن يحقق أولادى وأبنائى من الضباط الاحرار حلم عمرى كله .. وحلم أبناء الشعب المصرى فى ثورة تطيح بالملك وتقضى على الفساد ، وتجعل الاستعمار يحمل عصاه ويرحل وتزيل من الوجود كله كل حزب فى مصر الى الابد .. ومرت ساعة حسبتها دهرا بأكمله .. وفكرت فى الاتصال بجمال عبد الناصر .. ولكننى تراجعت خوفا أو تحسبا لاى طارىء ..

وبدأ ضوء النهار يظهر بوضوح ..

وكان فى عينى على غير العادة .. مبهرا وساطعا .. بل أن رائحة الجو فى أنفى كان لها طعم معين ومذاق خاص .. وفتحت جهاز الراديو علنى أحصل على الجواب الاخير الذى يجعل الامل يتحقق بالثورة .. وكان الزلزال الذى ارتعش له جسدى .. وتنفست الصعداء وانا أسمع صوت أنور السادات يعلن الثورة ويعلن انتهاء الفساد والظلام واليأس الذى نخر نفوس الشعب وحولهم من أشباح الى مدينة من الاحياء ..

* كان السؤال : هل أنام بعد أن نجحت ثورة ٢٣ يوليو .. وكان الجواب لن أنام .. وفى الساعة الحادية عشرة تقريبا وربما بعد العاشرة دق جرس التليفون .. وجاء صوت أنور السادات هادئا متزنا يعلن لى نجاح الثورة ..

* قال لى :

ـ لقد نجحنا يا سيادة الفريق .. نجحنا وحققنا حلم مصر وحلمنا .. وأيضا حلمك الكبير .. مبروك لنا جميعا .. وقال لى أيضا :

ان جمال عبد الناصر .. يقول لك أيضا مبروك ..

وفى مساء يوم ٢٣ يوليو اتصلت بجمال عبد الناصر فى رئاسة الجيش وقلت له :

ـ مبروك ..

كان سعيدا .. وأحسست من نبرة صوته بالارتياح الشديد .. وطلبت منه فى رجاء شديد تحقيق طلبين :

* الأول : عدم دخول أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ـ اللجنة التأسيسية ـ فى تشكيل الوزراة التى يجب أن يغلب عليها طابع المستقلين والوطنيين .

* والثانى : أن يكون ـ جمال عبد الناصر ـ هو شخصيا على رأس قيادة الجيش دون أن يكون فى التشكيل وزيرا للحربية .. وأن يكون مجلس قيادة الثورة هو صاحب القرار الاخير فى تنفيذ سياسة الدولة .. حتى يتم وضع خطة بعد ذلك لكيفية ادارة الحكم فى مصر .. ولم أسمع منه أى جواب سوى قوله : ـ المشكلة الان فى وجود الملك فاروق .. ولابد أن يترك الحكم ..

وانتهت المحادثة بينى وبينه ..

ومر يومان ..

وكانت مفاجأة شديدة للغاية عندما رن جرس التليفون وجاء صوت جمال عبد الناصر .. يقول :

ـ هناك مشكلة ..

* قلت :

ـ ماهى ؟

قال :

ـ هناك وجهة نظر تطلب محاكمة فاروق .. وأنا شخصيا لا أوافق على هذه المحاكمة .. بل اننى اشم رائحة الخطر على الثورة من جراء ذلك ..

* قلت له :
ـ الموقف الآن عصيب .. ولابد الا نمكن الانجليز من القيام بأى اجراء مضاد للثورة .. لدينا الاحتلال الانجليزى على طول خط قناة السويس .. ولدينا سفارة انجليزية مليئة بالافاعى ورجال مخابراتهم .. ولدينا السفارة الامريكية ، ان التدخل قائم . لذلك أرى وعلى الفور أن يغادر فاروق مصر بعد أن يتنازل عن العرش لولى عهده أحمد فؤاد ..
وقال لى جمال عبد الناصر :
ـ انتى ارى ازالة الملكية كلية عن مصر .. واعلان الجمهورية ..
قلت له :
ـ اعلان الجمهورية مرحلة لم يحن وقتها الان .. ذلك يعتبر عملا عاديا وطبيعيا اذا لم تكن هناك قوات انجليزية تمارس الاحتلال على أرض مصر .. ولكن وجودها يحتم علينا أن يتنازل فاروق عن العرش لولى عهده الصغير .. ان الاتجاه السافر للثورة لا يجب الاعلان عنه دفعه واحدة .. حتى لا نفاجأ بقرار أو اجراء انجليزى يعوق نجاح الثورة .. لان مصالح بريطانيا وتهديد هذه المصالح ربما يفقدها عقلها لاتخاذ قرار تحمى فيه الملكية ضد ثورة الجيش ..
وساد صمت طويل ..
ثم سمعت صوت جمال عبدالناصر :

ـ اننى موافق على رأيك .. موافق عليه تماما ..
وساد صمت طويل بعض الوقت ثم قال لى :
ـ لقد تأخرت فى الرد عليك .. ولكن يبدو أن هناك أمورا كثيرة كان يجب أن نناقشها ونستقر على رأى فيها قبل الثورة ..
وقلت له :
ـ مثل ماذا ؟
وقال فى هدوء شديد
ـ مثل قضية الملك .. وقضية تشكيل الوزارة .. ودور مجلس قيادة

الثورة .. وحسابات ردود الفعل عند الانجليز .. وماذا عن الاحزاب ؟
والعنصر المدنى الذى يمكن أن يتفاهم معنا ويتحد مع أفكارنا .. وقال :
- هل كان يجب أن يكون معنا مدنيون أحرار أيضا على ان تتلاقى وتلتقى مع أهدافنا الوطنية العليا ؟ هذا السؤال والاجابة عليه سوف تشغلنى طويلا ..

* وقلت له :

- بعد تنازل الملك عن العرش لولى العهد احمد فؤاد والانتهاء من هذه القضية أرجو أن نجلس مع بعضنا بعد ذلك الحوار .. للحديث ، وحتى يتم ذلك سأعد كل ما هو فى خاطرى حول معظم هذه القضايا ..

* وقال :

- موافق ..

أحسست بالراحة الشديدة تماما عندما علمت أن الملك فاروق وقع على وثيقة التنازل عن العرش لابنه .. وانه غادر أرض مصر ، وبذلك أسدل الستار على سنوات حكمه التى نشر فيها كل أنواع الفساد ..

لقد اختلفت مع كثيرين .. ولكن من وجهة نظرى كانت السرعة فى خروج الملك فاروق من مصر فى جو سلمى .. أبعد مدى ، وأكثر أهمية من قيام ثورة ٢٣ يوليو لان استمرار وجود الملك وتنفيذ فكرة محاكمته كان سيؤدى الى انتكاسات لا أحد يعرف مداها .. أو نتائجها .. وهى امور كانت ستساعد على نسف الثورة من جذورها عن طريق تدخل جهات أجنبية أو تدخل أو تكتل الاحزاب لصالحه . ولكن ما كان يشغلنى بعد ذلك أمران هامانّ جدا :

* الأول : ورقة العمل التى ستسير عليها الثورة بما تحمله هذه الكلمة من معان وأهداف وأفكار ..

* الثانى : انه لابد من موقف غاية فى الحكمة والاعتدال فى معاملة الاخوان المسلمين ..

أقول بحق أن الاحزاب كلها مجتمعة لم يكن يهمنى أمرها على الاطلاق .. بل اننى لم أكن لا اوافق على الفكرة التى طرحت بتطهير الاحزاب نفسها .. لانه كيف يستقيم التطهير مع ثورة .. هذا شيء

لا يمكن أن يتم .. مادامت هناك ثورة ان يكون قرارا ثوريا .. قرار يعمل على ازالة واقع مهين ومرير وغير عادل الى اخر. يناسب روح الحق والعدالة والتطور والتحديث التى كانت مصر فى أشد الحاجة اليه .

* يقول عزيز المصرى :

ـ حتى المبادىء الستة التى اعلنتها الثورة .. هذه المبادىء رجوت عبد الناصر من كل قلبى ان يتم تنفيذها فى هدوء وفى حكمة وعقلانية مطلقة .. دون التورط فى أى قرار حماسى يعمل على تعطيل تنفيذها .. أو التأخير فى تحقيقها .. وحذرت من الدخول فى أى صراعات مع الانجليز بالذات .. ان التاريخ اذا قرأناه سنجد فيه هذه الفكرة أو هذه السياسة .. لاننى لم أكن اتصور ان الانجليز سوف يتخلون عن مصالحهم الاستعمارية فى المنطقة .. وأيضا مصالحهم فى جميع مناطق اسيا خاصة فى الهند وما حولها .. كذلك سنجد ان الانجليز لن يسمحوا بأى اعتراض لاستراتيجيتهم .. كنت مؤمنا بأى اى صلاح يجب أن يكون من أجل شعب مصر .. وأى شىء خلاف ذلك يجب أن يكون ثانويا .

لقد نقلت أفكارى كلها الى عبد الناصر .. وكانت تتلخص فى النقاط التالية :

* ان تجربة الاحزاب كانت مريرة ومن هنا يجب حلها على الفور .. ووضع خطة اقتصادية وزراعية وصناعية لمدة عشر سنوات تأخذ أى مسمى يقوم بتنفيذها مجلس الوزراء ووزراء مدنيون ، هؤلاء مهمتهم تنفيذ هذه الخطة بشكل دائم .. ويكون مجلس قيادة الثورة هو المجلس السيادى الذى يملك حرية اصدار القرار للتنفيذ .. وفى خلال هذه السنوات يتم تأجيل فكرة اقامة مجلس تشريعى ..

* عدم الدخول فى أى صراعات مع أى جهة أجنبية مع البدء فى مفاوضات الجلاء ..

* عدم التصدى للاخوان وايجاد حد أدنى من أرضية التفاهم بينهم بطريقة تضمن ولاءهم للثورة لصالح مصر .. .

* تطبيق الشريعة الاسلامية من خلال قوانين عصرية فى جميع

المجالات خاصة المالية والتجارية والاقتصادية ..

* تحديد الملكية وتطبيق الضريبة التصاعدية المقبولة من الرأسمالية الوطنية .

* ان تكون قيادة الجيش تابعة ومن ضمن اختصاص جمال عبد الناصر على الاقل لمدة خمس سنوات .

* تبنى حملة قومية لمحو أمية الشعب المصرى .

* عدم تدخل الجيش بأى حال من الأحوال فى الشئون التنفيذية والمدنية .

* اجراء مؤتمر قومى يناقش فيه خطة مصر الصناعية والزراعية والاقتصادية والالتزام بتنفيذها ..

* تحديث الجيش المصرى وتنويع مصادر السلاح ..

ونقلت هذه الافكار الى عبد الناصر .

وطلبت منه ان يفكر فيها فى هدوء .

وأكدت عليه تماما الا يترك الجيش لاحد سواه شخصيا وطلبت الاعتماد على نخبة من الوطنيين والشرفاء ليتم تطعيم مجلس قيادة الثورة بالكفاءات التى تساعد فى الحكم وتفيد فى ادارة دفة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها مع وجوب وجود سياسات للاصلاح وتحديد موعد زمنى للتنفيذ .. وهذه المسائل كنت قد طرحتها عليه قبل الثورة بثلاثة أشهر .. وأكدتها عليه بعد الثورة .. أى بعد أن تقدمت اليه بالنقاط السابق الاشارة اليها .

ومضت سفينة الثورة .

وأذكر أن عبد الناصر جاء لزيارتى ذات مساء وكان معه حسن ابراهيم وعبد الحكيم عامر وأنور السادات .. واذكر فى هذه الامسية ان الحديث تطرق الى الاتحاد السوفيتى .. وكان هناك اجماع على الاتجاه الى هذه الدولة باعتبارها قوة عالمية لابد من محاولة جادة للانفتاح عليها .. وفجأة قال لى جمال عبد الناصر :

ـ عندى فكرة أرجو أن توافق عليها .. هذه الفكرة تدور حول محور حديثنا الان .. لابد من اختيار شخصية كبيرة جدا تقوم بهذه المهمة ..

ومن مميزات هذه الشخصية القدرة التامة على أن تكون عينا لنا لمعرفة أحوالها .. واتجاهاتها وامكان التعاون معها فى المستقبل من منطلق الند للند .. وقال أيضا :

ـ ما رأيك أن تكون سفيرا لنا فى الاتحاد السوفيتى للفترة التى تراها مناسبة لك . أوالتى تختارها ولك مطلق الحرية فى ذلك ..

ووافقت بدون تردد ..

وسافرت سفيرا لمصر لدى الاتحاد السوفيتى .. وكانت تجربة تستحق التسجيل .

* يقول عزيز المصرى :

ـ كان فى خاطرى هاجس يشغلنى الى مدى بعيد .. ان الانجليز لن يسمحوا بتسليح الجيش المصرى بالحجم والكمية والاعداد المطلوبة من الاليات والمعدات والدبابات والطائرات .. ولقد عانيت الكثير فى هذا المجال عندما كنت رئيسا لاركان حرب الجيش المصرى .. وكان من خطتى اثناء وجودى أن أبحث هذه الامكانية مع المسئولين فى الاتحاد السوفيتى .. أو على الاقل أقوم بجس النبض ..

لقد عشت فى الاتحاد السوفيتى بعض الوقت ..

وأتاحت لى هذه الاقامة التعرف على نوع الحياة هناك .. أقول بصراحة كانت الحياة قاسية وساعد على قسوتها طبيعة البيئة الشاقة خاصة فى مناطق سيبيريا وما حولها .. ولقد اكتشفت فى ذلك الوقت أن النظرية الشيوعية تعطل فى الانسان الاحساس بالطموح .. وتجعله يفقد الشعور بالملكية الخاصة حتى فى الاشياء الخاصة الصغيرة .. فالمواطن يحصل على حاجاته بقدر احتياجه الضرورى لها .. نظام روتينى صارم للحصول على ضروريات الغذاء .. ونظام قاس فى السكن .. السكن ليس فيه ذوق ، بقدر ما هو مجرد مكان يأوى اليه المواطن بشكل جاف .. وأحيانا يكون السكن أو المسكن غير انسانى انه لا يفى بحاجات واحتياجات الاسرة .. كذلك كان ينتشر ما يمكن أن نطلق عليه السكن الجماعى .. وهو مكان لا يجد فيه رب الاسرة حريته .. كذلك تشعر بأن المواطن فى حالة قلق مستمرة .. قد لا تراها

العين المجردة .. ولكنك تحسها وتشعر بها فى احاديثهم ومعاملاتهم ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ ولقد شعرت أن العامل فى درجة اعلى من المزارع أو الفلاح .. بل أقول ان حقوق العامل كانت أكثر من الفلاح .. وكانت حقوق عضو الحزب الشيوعى فى مرحلة أعلى من العامل والفلاح .. يضاف الى ذلك تنظيمات الحزب كانت قاسية فى حركتها وسط الحياة اليومية .. ووسط المصانع والمزارع .. كل انسان تشعر أن خلفه عين تراقبه .. وكل عين تراقب خلفها اعين اخرى . كانت الحياة تدور خلف ستار حديدى .. بل انه فى الواقع ستار حديدى يتحرك خلفه أشباح من البشر تنفذ الخطط للدولة كالالات بلاروح أو مشاعر ..

وقد قارنت بين هذا النوع من الحياة فى ظل النظرية الشيوعية .. وبين نوع الحياة التى قننها لنا الدين الاسلامى .. فى المجتمع الاسلامى هناك الثواب والعقاب واحترام حرية الفرد .. وحركته وسط مجتمعه التى تؤمن بمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .. ونصيب كل انسان فى دنياه بقدر سعيه وتعبه .. وتحصيل مقابل الجهد الذى يبذله .. وكل عامل يحصل على حقه مقابل عمله .. هذا الحق أو هذا المقابل المادى يشترى به ما يريد ويدخر لنفسه ولاسرته الفائض ان وجد ..

لقد آمنت تماما أن هذه النظرية لا يمكن ان تصلح للتطبيق فى أى مجتمع اسلامى .. انهم فى الاتحاد السوفيتى يقولون : ديكتاتورية الطبقة العاملة .. والتساؤل : كيف تستقيم هذه الدكتاتورية مع روح الاشتراكية أو روح العدالة انها ضد الاثنين معا .. لقد تذكرت ذلك كله ، وبصراحة اشفقت تماما على الشيوعيين فى مصر وعلى أدوارهم الفاشلة فى تطبيق هذه النظرية فى المجتمع المصرى انهم كمن يحرقون ماء النيل .. وبالرغم من ذلك كله فاننى اشفق عليهم وعلى تبعيتهم للحزب الشيوعى السوفيتى ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ الشتاء فى الاتحاد السوفيتى قارص البرودة .. قليلا ما كنت

اخرج حسبما تمليه على احكام وطقوس وظيفتى .. وبغير ذلك ولاننى كنت غير متزوج كنت أقضى امسيات الشتاء اقرأ .. ولقد قرأت الكثير من الكتب باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية .. ولان هناك رقابة صارمة على ما يباع من كتب .. فلقد كنت اجلب بعضها من لندن وباريس .. وأحيانا كنت أسافر الى برلين الغربية للاستجمام واشترى المزيد من الكتب .

واعتقد ان التقارير التى أرسلتها الى القاهرة .. والتى كانت تصل جمال عبد الناصر بانتظام .. فتحت افاقا جديدة لامكان التعاون مع الاتحاد السوفيتى بعد ذلك بعدة سنوات .. ولقد وجدت ترحيبا كاملا بذلك من القيادات العسكرية والسياسية .. وأذكر اننى فتحت حوارا استمر عدة ساعات مع الرئيس السوفيتى الماريشال فورشيلوف رئيس المجلس الاعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، كان رجلا دمث الخلق .. يتطلع الى عينيك وأنت تتحدث معه .. ويخيل اليك أنه يسرح بعيدا عن حديثك . ولكنه فى الحقيقة يصغى اليك بكل جوارحه ..

وأذكر أن حديثنا تناول مصر .. ومنطقة الشرق الأوسط .. وسألته لماذا لا يهتم الاتحاد السوفيتى بالشرق الأوسط .. بمصر . بالبلاد العربية وذكرته ان ذلك كان من أحلام روسيا القيصرية .. فكان يبتسم وهو يقول :

ـ اننا اليوم غيرنا بالامس .. اننا ننظر الى كل دولة باعتبارها كيانا سياسيا واجتماعيا .. لها حق الحياة كما نعطى لانفسنا هذا الحق .. ونحن نمد ايدينا لمن يريد مساعدتنا .. لاننا نؤمن بحق كل شعب فى الحياة .. ونحن ضد الاستعمار ولا نوافق عليه .. لاننا اصدقاء كل مجتمع يسعى للاستقلال .. وأذكر اننى وجدت عنده كل الاستعداد للوقوف بجانب مصر ..

* لقد قلت لعبد الناصر :

ـ ان مجتمع الاتحاد السوفيتى لا يوافقنا .. ولكن علينا أن نتجه الى نظام الحكم هناك .. نأخذ منه ما يوافقنا .. ونترك عندهم ما هو

ضد الدين وعاداتنا وتقاليدنا .. وأذكر اننى شاهدت معداتهم الحربية من خلال الاستعراضات العسكرية .. بل اننى طلبت زيادة بعض المنتجات العسكرية من دبابات ومدافع ميدان وعربات مصفحة .. وقلت لعبد الناصر :

ـ ان السلاح الروسى يمكن أن يكون بديلا للسلاح الغربى .. أو على الاقل يمكن ان نستورده بجانب استيراد السلاح الغربى .. وطلبت ارسال بعثه عسكرية يمكن ان تعاوننى فى اختيار السلاح المطلوب ..

وأذكر أن عبد الناصر وعدنى خيرا .. وطلب منى التريث بعض الوقت وسافرت مرة أخرى الى موسكو .. وبقيت هناك عدة أشهر .. كنت فيها خير سفير للثورة حيث أننى شرحت للمسئولين فى اكثر من لقاء ظروفها .. وشباب الضباط الذين يقودون هذه الثورة .. وأحلام مصر فى الثورة .. حتى تعيد بناء نفسها فى كافة المجالات .. وشعرت بالتعاطف من جانبهم لقضيتنا التى كانت تنحصر فى التنمية وتسليح الجيش .. لان على عتبات مصر .. وعلى حدودها الشرقية دولة اسرائيل التى كانت تعيش فى حضن الانجليز كالطفل المدلل .. تصرخ فتجد من يلبى لها النداء لتحقيق كل طلباتها من المال والسلاح ..

والحق أقول أن الحياة فى الاتحاد السوفياتى لم تكن تناسبنى على الاطلاق كنت اشعر اننى كالحبيس فى داخل قفص كبير .. وكان ايقاع الحياة لايناسب شخصيتى أو حتى مزاجى العام .. وكانت تنتابنى نزلات البرد فى الشتاء بشكل مستمر .. وبدأ الضيق يعرف طريقه الى صدرى .. ووجدتنى غير راغب فى الاستمرار فى هذه المهمة أو على الاقل كان احساسى ان الدور الذى لعبته هناك قد حقق اغراضه ولم يعد هناك جديد اقدمه .. ومن هناك كان استمرار وجودى عبثا لا فائدة منه .. ومن هنا كان لابد من قرارى الاخير بالعودة الى مصر ..

وعدت الى مصر ..

كانت هناك أمور كثيرة قد حدثت .. وكانت هناك احداث قد تمت .. وكانت الصراعات على أشدها فى كل اتجاه .. صراعات فرضتها الاحداث والظروف .. ويمكن القول ان اصلاح بعضها كان ممكنا ..

اما اصلاح البعض الاخر فكان ضربا من المستحيل .. وأقول أيضا انه كان هناك خطأ .. وعلى النقيض كان يوجد ما يمكن ان نطلق عليه الصواب .. أو الطريق الذى يؤدى الى الحل المطلوب .. وعشت ذلك كله .. حتى جاءت الكارثة بعدوان ١٩٥٦ .. هذا العدوان الذى تنبأت به قبل وقوعه بعام أو عامين ..

كان لابد للانجليز أن يعتدوا على مصر ..

وكان لابد للفرنسيين أن يشاركوا فى ذلك .

وكان لابد للصهاينة أن يشاركوا فى هذا الكرنفال التأديبى الذى أرادته بريطانيا وفرنسا لافشال الثورة .. وخلع عبد الناصر .. وعودة الاحتلال من جديد ، لقد كانت هناك أسباب ومسببات .. وفشل العدوان .. وكان من المفروض أن تسلط الثورة الضوء على الطريق الذى سوف نسلكه .. ولكنها سارت ، وغاصت أقدامها فى الماء والطين .. وكان من المفروض أن تعبد الثورة طريقها وتقوم برصفه بالعلم والتآخى ونظام الحكم السليم .. ولكنها تاهت فى صحراء مترامية الاطراف بدون بوصلة تقود للاتجاه السليم ..

وعشت تلك الاحداث ..

عشتها من خلال مواقف وحكايات ..

قال ابن خلدون عن التاريخ « انه فن يوقفنا على احوال الماضين من الامم فى اخلاقهم ، والانبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياساتهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدنيا » .. وكان ابن خلدون يهدف من وراء ذلك.. الحقيقة البعيدة عن الذاتية ، مع مواصلة البحث فى الماضى والربط بينه وبين الحاضر .. وأيضا توجيه الانظار الى أهمية وضرورة وضع قواعد علمية للبحث التاريخى ، وأصولا لا يلتزم بها الباحث ، لان التاريخ عنده ليس مجرد خطأ أو أخطاء .. أو سيرة مشوهة يركز عليها الباحث منذ بداية بحثه .. ولقد كتب فى التاريخ الاسلامى من العلماء البارزين عن الحكم والطبرى والاصطخرى وغيرهم مثل المسعودى وابن عساكر والبغدادى وابن خلكان والسيوطى ، وقبلهم جميعا ابن هشام ، أما عن تناول

التاريخ كمنهج وافتراضات ونتائج من بين مفكرى الغرب فكانوا ميشليه الفرنسي ، ونبدتو كروتشه الايطالى ، وكولنجوود الانجليزى وأخيرا أرنولد توينبى .. واذا قفزنا من القرون السابقة الى عصر توينبى ، وجدنا كتابات عديدة لتخليص التاريخ من اسار النظرة التأملية ، وأيضا الوجهة الفلسفية وتنظيم علاقاته بالعلوم الاخرى المهتمة مثله بالانسان .. وبتحذير اكثر منذ ان قال كولنجورد فى ثلاثينيات القرن العشرين بأن : التاريخ أشبه بعلم أرصاد انسانية وان التاريخ كله تاريخ فكر ..

وقد اتبع ذلك كله توينبى بموسوعته الشاملة « دراسة التاريخ » التى انتهى منها عام ١٩٦١ ، حيث حدد فيها ضرورة دراسة المجتمعات لا الامم ، باعتبار ان الامم أجزاء من المجتمعات .. ومن ثم فان دراسة المجتمع العالمى ألزم لانها أشمل وأجدى .. ومن الذين طالبوا باحلال المنهج العلمى بخطواته الميدانية والمعملية بدل النظرة التأملية العالمان الفرنسيان : هـ . أ . مارو فيرناند بروديل مؤلفا كتاب « كتابات فى التاريخ » ..

ونطرح سؤال هاما : كيف نكتب التاريخ ؟

يقول المؤرخ البريطانى « ماكولى » ان يكون الانسان مؤرخا عظيما ربما كان من أندر الامتيازات العقلية ، ولكن لا يوجد كتاب تاريخ بلغ حد الكمال ان « هيرودوت » يجيد رواية الاحداث .. و « توكونيدس » أعظم أستاذ فى استيفاء عرض الاحداث ، ولكنه لم يكن مفكرا عميقا .. ولا « بلوخ طارخ » تغلب عليه روح الطفولة ، و « بوليباس » كتاباته مملة ، ولا يوجد مؤرخ أقل اكتراثا بالبحث عن الحق من « ليفى » ، كما أن « تاسيتوس » أقدر من يقدم صورة واضحة ، وكان أعظم كتاب درامى فى العهد القديم ، ولكن لا يمكن الثقة به ، وأيضا الاعتماد عليه .. والمؤرخون المحدثون من ناحية أخرى أكثر عناية بتحرى الصدق وأقدر على التصميم ، ولكن نزوعهم قد يؤدى بهم الى تشويه الحقائق ..

والذى يمكن استخلاصه من قيمة التاريخ وكتاباته ، انها تكشف

عن اختلاف وجهات النظر ، باختلاف طبيعة الانسان .. فالبعض عند كتابة التاريخ يقصر اهتمامه على حياة الرجال الممتازين ، وفريق اخر يحصر اهتماماته فيما ارتكبه الانسان من حماقات وجرائم ومنكرات ويتناسون عن عمد الاعمال الباهرة والافكار ، وكذلك المعتقدات والقيم والمواقف والبطولة وانكار الذات .. وفريق ثالث يكتب التاريخ من خلال شخصيته وعواطفه .. أن أحب مدح ، وان كره كان حديثه عن السيئات وفريق رابع أدخل تحليل المضمون فيما يكتب ، واقحم العلوم الانسانية فى تحليلاته ، وفريق خامس جعل المجتمعات أساسا للكتابة والتحليل ..

ولقد كان عزيز المصرى شاهدا حيا على عصره ، على عصر عبدالناصر قبل الثورة .. وايضا بعدها حتى عام ١٩٦٥ ، حتى فارقت الروح بجسده وترك عالم الاحياء فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٥ ، ولقد عرف منه ـ عزيز المصرى ـ الكثير من الصفات .. ولقد قرأت العديد من الآراء التى مدحته .. سواء من معاصريه أو من الذين تصدوا للحديث عنه .. ولكننى بصدق كامل لم أجد من يوفيه حقه كاملا شارحا فضائله وشخصيته وأمانته ورجولته أكثر من حسين ذوالفقار صبرى الذى قاد الطائرة التى استقلها عزيز المصرى وسقطت بهم ، وشاء القدر الا تكمل رحلتها التى كان يعلن وجهتها دون زميليه حسين ذوالفقار وعبدالمنعم عبدالرؤوف ولنسمع ونقرأ ماذا حسين ذوالفقار صبرى .. قال :

* عزيز المصرى شخصية فذة .. متعددة الجوانب ، يانعة الثراء لمست فيه دائما انه صاحب مبادىء عالية ومحددة ، وهو يعرف دائما ما يريد ، ويخطط بجميع حواسه للوصول الى هدفه ، وهو يجمع فى ذلك بين عقل الفيلسوف وصلابة الجندى .. يفكر جيدا ويعمل جيدا .. يفكر بعقل مثقف فيه شمول ومعرفة . ويعمل كما يصوب الجندى بندقيته الى هدف محدد .. وكان من أبرز جوانب ثقافته عشقه للموسيقى .. وكثيرا ما كان يعيش مع الموسيقار الفرنسى « ديبوس » صاحب أوبرا « بلياس وميلزاند » وصاحب المذهب التأثيرى فى الموسيقى ..

* ويقول عنه أيضا :

ـ كان عزيز المصرى بحرا فى التاريخ .. والتاريخ العسكرى بوجه خاص .. وكان يهتم بالتاريخ العسكرى للعرب .. وأيضا لغيرهم من الامم والشعوب على السواء خصوصا التاريخ العسكرى لالمانيا .. كان مليئا بالفضائل ، وكان شجاعا الى حد التهور ، وكان جريئا جدا بكل معنى الكلمة . ومستعدا للتضحية دائما من أجل وطنه الذى كان يؤمن به ايمانا مطلقا .. وكان الى جانب ذلك كله بسيطا .. وكان يملك جاذبية الشباب رغما عن شيخوخته .. ذلك أنه كان فى أعماقه شابا .. فيه جرأة الشباب ، وتطلعهم الى التغيير والثورة والانتقال بالظروف الانسانية الى ما هو أحسن . وبخلاف ذلك كله كان رائدا للقومية العربية ..

وبخلاف ذلك كله كما عرفته كان صادقا اذا تحدث .. وكان أمينا فى نقل الواقع .. وكان مثاليا وحياديا وهو يتحدث عن الاصدقاء والاعداء ولم يعرف عنه انه تنازل عن كرامته من أجل مكسب شخصى ، أو مغنم ذاتى .. وكان يحترم الرأى والكلمة الحرة ويسعى لرد الحق لاصحابه .. كما كان وفيا للعهد .. ومن صفاته انه كان لا يحب المجاملة على حساب المصلحة العامة .. ومن هنا كانت البداية .

ومن هنا فان كل كلمة قالها عزيز المصرى عن عبد الناصر كانت بعيدة عن أى مصلحة ذاتية .. أو هوى شخصى يجعله ينحاز اليه ..

لقد أحب عزيز المصرى جمال عبدالناصر كابن من الابناء ، كما ان هذا الحب كان شاملا للعديد من أعضاء مجلس قيادة الثورة .. كان يرى فيه شبابه كثائر لا يشق له غبار .. ومدحه كثيرا ودافع عنه كثيرا جدا ولكنه فى نفس الوقت قال ان عبد الناصر أخطأ .. وسار فى تيار الزعامة الى مدى بعيد على حساب الاصالة الثورية ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ كانت لعبد الناصر حسنات كثيرة ..

وكانت له أيضا سيئات عديدة ..

ان جمال عبدالناصر ابنى .. وهو أيضا تلميذى .. وكم كان بودى

ان تمضى الثورة فى طريقها دون معارك جانبية ، أو خلافات شخصية ، وأقول فى صراحة شديدة اننى وجدت من يخبرنى من أعضاء مجلس الثورة ان عبد الناصر فى نيته ترشيح عبد الحكيم عامر ليكون قائدا عاما للجيش المصرى .. وان الاتجاه العام بينهم ترشيح زكريا محيى الدين لهذا المنصب لانه الاقدر والاكثر صلاحية لان امكانياته الشخصية تؤهله لذلك الدور .. وفى قرارة نفسى لم أكن مستريحا على الاطلاق لان يتولى عبد الحكيم عامر هذا المنصب .. لانه كان شخصية مجاملة اكثر من اللازم وتغلب عليه عادات أولاد البلد أو انجال الاعيان .. وانا لا يمكن أن أطلق عليها سذاجة ، بقدر ما أقول انها شخصية قد تصلح لاى عمل إلا ان تكون هى القيادة العليا التى تسيطر على الجيش ، وتسعى جاهدة لتطويره وتحديثه ..

ولقد شعرت بألم شديد عندما صدر القرار بترقيته لرتبة المشير ثم تعيينه قائدا عاما للجيش .. ان جيش مصر كان فى حاجة الى مقاتل محترف .. الى شخصية صارمة ، لديها الاستعداد التام للقيادة .. وفى رايى الشخصى ان معلومات الجيش المصرى فى التدريب وأيضا فى التحديث اخذت الجانب الشكلى .. كان شكلا عاما بدون مضمون .. وللاسف الشديد كانت بعثات الضباط الى الاتحاد السوفييتى عند عودتها لا تلبث فترة قصيرة فى الجيش .. ثم تنقل الى الاعمال المدنية .. كيف تستقيم الامور فى الجيش اذا كان ضابط اركان حرب دارس فى الاتحاد السوفيتى للسلاح المستورد يصبح بعد ذلك رئيسا لمجلس مدينة فى احدى المحافظات .. ثم كيف يتدرب طيار وتنفق عليه الاموال الطائلة ليصبح مقاتلا يقود طائرة حربية .. هذا الطيار اما يحال الى الاستيداع أو ينقل الى وظيفة مدنية ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ لقد سيطر عبدالحكيم عامر على الجيش ..

وعامل الجيش كأنه عمدة .. اى بلغة « الجدعنة » و « المجدعة » وتلك كانت كارثة .. كنت احس ان الجيش المصرى يسير نحو الهاوية .. بل اننى اقول ان عبد الحكيم عامر قدم جيشه لقمة سائغة

لاسرائيل .. تلعب به كما تشاء .. وتحركه كما تريد .. ولاتخافه ولاترهبه لانه تحول الى جيش من المرتزقة .. القيادات جاهلة .. ولكنها مفروضة عليه لانها من « بطانة » المشير عامر ..

كنت أتوقع من عبد الناصر أن يكشف القائد العام للجيش المصرى بعد عدوان ١٩٥٦ .. كانت ادارة المعركة يغلب عليها طابع السذاجة .. كان المشير قائدا جاهلا لا يدرى تماما أبسط قواعد أو أصول ادارة المعركة ..

* يقول عزيز المصرى :

ـ كانت بداية الانذار البريطانى / الفرنسى المشترك تعنى للوهلة الأولى أن الجيش المصرى سوف يقع فى « كماشة » والامر لم يكن يحتاج الى عبقرية او الى قيادة عسكرية فذة .. وكانت أبسط الافكار تقضى على الفور سحب الجيش المصرى الى الضفة الغربية لقناة السويس حتى لا يضرب من اليهود فى جبهة سيناء .. ويضرب من الخلف .. بعد نزول القوات المشتركة وتوغلها من الشمال .. من بورسعيد الى الجنوب حتى الاسماعيلية ثم السويس .. ثم الوقوف .. لان هذا الهجوم أوهذا الغزو كان هدفه اسقاط عبدالناصر ، ثم أسقاط الثورة تماما كما حدث مع أحمد عرابى فى موقعة التل الكبير .. صحيح أن الخيانة مهدت لهزيمة عرابى .. ولكن اغلاق قناة السويس ـ أيام عرابى ـ كان سيسهل ضرب الاسطول الانجليزى واحراقه ..

كانت المفاجأة لى كاملة عندما استدعيت الى مركز قيادة الثورة لبحث حال الجيش المصرى .. كان هناك اختلاف فى الرأى : اتجاه ينادى بمواصلة المعركة على أرض سيناء .. وآخر يطالب بالانسحاب .. أقول بحق انه أعجبنى فى ذلك الوقت الاتزان الذى كان يتحلى به زكريا محيى الدين .. لقد كان قرارى الفورى العمل وبسرعة شديدة على سحب الجيش من سيناء .. وكانت خطتى سحب القوة الرئيسية للجيش مع مقدمة انتحارية تحاول اعاقة تقدم القوات الاسرائيلية تجاه القناة .. وعلى نفس المستوى .. تركيز الجهد العسكرى والشعبى فى منع تقدم القوات الانجليزية ـ الفرنسية المشتركة تجاه الاسماعيلية .

وأذكر اننى طلبت أن يقوم بالاشراف على المعارك الشعبية لتأمين الجيش المصرى المنسحب كمال الدين حسين لأننى كنت أعرف عنه انه ضابطا يصلح تماما لهذه المهمة لعقله المدبر ، وسرعة بديهته فى اتخاذ القرار العسكرى .. ولقد كان كمال حسين هذا الشخص تماما فى حرب التحرير الذى شارك فيها مع المرحوم أحمد عبدالعزيز .

● يقول عزيز المصرى :

— لقد أنجزت هذه الخطة أهدافها .. وحققت أغراضها حيث تم انقاذ جزء كبير من الجيش .. وانقاذ الكثير من المعدات والمدرعات والدبابات .. هذه التجربة المريرة جعلتنى يومها أقول لعبدالناصر وهو فى قمة الأزمة النفسية :

— ان قناة السويس هى كارثة كبرى للجيش المصرى .. ولن ينصلح الحال إلا إذا تم أمران مهمان :

● الأول : تعبيد سيناء بشكل مكثف والأمر لا يحتاج الى التأخير .

● الثانى : لابد من وجود معابر تحت القناة وفوقها .. حتى لا يحاصر الجيش ويسهل القضاء عليه فى أى معركة قادمة ..

● يقول عزيز المصرى :

— كان لابد أن يتنحى المشير عامر عن قيادة الجيش بعد عدوان ١٩٥٦ ، ولكن للأسف استمر وجوده .. واستمرت قيادته .. وكان الأمر لا يحتاج الى تأخير فى وجوده خاصة بعد معارك اليمن بعد أن قرر الجيش المصرى دخول هذه البلاد تحت ستار تحرير اليمن .. وكان ذلك خطأ آخر قاتلا .. ان طبيعة اليمن تحذرنا نحن العسكريين من اقتحام جبالها ووديانها والطبيعة القاسية هناك .. عندما ذهبت الى هناك كان قرارى الحل السلمى مع الامام يحيى .. لأن دخول الجيش التركى معناه أن يفنى عن آخره .. وكنت أعتبر دخول الجيش المصرى فى حرب اليمن كارثة وخطأ عسكريا لا يمكن أن يغتفر لأى قائد عسكرى وما كنت أسمعه عن التكاليف الباهظة والخسائر كان يدل على صدق نظريتى .

لقد فشل المشير عامر فى حرب ١٩٥٦ ، وفشل كقائد عسكرى فى

ادارة الجيش بعد الوحدة .. كان ضباطه أسوأ مثل فى دمشق وضواحيها .. وفشل فى حرب اليمن .. وكنت أتنبأ بالمزيد من الفشل مادام هو موجود على رأس الجيش فى أدق مراحل الثورة .. بل أقول ان المشير قاد مصر الى الكارثة .. واضطر عبدالناصر الى اتخاذ سياسات تبتلع تلك الهزائم وتخفى حقيقتها عن الشعب .. أقول كم من المال ضاع على مصر .. وكم من المعدات التى احترقت ودمرت دون استعمالها وتم تعويضها من عرق وكفاح شعب مصر .

هذه أخطاء قاتلة كان لابد أن يتداركها جمال عبدالناصر .. ولكننى كما سمعت : كان عبدالناصر يبقى عليه لسببين :

● صداقة قديمة كان فيها عبدالحكيم كريما جدا مع عبدالناصر ..

● تحول الجيش الى مركز قوة فى صالح المشير ضد عبدالناصر ..

— اننى أعتبر استمرار عبدالحكيم عامر فى منصبه على رأس الأخطاء التى ارتكبها جمال عبدالناصر .

وكان هناك خطأ مبكر ..

هذا الخطأ يتبلور فى السؤال التالى :

● لماذا اختلف جمال عبدالناصر مع محمد نجيب ؟.

فى اعتقادى ان الخلاف كان لابد أن يتم .. ولكن بالصورة التى حدثت أعتقد تماما ان الأمر كان مبالغا فيه الى حد كبير .. لقد جلست مرة مع محمد نجيب ، بصراحة كانت شكواه متصلة من جمال عبدالناصر وبالذات فى شخصيتين هما : صلاح سالم وجمال عبدالناصر .. قال لى مرة :

— لقد عرفت جمال عبدالناصر قبل الثورة .. أعجبت به تماما .. وأحببته كإبنى .. وليس صحيحا اننى لم أكن أعلم عن الثورة أو عن الضباط الأحرار إلا ليلة الثورة أو صباحها ..هذا كلام غير صادق .. كيف أرفض منصب وزير الحربية ؟ أى شخص مكانى كان قد وافق على هذا المنصب .. ولكنى رفضته لأننى كنت متعاطفا تماما مع تنظيم الضباط الأحرار .. من فى الجيش كان لا يعلم ان هناك تنظيما للضباط الأحرار ومنشوراتهم فى كل مكان .. وتكتلاتهم فى انتخابات نادى

الضباط كانت واضحة ورائى .. لقد اخترت الضباط الأحرار طريقا لمستقبلى معهم .. وإذا قدر الله وفشلت الثورة لكنت أول من يتقدم الى حبل المشنقة .

— كانت تنحية محمد نجيب أمرا ممكنا أن يتم فى شكل غير درامى كما تمت به .. وكان يمكن أن يتم ذلك بشكل يشرف الثورة .. ويحفظ ماء وجه محمد نجيب الذى خرج من الحكم بتهمة الخيانة والتعامل مع الأحزاب لصالحه ضد مجلس قيادة الثورة .. اذكر ان محمد نجيب قال لى مرة :

— لو طلبوا منى الاستقالة لقدمت استقالتى ولكنهم عاملونى بقسوة وبروح غير انسانية وأحيانا كنت أحس بالاهانة والمهانة ..

— وكان من اخطاء عبدالناصر ..

● الاصطدام بالاخوان المسلمين ..

وكان من أخطاء الاخوان .. الاصطدام بعبدالناصر ..

لقد تحرك عبدالناصر بعصبية .. وكان من المفروض أن يتحرك بخلاف ذلك فهو عصبى جدا .. ومتجاهل للحقيقة .. وراسم لخطط يسعى بها لتحقيق صالحه ومصالحه .. قد يقول قائل : ان عبدالناصر قاد معركة التحرير ضد الاستعمار .. هذا حق .. ولكن السؤال هو :

● إذا كان عبدالناصر قد قاد حركات التحرر .. وتحرر البلاد التى اتخذته مثالا فى افريقيا على سبيل المثال : فأين الآن موقف هذه الدول من التنمية والاصلاح ؟.. لا شك انها فى موقف أحسن من موقفنا .. وفى حالة أكثر تطورا مما نحن فيه الآن .. إذن من الخاسر ؟ لا شك ان مصر هى الخاسرة .. وخسارة مصر معناها عدم تحقيق الثورة المصرية بقيادة عبدالناصر لأهدافها .. وتلك حقيقة ، ويمكن أن نقول الآن : أين أعضاء مجلس قيادة الثورة ؟..

خلافات شديدة .. بعضها تحت السطح .. والآخر ظاهر للعين المجردة .. أقول هل سياسة الثورة كانت موفقة فى السودان .. بلا شك هى سياسة خاطئة .. بل أقول ان صلاح سالم كان فاشلا فى سياسته وأسلوب تعامله وما كان يحمله داخل راسه .. أقول لماذا كان هذا

الانفتاح الشديد لتوظيف الضباط فى الوظائف المدنية حتى اقتحموا السلك الدبلوماسى .. واقتحموا قيادة الشركات والمؤسسات الصناعية .. كيف تم ذلك ؟

لقد أفسدنا ضباط الجيش ..

وأفسدنا هذه القطاعات المنتجة ..

اننى ضد الحجة التى سادت فى ذلك الوقت من تفضيل أهل الثقة على أهل العلم والخبرة والاعتماد كان المحاسيب من أهل الثقة .

● يقول عزيز المصرى :

— أهل الخبرة ؟ لقد أبعدنا أهل الخبرة عن الوظائف المدنية .. وأبعدناهم عن قيادات الجيش .. لذلك وجدنا أهل الثقة فى الجيش .. وتلك كانت أكبر الكوارث .. ووجدناهم فى الشركات والمؤسسات ومواقع الخدمات فأفسدوها وحملوها خسائر الانتاج من سىء الى أسوأ .

ان الهدف من أى ثورة هو تغيير الانسان .. أقول كان من المفروض أن يتغير الانسان المصرى من خلال الثورة .. تغييرا فى كل شىء .. فى الفكرة والهدف والسلوك والعادات والتقاليد .. لقد فعلت اليابان ذلك كله وهى ترسم بداية حياتها بعد الحرب العالمية الثانية .. ان الانسان اليابانى يصنع المعجزات لأنه تغير .. وضعت له مواصفات الانسان المتحضر ، الذى يؤمن ببلده .. ويؤمن بوطنه .. واتقان صناعته .. وعن طريق الصناعة وتطويرها تتحرك اليابان الى أعلى ، ان الصناعة هى جيش اليابان السحرى الى المستقبل .. ونحن ماذا فعلنا فى مصر ؟

رفعنا شعار الصناعة وأقمنا المصانع ..

ولكن لم نبن الانسان المصرى الذى يساعد على تجويد الانتاج ثم تطويره .

لست هنا أرصد القرارات ..

ولست هنا أقف فى خندق العدو لجمال عبدالناصر .

ولكننى أقول ان الشعارات لعبت دورا مؤثرا فى شخصية المواطن المصرى .. ربما لم يشعر بها كمأساة حتى الآن .. ولكن بالقطع يعانى منها فى حياته اليومية عندما يرى انه يقتحم معارك يساق اليها من غير

اختيار .. عن غير وعى .. كالانسان المخدر الذى تسوقه أمامك فلا يملك إلا الانسياق لك ، وتنفيذ أوامرك لأنه لا يملك غير ذلك ، وليس عنده حضور الذهن والصحوة التى تجعله يقول لك : الطريق غير مناسب .. أو ان ذلك خطأ لابد من تصحيحه .. لأنه منذ البداية ـ يثق فى قولك ، وعملك وقراراتك وسياساتك .. لأنك والده الحنون وشقيقه المخلص وقائده الأمين على عهده ..

● يقول عزيز المصرى :

ـــ لقد أصبت بالذعر حينما صدر قرار رئيس الجمهورية جمال عبدالناصر بتعيين على صبرى رئيسا للوزراء .. لقد كان هذا الضابط مديرا لمكتب جمال عبدالناصر .. ولا أعتقد انه كان عبقريا حتى توصله عبقريته الى هذا المنصب .. بل أكثر من ذلك انه على يديه جاء تطبيق الأفكار والمبادىء الاشتراكية .. وكيف وصلت الأمور الى ذلك الموقف .. والواقع المرير الذى قام بتصعيد هذه الشخصية الى ذلك المنصب الخطير فى مصر .

كيف يتم ذلك فى ظل وجود شخصيات مثل زكريا محيى الدين وعبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسين الشافعى ؟.

ان هذا الفشل يتحمله تماما جمال عبدالناصر .. تماما كما يجب أن يتحمل عدم نجاح هيئة التحرير كحزب سياسى يقول لا للأحزاب .. ثم الاتحاد القومى .. ما هو الاتحاد القومى ؟

ما هى قومية هذا الاتحاد ؟

وماذا قدم غير أصحاب المصالح ..

واستبداد الاقطاع وسيطرة راس المال فى جماعات دخلت الاتحاد القومى لتسعى لتحقيق مصالحها الشخصية من خلاله .. باعتباره جواز المرور لأى منصب .. أو أى صفة من الصفات .

هل دخلت الجماهير هذا الاتحاد باعتباره وسيلة ديمقراطية توصل الى الحرية وتنفيذ أهداف الثورة ؟ من كان الأعضاء ؟ هل كان التمثيل حقيقيا ؟ ما رأيت .. وما قرأت .. وما سمعت غير الشعارات ؟ التى حملوها أكثر مما تحمل ..

ثم هل حققت الوحدة بين مصر وسوريا أهدافها ؟

من أخطاء عبدالناصر قبول الوحدة بشكلها الدرامى الفج الذى تمت به .. ولا أتصور كيف قبلها بالصورة التى تحققت بها .. لقد اعتبرتها عملية توريط لجمال عبدالناصر .. دخل فيها مصيدة الزعامة باختيار الآخرين وليس باختياره .. والكارثة أن يطبق فى سوريا التنظيم السياسى الفاشل فى مصر .. بمعنى اننى غرست البذرة فى غير أرضها .. فى غير بيئتها .. وكان من المفروض دراسة البيئة السورية وتطبيق ما يصلح لها ..

ان موعد الوحدة لم يكن مناسبا .. وكانت وحدة عاطفية أكثر منها وحدة عقلية .. أكثر منها وحدة قائمة على أساس متين .. أساس اقتصادى وزراعى وصناعى قبل أن تتم على أساس سياسى .

كانت النتيجة قاسية على عبدالناصر ..

وضارة بسمعة مصر ، وفشلت الوحدة لأنها تمت وقبلت لتوسيع ثوب الزعامة الذى كان يرتديه عبدالناصر .

لقد كان من الممكن أن يكون الثوب مناسبا لأن شخصية جمال عبدالناصر توصله الى الزعامة .. ولكنه تطلع الى الثوب قبل أن يختار القماش المناسب .. وصانع الثياب المناسب .. وخامة القماش المناسبة ..

وأكثر من ذلك ..

لقد نظر الى الثوب ..

أكثر مما نظر الى نفسه ..

وأكثر مما نظر الى جميع من حوله ..

● يقول عزيز المصرى :

— لقد أحسست تماما ان التغيير دخل فى نسيج شخصية جمال عبدالناصر ، لقد أصبح اليوم غيره بالأمس .. وأكثر من ذلك بكثير .. بدأت تحيط به مراكز قوى غاية فى الخطورة على قراره السياسى .. ولقد سمعت ما أحزننى .. وما جعلنى أضرب كفا على آخر .. لقد كنا نشكو التعذيب أيام الانجليز والملك والأحزاب وخاصة فى عهد الوزارات

السعدية .. وإذا بنا نرى هذا النهج يتم بعد الثورة .

لقد أرسلت خطابا الى عبدالناصر .. وللأسف لا أذكر تفاصيله ، ولكننى أتذكر خطوطه العامة وقد حمله اليه أنور السادات .. ولا أدرى هل أوصله أم لا .. لأننى فاتحت أنور فى تفاصيله .. ولكنه حاول أن يراوغنى ويدلى بالمبررات التى رفضتها جملة وتفصيلا ..

● يقول عزيز المصرى :

— لقد ذكرته بالماضى .. الماضى كله .. حماسه الثورى المنقطع النظير .. وذكرته بكل الأخطاء التى ارتكبت .. أخطاء ما كان يجب أن تقع ، وما كان يجب أن تتم .. وأكدت له ان بطانته تقوده الى طرق مسدودة .. ولتمنع عنه حقيقة الأوضاع السائدة فى البلد .. ورجوته أن يعيد كل قراراته الخاصة بزملاء تنظيم الأحرار ومجلس قيادة الثورة .. وكنت فى حيرة من أمرى وهم يتساقطون واحدا تلو الآخر .. ويتوارون عن الأنظار عن عمد .. وعلمت ان بعضا منهم أرسل اليه خطابا يناشده العودة الى طريق الثورة من أجل مصر .

لقد حز فى نفسى كثيرا أن يهادن جمال عبدالناصر الشيوعيين فى مصر .. ان هذا الفكر جملة وتفصيلا لا يصلح للتطبيق فى أرض الكنانة .. ولا فى أى بلد اسلامى أو عربى .. وعندما عشت فى الاتحاد السوفيتى كنت أرى أمامى طبقة تسيطر على جميع الطبقات .. كنت أرى حكم الحديد والنار .. كنت أحس ان المواطن السوفيتى يعيش تماما كالآلة .. فى أعماقه خوف .. وعلى السطح قلق وسياج من الرأى الواحد يسود المجتمع .. وهذا الرأى لا يسمح لغيره من الآراء أن ترى النور ، ان الشيوعى إذا أعطيته سلطة أصبح ديكتاتورا لا يشق له غبار .. وتحول الى جبار لا تستطيع السيطرة عليه .

وسيبقى سؤالى دائما :

● لماذا هادن عبدالناصر اليسار المصرى ؟.. هل كان ذلك ثمن المساعدات الروسية ؟.. هل كان ذلك نوعا من التوازن السياسى ؟.. وإذا كان ذلك صحيحا .. فما هو ذنب الشعب المصرى فى دخول هذه اللعبة السياسية التى جرته الى سيطرة اليسار على وسائل الاعلام

خاصة الصحافة التى بدأوا يصبغونها باللون الأحمر .

ومضت بى الأيام ..

وكانت صلتى تقف عند أنور السادات وحسن ابراهيم فى بعض الأوقات .

ولكن تبقى كلمة أخيرة .. وهى شهادة حق لا أكتمها .. ان جمال عبدالناصر وصحبه الأحرار سيبقى لهم فضل القيام بالثورة .. وسيبقى لهم جميعا فضل الجهاد والايمان بالتغيير الذى جعلهم أسرة واحدة من أجل هدف الثورة العظيم .

حقا لقد قاد عبدالناصر الكفاح من أجل الوحدة العربية ولكن الوسيلة لم تسعفه لتحقيق ذلك الهدف الكبير ، وكان الاصلاح الزراعى فتحا جديدا فى دنيا المجتمع المصرى خاصة فى الريف ، ولكنه لم يكن مانعا من وجود الانحرافات .. ولقد تم الجلاء حلم مصر كله .. ولكن الوحدة فشلت بين مصر وسوريا لأنها كانت عاطفية ولم يخطط لها التخطيط العلمى السليم .

وأقول ان السد العالى سيبقى رمزا لكفاح شعب مصر .. ولكن التأميم سيبقى سهما يوجه الى الاقتصاد المصرى .. لأنه أبعد الاختصاصيين وذوى الخبرة وأحل مكانهم الاداريين والفنيين الذين لا يعرفون فن الادارة .. ولا أصول العمل فى مجال الصناعة .. والأيام سوف تثبت صدق هذه النظرية .

ويقف تاريخ عزيز المصرى ..

وتتوقف ذكرياته ومذكراته ..

ولا أعتقد اننى وجدت سهولة فى الحصول عليها .. فقد كان الاستطراد فى الذكريات لا يقف عند حادثة معينة .. أو واقعة محددة .. ولكنه كان يتناول أكثر من حادثة على امتداد فترة زمنية .. ثم ما يلبث أن يتركها هى الأخرى .. ويعود من جديد لتكرار الرواية الواحدة .. فى أحيان أخرى كان لا يتذكر التاريخ وفى أحوال ثالثة كنت أذكره ببعض الأحداث العامة حتى تعود الى ذاكرته الأحداث الخاصة .. ولكن الشىء القاطع ان هناك معالم رئيسية وخطوطا عامة

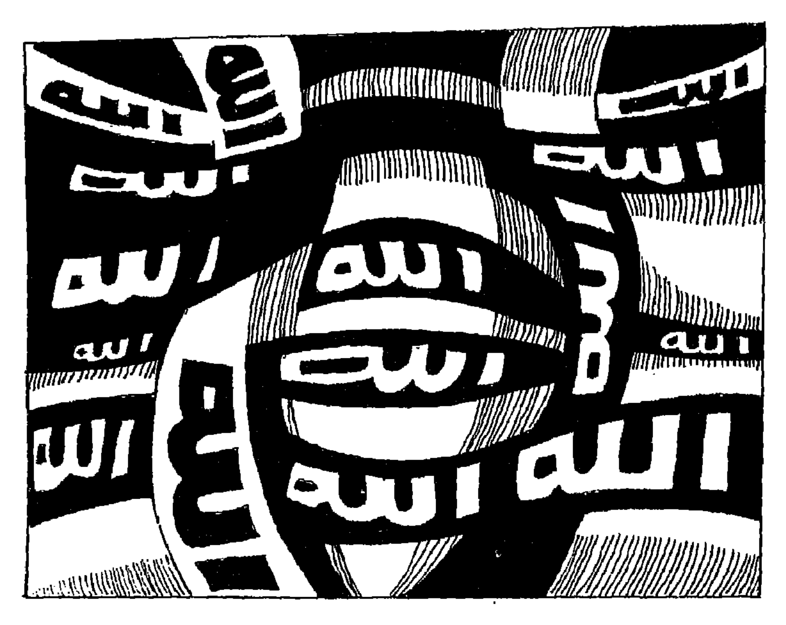
كان يعرفها جيدا .. وكانت معرفته لها تصل الى مائة فى المائة .. وفى المقابل كان البعض من المعلومات الأخرى تصل نسبته الى نسبة تتراوح ما بين الخمسين والسبعين فى المائة .. ولقد أحسست ان تاريخه منذ ذهب الى الأستانة طالبا بالكلية الحربية الى أن عاد الى مصر بعد نفيه الى أسبانيا .. هذه الفترة كانت واضحة المعالم ومحددة وواضحة .

أما باقى الفترات التالية ، ولو انها الأقرب زمنيا إلا انه كان لا يتذكر المزيد من التفاصيل .. وان كانت فترة معرفته بالضباط الأحرار وما تلاها أيضا واضحة المعالم ..

لقد قضيت مع عزيز المصرى عدة سنوات .. وكانت هناك لقاءات استغرقت ساعات طويلة .. لقد كان الجلوس مع هذا الرجل متعة .. وكان الاقتراب من شخصيته استمتاعا برجل ثائر عاش عصره .. وتعايش مع أحداث ذلك العصر بكبرياء الرجال وشهامتهم ووطنيتهم .. وكان طوال عمره لا يحب الانجليز .. ويكره الأحزاب .. وكان أمله كبيرا فى رجال ثورة ٢٣ يوليو .. وكان أمله كبيرا فى جمال عبدالناصر .. وأذكر انه قال لى :

— لا يمكن أن نقول ان جمال عبدالناصر يأخذ عشرة على عشرة كزعيم بدون أخطاء .. وبالقطع أيضا لا يمكن أن نقول انه يأخذ خمسة على عشرة فهذا ظلم له وللتاريخ .. لقد تحرك جمال عبدالناصر مع الأحداث .. ولكن الأحداث عندما انغمس وسطها جرفته فى تيارها .. أحيانا كان يحسن العوم ضد التيار وأحيانا كان يسبح لينجو .. ويعيش .. ومن هنا والحق أقول ان جزءا من جهود عبدالناصر ابتلعتها الأحداث .. وضاعت وهو يتحرك من منطلق كونه زعيما عليه ألا يتراجع .. وعليه أن يمضى قدما الى الأمام .. وبالرغم من ذلك فهو علامة على طريق الثورة .. والكفاح .. وبالرغم من ذلك كله فهو رجل وطنى لا شك فى ذلك مطلقا .. ولكن بمواصفات خاصة ..

الفصل العاشر



الابتعاد عن الله يساعد على القسوة والبطش

- عرفت الله فارتاح ضميرى وندرت اخطائى
- خلافات العرب جعلتنا نتاخر والعالم يتقدم
- لا احب الأعصاب الثائرة .. والوفاء ضرورة إنسانية
- الشباب كنز مطلوب ان نحافظ عليه بالحكمة والصبر
- علمتنى الحياة التفكير الهادىء واحترام النفس ضرورى
- يجب ان يقف الصديق مع صديقه فى وقت الضيق

حياة الانسان كالنهر .. يبدأ بروافد ضيقة ، ومتعرجة ، وهادئة من المنبع .. ثم لا تلبث الروافد أن تتجمع وتتحدواحدةوراء الأخرى .. ثم يتسع المجرى ويشتد صخب النهر هادرا .. عاتيا .. قويا وهو يقتحم الشلالات والجنادل والصخور .. ليحفر لنفسه طريقا مليئا بالحيوية والنشاط والخير الذى يخلق الحياة على امتداد شاطئيه .

ولقد كانت حياة الفريق عزيز المصرى نهرا له منبع ، ثم اتسع مجراه .. عن طريق الحياة والحركة والثورة على نفسه التى كانت رصيده الهائل لثورته ضد الظلم من أجل تحقيق العدالة .. وضد الاحتلال ليرحل . وضد التخلف العثمانى من أجل التحديث .. وضد التتريك لخلق كيان متماسك للدول العربية وضد الانجليز الذين كانت لهم مصالحهم وأطماعهم ضد وطنيته المتأججة فى أعمق أعماقه وضد الأحزاب التى رفعت شعارات الاستقلال والاصلاح ولكنها نسيت مبادئها وشعاراتها وهى تضحى بكل شىء من أجل كرسى رئاسة الوزارة .

لقد جاء عزيز المصرى من ظلام دامس كئيب حالك السواد كان يلف مصر والعرب الذين كانوا تحت الاحتلال التركى .. وتحت الاحتلال الانجليزى والفرنسى والايطالى .. وسعى للوحدة العربية بفكره وبندقيته وعقيدته وثقافته ومبادئه وثوريته ووطنيته .. وفى سبيل هذا الهدف تلقى السهام من كل جانب .. سهام الأعداء والأصدقاء .. سهام الغرباء وأهل بلده .. كان طريق حياته مليئا بالاشواك والحجارة والعرق والدم والدسائس .. وبالرغم من انه كان صاحب مبدأ ويدافع عن الحق .. ويبغى لأمته العربية كل مستقبل زاهر ، إلا أن هذه الأفكار جعلته غريبا وسط أهله وناسه .. وكان العذاب يطحنه ، والالم

يعتصره ، وهو يرى الأبيض يتحول إلى أسود .. والخير إلى الشر .
ومن الغريب أنه مضى فى طريقه يسقط مرة ، ويواصل المسير مرة أخرى ، وعندما فشل الانجليز فى ترويضه عرضوا عليه عرش العراق واليمن .. ولكنه رفض . كان قبول هذه العروض بالنسبة له خيانة .. وكان يقشعر بدنه عند سماعه هذه الكلمة .. ليس فقط لكونها جريمة ، ولكن لأن الخائن شخص بلا مثل أو أخلاق ، شخص مات ضميره ووضعت أحاسيسه ومشاعره فى ثلاجة ، ومن هنا رفض الخيانة لأنه كان يحمل شجاعة وأصالة ورجولة الفرسان .. وكان حسه فى شفافية الماء والهواء .. وكانت أحاسيسه ومشاعره عامرة بالنبل والوفاء .. زاخرة بإنسانية الانسان .
ذلك كان رجلنا الفريق عزيز المصرى .. كان صاحب سيرة عطرة .. وكانت سيرته هى أحلام أمته العربية التى كرس كل حياته من أجلها .. ولقد عشت مع هذا الزعيم الثائر سنوات طويلة .. التقيت به مرات ومرات .. وسجلت الكثير مما قال وكتبت بعضا فقط من ذكرياته معى .. واختزنت الكثير للأيام علها ترى النور فى زمان ومكان مناسب حتى جاءالوقت المناسب ، وسنحت الفرصة المواتية لأسكب رحيق حياته ومشوار عمره بالقدر الذى يسمح به الوقت .. وسمحت به حالته الصحية ، ولقد كان فى بعض الأحيان يطلب منى التوقف عن الحديث والكتابة .. لأن الأيام حفرت الكثير من التجاعيد فى ذاكرته .. والأحداث أنسته الكثير من التفاصيل .. وبالرغم من ذلك كان أحيانا يمضى فى الحديث بلا توقف .. كأنما أحداث الأمس هى حاضره .. وكان فى أحيان أخرى يطلب منى الرجوع إلى تاريخ معين من بعض الكتب التى سجلت أحداث التاريخ .
وعلى الجانب الآخر من الذكريات كان يصحح ما جاء فى هذه الكتب .. كان يقول « لا » إن هذا غير صحيح .. و « نعم » هذا هو الصواب .. ومضينا معا على هذا الدرب ولكنه كان يتوقف ويشعر بالأسى لأن المزيد من التفاصيل ضاعت فى المذكرات التى كتبها عندما كان يقتحم رجال القلم السياسى باب بيته .. يعبثون بالثياب ، ولم يكن

ذلك يهمه .. ويعبثون بأوراقه وكتبه وكان ذلك يشقيه كل الشقاء .. كان يقول لى دائما إن ما يستر الجسم يمكن أن نشتريه بالمال ولكن ما يستر عقل الانسان هو ثقافته وعلمه .. وكان يقول لى : إذا جاء الزمان الذى يستر فيه المال أجسادنا وعقولنا .. فإن المال عندما يضيع سوف نصبح عراة بلا شىء يسترنا وتلك هى النهاية .

كان عزيز المصرى يقول لى دائما عن الشباب .. إنهم جيل المستقبل الذى يجب أن نقف وراءهم بكل الحب والحنان والصرامة إذا كان ذلك ضروريا .. ولكن هذه الصرامة يجب أن نحيطها بسياج الحكمة والصبر حتى لا يضيع الشباب .. فالشباب الضائع نكسة لوطنه .. وكم من شباب ضائع قاد وطنه وأهله إلى الضياع والانحلال .

وكان يقول لى دائما . الشباب عليه أن يتعلم .. ويقرأ .. وأن يكون لديه أخلاق .. إن أول كلمة .. وأول حوار .. وأول الرسالة المحمدية كانت قول جبريل عليه السلام لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : اقرأ .. القراءة هى البداية .. ويجب أن تكون النهاية .

وعزيز المصرى كان له رأى .. وكانت له آراء ووجهات نظر عبرت عن تجربته أو شخصيته وكفاحه ونضاله .. وكانت المرآة العاكسة لمشوار عصره وما أجمل أن يتجمل الشباب العربى .. على امتداد الوطن بمثل هذه الآراء والأفكار ووجهات النظر .. فهى تحوى خيره .. ويبقى أن نطرح السؤال التالى .

* ماذا علمت الحياة عزيز المصرى

وتعالوا بنا نسمع ماذا يقول

* يقول عزيز المصرى :

— علمتنى الحياة أن أعرف الله سبحانه وتعالى .. أن الناس والبشر الذين ينسون الخالق يعيشون فى وهم كبير ، وهذا الوهم يجرهم إلى مزالق كثيرة أبعد ما تكون عن الاستقرار النفسى والروحى .. فمن يبتعد عن الله يعش طوال حياته فى صراع عقلى جبار يحارب فيه أشباحا مخيفة صنعها تفكيره المظلم .. يجب أن نراعى الله فى القول والفعل .. فى السر والعلانية لنفوز بنعيم الدنيا والآخرة .

وعلمتنى الحياة كيف أعيش حياتى وأعامل الناس ، وحياتى كانت مليئة بأشياء كثيرة ، بمواقف متعددة بعضها انطبع فى ذهنى منذ طفولتى ، والبعض الآخر تعلمته من تجاربى والكتب والناس .. وأحسن ما تعلمته من الحياة الصبر .. إنه المفتاح الذى يجعلك تحقق المستحيل .. وتأمن تصرفات خاطئة أنت فى غنى عنها .. وأذكر أن محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين قال لى يوما : لقد صبرت على الفقر بعد زواجك .. ولكنك لم تصبر على قلة النقود لتشترى ما تريد من الكتب ..

وقال لى كمال أتاتورك : لقد صبرت على الدسائس والخيانة وتعنت أنور باشا معك .. ولكنك لم تصبر أن تقول له فى قمة سطوته وشهرته : إنه خائن .

* ويقول عزيز المصرى :

— علمتنى الحياة أن احترم عدوى كما احترم صديقى .. وأن أضع يدى فى يده إذا انتهت المعركة بيننا .. سواء انتهت بالفشل أو النجاح .. والمهم فى كل هذا أن يكون الشعور صادقا وصادرا عن اقتناع بالرغبة فى السلام والسعى الشامل إلى الصالح العام .. واذكر أننى عندما توجهت إلى الملك فاروق بعد تتويجه ملكا على مصر أعرض عليه خدماتى .. لم أكن بذلك أبغى منصبا أريده أو جاها أحققه إنما كنت أريد أن أكون إلى جواره ساعيا وباذلا كل جهد لأن يكون حاكما عادلا يسعى إلى تطبيق الحق وعاملا لكل ما فيه رفاهية وخير شعب مصر .

واحترام العدو مازالت لها ذكريات محفورة فى أعماقى وعقلى ، وترجع كذلك إلى سنوات طويلة .. إلى أيام شبابى عندما كنت ضابطا فى الدولة العثمانية مكلفا بقمع الثورة التى قام بها المجاهدون الجيش فى بلادالصرب والبلغار .. كانت حربا شرسة وقاسية .. سالت فيها الدماء الغزيرة .. وكثر فيها عدد الضحايا .. ولكن أعجبنى فى أعدائى الأصرار والكفاح .. كان يجمعهم الايمان والهدف المشترك فاجتمعوا وحاربوا ليطردونا من بلادهم .. وبالرغم من ذلك كان كل أسير يقع

فى يدى منهم أعامله كرجل شجاع يستحق الاكبار والتقدير .. كنت أتصرف من خلال قانون ذاتى خاص ونابع من أعماقى وليس بناء على قانون دولى أو خلافه .

* ويواصل عزيز المصرى حديثه حول هذه النقطة بالذات فيقول :

— ومرت عشرات السنين على هذه الحروب .

ومنذ عامين تقريبا ـ عام ١٩٦١ ـ كنت فى نادى الزمالك ، وفوجئت برجلين يربتان على ظهرى فى لطف ورقة ، وعندما نظرت إليهما عرفت أنهما أجنبيان ولم أستطع التعرف عليهما لكبر سنى بالرغم من أننى دققت النظر طويلا فى ملامحهما وبادرنى أحدهما قائلا :

— نحن نذكرك .. أنت عزيز المصرى غريمنا الذى كان يقود بعض فرق الجيش العثمانى لسحق جيوشنا وثورتنا لأنناكنا نطالبكم بالجلاء .. بالاستقلال .. صحيح أنك هزمتنا ، وحطمت لفترة طويلة معنوياتنا .. ولكننا احترمناك بعد النصر عرفنا أنك محارب قدير .. وتحمل أخلاق الفرسان مع أهلنا من الشيوخ والنساء .. كنت عدوا فى داخلك أخلاق حميدة .. ولكن شعبنا كان لابد له فى النهاية أن ينتصر لأنه حارب عن عقيدة وإيمان مطلق بحريته .

لقد تذكرناك بعد النصر .. وكنا نريد من زمن أن نلقاك لنصافحك .

* ويضيف عزيز المصرى :

— وكان هناك أصرار من جانبهما على مصافحتى .. وصافحانى برجولة وعزم وثبات .. وتركنى وفى رأسى أكثر من علامة استفهام ؟ إننى الآن فى سن تزيد عن الثمانين عاما .. ومنذ سنتين فقط تعلمت هذه التجربة الانسانية الرائعة ومازلت أتعلم مادامت روحى تشعل الحياة فى كيانى كله لقد تعلمنى من الحياة المزيد من الدروس .. والمزيد من التجارب .

وما علمته الحياة لعزيز المصرى كثير .. وكثير .. يواصل هذا المشوار من التجربة قائلا : لقد علمتنى الحياة الكثير .. علمتنى أنه ما اجمل أن يجلس الانسان إلى كتاب يقرأ فيه ليتعلم من حياة الناس دروسا .. إن الثقافة طريق إلى الحياة السعيدة ، وعنصر مكمل

للشخصية القوية ..

اذكر أثناء خدمتى فى الجيش التركى أننى كنت أثناءالحرب أجلس إلى كتاب أقرأ فيه تحت ضوء المصباح الخافت فى الخيمة .. وعندما كنت أخرج للهجوم أقوم بأداء واجبى على أكمل وجه ضد الأعداء وبعد انتهاء مهمتى ومعركتى أعود إلى خيمتى لأعاود القراءة من جديد .. كنت أحس بسعادة بالغة وأنا أفرغ داخل عقلى ما تضمنه الكتاب .. واحرص على ذلك حرصى على حياتى ..

واذكر أننى اخترت « فرنسيس » زوجة لى لأننى وجدتها حريصة على اقتناء الكتب .. فكان أول شىء طرق تفكيرى أن هذه الانسانة قادرة على الصمود معى على درب حياتى لأنها إنسانة مثقفة .. وربما كان عزوفى عن الزواج بغيرها أننى لم أعثر على مثلها ممن عرفتهن فى حياتى ، وأقصد بالمعرفة تلك الصداقات البريئة التى لم أعرف سواها .

وعلمتنى الحياة الكثير .. علمتنى أن الطريق إلى المجد طويل وشاق ويجب على من يختار ذلك الطريق أن يسير فيه ويتحمل جميع مشاقه .. ليستمتع فى النهاية بحلاوة النصر .. لقد عشت أحداث مصر السياسية .. واختلطت بالأحزاب .. وعشت وسط الجمعيات السرية .. واستقبلت الشباب فى بيتى أبث فيهم الوطنية والاحساس بالوطنية .. وجاهرت برأيى فى كل شىء .. ودخلت السجن أكثر من مرة .. وحوكمت مرات .. ثم تعرفت على الضباط الأحرار .. وعندما قامت الثورة أحسست تماما أنها ثورتى .. وأن كفاحى يتحقق من خلالها .. لقد كان المجد للثورة .. وكان المجد لى أيضا .. وكم أتمنى أن يصبح المجد لجمال عبدالناصر إذاتغير .

وعلمتنى الحياة أن احترم الرجال الذين يضحون فى سبيل الحق .. تعلمت هذا الدرس عن المرحوم عبدالعزيز فهمى .. كنت متهما فى أكثر من قضية ، وكنت لا أجد الرجل الذى يؤمن ببراءتى .. وجاء عبدالعزيز فهمى فتكلم ودافع ، ووقف يتحدى الظلم فى الوقت الذى كان فيه الاستعمار والطغيان يسيطران على مصر .. وبحق أحسست

أنى أمام فدائى كبير .. فدائى ووطنى .. أننى أحب هذا الرجل . أننى احترم هذا الرجل .. أحبه لدرجة أننى أحب أن أدفن معه فى قبر واحد .. إنها وصية أود أن أجد من يقوم بتنفيذها .

وهناك رجال آخرون قاموا بالتضحية فى سبيل الحق من أمثال المجاهد الليبى عمر المختار وسعد زغلول .. وكذلك جمال عبدالناصر ولكن بقدر الحق الذى حققه ، وليس بقدر الحق الذى فكر فيه ولم يستطع تحقيقه .. ولن أنسى الشهيد احمد عبدالعزيز الذى سالت دماؤه الذكية من أجل نصرة القضية الفلسطينية .

وعلمتنى الحياة الا أخوض بأى حال من الأحوال فى أعراض الناس .. بل إننى أشمئز تماما من الذين يتحدثون فى أعراض البشر .. لا أتصور مطلقا أن هناك رجلا بما تحمله كلمة رجل من معان وأهداف يسمح لنفسه بالجلوس مع نفسه .. ومع الآخرين ثم يتحدث ويغتاب غيره من وراء ظهره .. لقد كان رجالات مصر يجلسون فى الأندية والمنتديات يقلبون أعراض بعضهم على نار هادئة مرة وأخرى ساخنة .. ولذلك عزفت تماما عن مجالسهم ، وجلست مع الشباب .

وتعلمت أن أكون شريفا وعفيفا مع النساء ، ويجذبنى إلى المرأة عفتها وحسن تربيتها وثقافتها .. وأكثر من ذلك الحياة وحمرة الخجل على وجنتيها كندى الفجر والصباح على الوردة والزهرة .. ولا أتصور فى المرأة الاستهتار والاباحية التى تستبيح الخطأ والخيانة .. إذا فعلت ذلك وسارت على هذا الدرب تحولت إلى كائن بلا كرامة أو شعور أو شخصية .. والمرأة التى تفقد كرامتها .. تفقد شرفها .. وامرأة بلا كرامة أو شرف يتحول جسدها إلى سلعة رخيصة الثمن ..

إن الحب الحقيقى يتغلب على هذه الصفات الخبيثة فى المرأة إنه طريق الأمان والدفء والأمن الذى يوصل إلى الأمومة ، ذلك العطاء الذى تغنى فيه الأم مع وليدها .. وذلك الحب الذى يفوق حب النفس .. إن العلاقة بين الرجل والمرأة يجب أن يسودها الاحترام .. والمطلوب من الرجل أن يشعر معه شريكة حياته بالأمان .. إن الحب والاحترام والأمان اضلاع المثلث التى تمنع الزلل والخطأ وأيضا الخيانة .

إنى أطلب من الشباب أن يتحمل مسئولية جيله .. لأن سلوك الشباب إنما هو سلوك المجتمع بعد عشرات السنين .. لذلك أطلب من الشباب العطاء والتضحية والاقبال على العلم الذى يقود إلى التطور والتحديث فى جميع فروع الحياة .

* ويقول عزيز المصرى :

— لقد علمتنى الحياة أن التفكير الهادىء يؤدى دائما إلى أحسن النتائج فأنا عندما تثور أعصابى أمام أى مشكلة الجأ إلى الموسيقى اهدىء بها من ثورتى وثائرتى .. الموسيقى تساعد على التفكير المتزن .. البسيط .. المركز .. الواعى .. ومن هنا بدأ تقديرى التام القائم على اليقين بأن فن الموسيقى علاج نفسى عظيم .

لقد علمتنى الحياة .. أننى بداية يجب أن احترم نفسى .. وأن يكون هناك حد أدنى من الكرامة الشخصية فليس من المعقول ألا احترم نفسى .. وأطلب من الآخرين احترامى .. وليس من المعقول الا يكون لدى حد أدنى من الكرامة وأطلب من الناس المحافظة على كرامتى .. أننى أسمع والاحظ أن شباب اليوم .. الصديق يمدح صديقه بكلمة نابية يا ابن كذا .. إن كلمات المدح هى : أحسنت يافلان .. أجدت يا فلان .. إن الصداقة والزمالة ليس معناها إزالة الحواجز بدون قيم .. بدون عادات وتقاليد أصيلة ..

لقد عشت عمرى كله احترم نفسى وكرامتى هى جواز مرورى فى كل جلسة فى كل ندوة .. وسط الناس وأنا أعيش بينهم وأتعايش مع حياتهم .. فأنا والناس عطاء متبادل .. وأنا لست مطالبا بما هو فوق طاقتى ويجب ألا أطالب الآخرين فوق طاقاتهم .. لقد كنت أحترم المرؤوسين الذين كانوا يتعاملون معى وأتعامل معهم .. وإذا كان هناك خطأ لابد من الجزاء .. ونحن نسير فى حياتنا يجب أن نعرف مواقع أقدامنا .. لأن الزمان والمكان لا يتحملان المزيد من الأخطاء ..

لقد ضاعت فلسطين لأننا كررنا الأخطاء فى حقها .. وعلينا الآن وفى الغد أن ندفع الثمن .. إذا أردنا استردادها من جديد علينا أن نمنع الخطأ بخطة ونمنع الفرقة والتشتت بالتوحد .. وأن نمنع أى مطامع

شخصية باستيعاب الهدف والمصلحة العامة .. إن الضعيف يسهل ابتلاعه ويسهل التغلب عليه .. وهذا هو الفرق بين الدولة الكبيرة والأخرى الصغيرة !!

لقد علمتنى الحياة .. أن أكون ضد الأحزاب .. لقد استوردنا هذا النوع من الديمقراطية ، ولم نحسن استعمالها واستخدامها لتحقيق العدالة والاستقرار والحرية .. لقد فشلت الأحزاب المصرية فى تحقيق ذلك .. حتى الاستقلال والجلاء مرت سنوات طويلة دون أن يتحققا .. الأحزاب هى سيادة طبقة أو مصالح أو عقيدة .. رأينا ذلك فى الاتحاد السوفيتى وهو يتبنى الشيوعية منهجا وفكرا . فتحول الحكم إلى دكتاتورية صارمة .. ورأينا ذلك فى مصر .. فكان هناك الحزب الذى يتبنى مصالح الاقطاعيين .. والآخر الذى يتبنى مصالح أصحاب رؤوس الأموال ، والثالث الذى أنشأه ـ أو ساعده ـ ليضرب به حزب الوفد .. ورأينا حزب الوفد الذى كان أقطابه يملكون الاف الأفدنة والمصانع والعقارات .. ثم يصدرون للشعب والشباب الشعارات .. أقول انه يجب علينا أن نطبق الشريعة الاسلامية .

ويبقى السؤال .. ماذا فعلت الأحزاب عبر سنوات وجودها ..

حتى الاخوان المسلمون الذين كنت اعتبرهم الأمل لمصر والعرب .. تحولوا إلى قتلة للارهاب .. والارهاب بالقتل أو المصحوب بالقتل والاغتيال معناه الفشل لقد خلق الله لنا عقولا .. فإذا لم اعتنق الفكرة أو العقيدة بالعقل فلا أمل .. وإذا تمت بالتهديد فتلك كارثة .. لقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم على الكفار .. صبر على اذاهم وتعذيبهم للمسلمين .. لم نسمع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كلف اتباعه باغتيال المشركين .. وزعماء العرب الكافرين .. يا ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن الاخوان المسلمين كانت لهم أخلاق الرسول فى الاقناع والصبر على الأذى .. ولو كان عند كل فرد منهم الاحساس بالقدوة الحسنة الحقيقية .. لقد علمتنى الحياة أن أكون بسيطا استخدم عقلى فى أمور دينى بدون عصبية وبدون تحجر عقلى .. أو بدون جمود فى أمور الدين .

لقد علمتنى الحياة أن نظام الدعاة والوعاظ خاطىء من أساسه وغير مجد وغير نافع وغير مناسب للعصر .. أننى أتمنى أن أعيش الزمان الذى أرى فيه الدعاة والوعاظ يحملون أعلى الشهادات والتخصصات بخلاف التخصص فى أمور الدين .. أتمنى أن أرى واعظا حاصلا على الدكتوراه فى الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والاعلام ..

ان الحياة دين وذلك حق ، والحياة لابد أن يكون فيها القدوة وشعب بلا قدوة .. شعب ضائع .. كيف يطلب الحاكم من شعبه ـ مثلا ـ تشجيع الانتاج الوطنى وهو يرتدى الملابس المستوردة ؟ وكيف يطلب منهم شد الأحزمة على البطون .. وبطنه واسعة تلتهم ما لذ وطاب ؟ وكيف يطالب بالأمانة وهو لص ؟ .. وكيف يطالب بالأخلاق الحميدة وهو شيطان ؟ .. وكيف يطالب بالرحمة وهو يضرب شعبه ؟ .. وكيف يطلب العدل بين الناس وهو يأكل حقوق شعبه ؟ كيف يستقيم ذلك كله ؟

* ويضيف عزيز المصرى :

— علمتنى الأيام أن أقول الحق حتى لو فقدت حياتى .. إن من يقول الحق يعلم خصمه أن يرد عليه بالحق .. إن من يقول الحق ينام مستريح البال ويغمض عينيه وهو مستريح الضمير .. لقد قلت دائما الحق لأن الله سبحانه وتعالى يطالبنا بذلك ...ولأنه يريح الأعصاب .. ويخلق المجتمع الصادق .. لقد كان طريق الحق بالنسبة لى شاقا طويلا .. كنت أسقط .. وكثيرا ما سقطت فى طريق حياتى .. ولكننى كنت أقف من جديد صلب العود ، قوى الارادة .. ونحن نقول الحق يجب ألا نخشى غير الله سبحانه وتعالى .. إذا خاف الانسان من الانسان وإذا خشى الانسان رئيسه نسى الحق وتذكر الرياء حتى يصل إلى الكذب .. والانسان الكاذب حقير أمام نفسه ، وأمام الناس .. وإذا رفض الرئيس الرياء اكتشف الكذب .. وإذا وصل إلى هذه الحقيقة وكاشف بها أصحابها ساعد على بتر الرياء ومنع الكذب والكذابين .

لقد علمتنى الحياة .. إن الحياة الزوجية مقدسة .. وأن الزواج رابطة اجتماعية وإنسانية واقتصادية وسياسية لابد أن نعرف مداها

وأهميتها ودورها ونتائجها ومسئولياتها .. وإن الأولاد أمانة عند الزوجين ـ الأب والأم ـ حتى يستردها الله ـ يجب أن نحسن تربيتهم ورعايتهم والعناية بهم .. ولقد فشلت فى تلك المهمة تماما لأننى نسيت اسرتى فى غمار معاركى من اجل مصر والعرب .. وجاء الوقت الذى طلبت فيه زوجتى السفر إلى أهلها إلى أمريكا .. فوافقت .. وسافرت واخذت معها ابنى « عمر » وعمره قرابة العشر سنوات وربما اكبر بعدة شهور وحرمت من الزوجة والابن .. وحرمت من مشاعر الأبوة .. وضاع منى ابنى وهو يتلقى تربيته بتقاليد أمريكية .. وكان يجب أن تكون تربيته بتقاليد مصرية وشرقية .

عندما سافرت إل ابنى عمر فى أمريكا كان عمره يقترب من الثلاثين .. كنت أباه لأنه يحمل اسمى ولكنه فى الحقيقة كان غريبا عنى .. كان يقول مثلا يا بابا بلا إحساس صادق من أعماقه .. قبلنى وقبلته وقلبه يدق نبضه الطبيعى وكنت أضمه إلى صدرى بقوة وشوق وكانت يداى توشكان أن تغوصا فى لحمه .. وكانت يداه على جسمى رخوتين ناعمتين .. كنت أنظر إليه أكاد التهمه واكتحل به داخل جفونى وكانت نظراته لى حائلة .. ليس فيها بريق الشوق اللامع الدافىء .

وكان على أن أعود من جديد إلى مصر بدون ابنى .. وعندما جاء إلى مصر لزيارتى لم يستطع أن يتحمل أيامه معى على أرض الكنانة .. كان فى شوق إلى أمريكا الذى كان يقارن دائما بينها وبين مصر المتخلفة .. وعندما ودعته كنت أعلم أنه الوداع الأخير .. كنت أعلم أننى لن أراه .. ولن يرانى !!

وما اقسى أن يكون لك زوجة تحتاجها وتفتقدها فى الكبر .. وما أقسى أن يكون لك ولد وفى لحظة ضعفك وشيخوختك تتحسسه فى خيالك وتشعر بوجوده فى أحلامك .

* ويقول عزيز المصرى :

— لقد طلبت من الشباب القراءة .. واقصد بذلك القراءة فى جميع العلوم والفنون والآداب .. ولكن هناك ما هو أهم من ذلك كله .. يجب أن نقرأ القرآن الكريم .. وعندما قرأته بانتظام .. كنت أشعر

بالراحة .. كنت أحس بالاطمئنان والأمان .. وكلما قرأت القرآن .. كان ضميرى يحاسبنى .. كنت أقول لنفسى : ذلك صواب وذلك خطأ .. هذا يوافق عليه الدين والآخر يرفضه الدين ، فصدقى فى الموضوع الفلانى يوافق الشرع .. وفى الموضوع الآخر كان ضده .. كثرت الأسئلة داخل نفسى .. وكثرت الاجابات المفيدة .. إن قراءة القرآن متعة وتعطى الكثير من الفوائد .. إننى استفدت الكثير واستفادتى سوف تفيدنى فى الدنيا وفى الآخرة .. أننى أطلب من الشباب قراءة القرآن .. إنه عصمة ضد أى خطأ .. وفائدته بلا حدود لأنه يشجع على كل ما هو صحيح وصادق وأمين .. ويحث على العمل ، وما أحوجنا إلى العمل لنبنى مجد الاسلام والمسلمين من جديد .

* وتابع عزيز المصرى :

— علمتنى الحياة أن تحديد النسل ضرورة اجتماعية .. فإن كثرة الأولاد تفسدهم لا أتصور رب أسرة لديه ثمانية أو سبعة من الأولاد ودخله ثابت .. ودخله عادى ويستطيع هذا الأب الانفاق السليم على أولاده .. كيف يستقيم ذلك ؟ هل يستطيع ذلك الأب إدخالهم المدارس والانفاق على معايشهم من مأكل وملبس ؟ هذا أمر مستحيل تماما .. بالطبع سيفسد جزء من أولاده .. بالطبع يفشل جزء منهم فى دراسته .. الطبع ستكون أحوالهم متدنية .. النتيجة أسرة فاشلة .. وإذا تعددت الأسر الفاشلة .. فسد المجتمع وتأخر .. وتلك كارثة فى مصر .. الأرض محدودة وزيادة السكان فى تضاعف بدون عمل أو إنتاج يوازى هذه الزيادة .. حقا إن الله يرزق مخلوقاته .. ولكن هل معنى ذلك أن ننتظر فى بيوتنا ذلك الرزق أم علينا أن نسعى ونجتهد حتى نحصل على هذا الرزق الحلال .

علمتنى الحياة أن يقف الصديق مع صديق وقت الضيق .. وأن تعطى ما تستطيع من مال من أجل قضية وطنية تخدم بها هدفا أو فكرة أو عقيدة .. وأذكر اننى علمت فى يوم من الأيام عن طريق أنور السادات أن الادارة الاقتصادية فى تشكيل الضباط الأحرار تحتاج إلى بعض المال .. وكنت فى ذلك الوقت قد قمت ببيع ثمار المانجو فى حديقتى

بعين شمس .. وكان الثمن خمسين جنيها.. وكان هذا المبلغ يساوى الآن عشرات أضعافه .. وحمل أنور المبلغ .. وكان تبرعا منى إلى الضباط الأحرار ، وأذكر أننى حصلت على سلفة من المال من أحد الأصدقاء أيام محنتى المالية القاسية بعد زواجى مباشرة .. ولقد ساهم هذا المبلغ فى سد حاجاتى لفترة زمنية طويلة .. واذكر الكثير من المال الذى أعطيته لمن يستحق .

إن المشاركة وقت الضيق مطلوبة بل هى جزء من رجولة الانسان .. ونسيج من كرمه متى كان العطاء للشخص المناسب فى الوقت المناسب .

لقد تعلمت الكثير من الحمام .. إنه مخلوق نادر الصفات .. إذا نظرت إلى الحمام ستجده سريع الحركة.. عاشقا ولهانا .. وهذا العشق تراه بوضوح فى الذكر وهو يحوم حول انثاه يدغدغ مشاعرها بمنقاره .. ويغازلها وهو يحوم حولها رافع الرأس والذيل معا .. وكثيرا ما أحب أن أشاهد الحمام إذا أتيحت لى فرصة رؤيته .. إنه مخلوق ناعم رقيق ومهذب أيضا .. يحترم أنثاه ويحبها ويداعبها ويلاطفها .. ويحنو عليها ويغار عليها ويحارب أى ذكر آخر يقترب منها .. أننى أطلب من الانسان أن يطيل النظر إلى حياة الحمام .. بحق سيرى العجب .. وسيشاهد ما يجعله يخجل من نفسه لأن مستواه بحق كإنسان أقل من مستوى الحمام .

علمتنى الحياة أن أكون إنسانا وفيا مع من خدمنى بحب وإخلاص وتضحية .. وصفة الوفاة ضرورية فى الانسان .. وألا تحولنا إلى أصنام جامدة . لقد عاشت معى زينب خير الله معظم سنوات عمرها .. شبابها كله .. وخريف عمرها كله .. وتقترب من سنوات الشيخوخة .. سوف أترك لهاما يجعلنى وفيا معها وشاكرا لها كل خدماتها من أجلى .. إنها الانسانة التى تعمل فى صمت .. وتقدم المعونة فى راحة .. وتبتسم عند الشدة .. وكانت تقدم لى الطعام أثناء اعتقالى ، حفظت مالى وبيتى .. ووقفت إلى جوارى عندما لم أجد سواها وقت الضيق .. مهمها قدمت لها فهو قليل .. لأن الكثير من جانبها سوف يفيض على أى

عطاء من جانبى إليها .. وليذكر الشباب أن الوفاء من جانب الآخرين دين فى عنق الرجال الأوفياء .

علمتنى الحياة ألا أكون متكبرا .. أن التكبر ضعف فى الشخصية .. وضعف فى التربية .. ودليل على الأصل غير الطيب .. قالوا فى الأمثال : إن الرجل المتكبر قليل الحيلة .. جاهل .. وقالوا إنه ضعيف يستخفى فى هذا السلوك الذى يتوارى خلفه .. ولنا فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة .. كان متواضعا .. وكان تواضعه عن قوة فى كل شىء ..

إن الانسان المواضع يدفعه الله إلى المراتب العليا .. ويحبه الآخرون لدماثته وأخلاقه الحسنة .. لقد قابلت فى حياتى شخصيات متكبرة كثيرة .. وعند الحاجة ، وعند زوال المنصب ضاع تكبره ، وضاعت هيبته الكبيرة .. وفقد شخصيته وهو يطلب ما يحتاجه إليه من الحياة .. لأن الناس عاملتهم باحتقار وأنفة شديدة .. فكان الجزاء من جنس العمل .

* يقول عزيز المصرى :

— ما أعجبنى عند العرب القدامى هو سوق « عكاظ » .. سوق الشعر والشعراء حيث يعطى كل شاعر ما عنده .. وحيث يختار الجمهرة من الحاضرين سيد الشعراء .. أو أمراء الشعر بعد مباريات حامية فى الشعر .. ولأهمية السوق ولدوره المؤثر فى حياة العرب كان لدينا الشعراء الذين ذاع صيتهم فى الجاهلية وما بعدها .. وكم أتمنى أن نأخذ هذا الاسم .. اسم سوق « عكاظ » وننقل منه أسواقا أخرى فى السياسة والأدب والاقتصاد والزراعة وكافة العلوم ومن خلال هذه الأسواق نرسم لأنفسنا نحن العرب خطة فى جميع هذه القطاعات .. خطة آجلة وأخرى عاجلة ترسم معالم المستقبل لأمتنا العربية ..

كم نحن فى أشد الحاجة إلى ذلك .. لقد خطط اليهود لاقامة دولتهم .. وخططوا لاستمرارها .. وخططوا لتطورها .. ونحن للأسف الشديد نخطط لخلافاتنا والوقيعة بين بعضنا البعض ، العالم كله يتقدم ونحن نتأخر .. لقد كنا لؤلؤة افريقيا فى كل شىء .. وشعوب

افريقيا تتقدم ونحن نقف كالحالمين نشد أنفسنا إلى الخلف .. وأحسب أن الوقت يمضى .. وأجيال البشر تتوارى وراء الموت .. ونحن مازلنا بعيون مغلقة وسط عالم كبير ينظر إلى مستقبله ومصالحه بعيون مفتوحة .

إننى أقف الآن على عتبات نهاية شيخوختى (هذه الذكريات سجلت فى أوائل الستينات) ولا أستطيع إلا أن أقول ليت الشباب يعود يوما ، لأن الشباب لن يعود .. الماضى لن يعود .. تلك هى سنة الحياة .. وتلك هى الحكمة من وجود الخلق كله .. خلق الله للبشرية .. يجب أن نمد أيدينا إلى الشباب ..

أن مشوار حياتنا نحن الشيوخ يجب أن يكون عبرة لهم وخيرا لهم .. إن التعامل مع الشباب فن .. وهذا الفن هو الحكمة والصبر والحزم والعطاء .. وأن نأخذ بأيديهم وقت الشدة .. وأن يكون الخطأ عندهم دافعا قويا لمعرفة الصواب وإذا كنت أطلب الهداية لنفسى .. فإننى أطلبها للآخرين .

لقد علمتنى الحياة أن أقدم الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى على كل عطاء لنا فى هذه الحياة .. بحق إن الله يعطينا الكثير .. وهنا يجب أن نكون مسلمين بألوهيته ووحدانيته .. وكل جهد وشكر له ثواب .. والثواب حسنة .. فهل عملنا الخير والطيب لنكسب الحسنات ؟ اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة .. واجعلنا من أهل الآخرة .. فكل شىء فى الحياة الدنيا مآله إلى زوال .. ولا يبقى سوى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ..

تلك هى رحلتى ..

وذلك هو مشوار عمرى ..

تعلمت خلاله الكثير .. ومشيت على الدرب طوال حياتى كبشر وكل بشر معرض للخطأ والصواب .. وبقدر ما تعلمت .. وبقدر ما قرأت وشاهدت حاولت أن يكون الخطأ قليلا .. والصواب كثيرا .. وعند الخطأ اعترف به .. واقوم بتصحيح مسار حياتى إلى ما يرضى ضميرى كإنسان مسلم .

■ محتويات الكتاب ■

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم

٢٨٠





• الكتاب والكاتب •

● العطاء الانسانى من صفات الانسان الذى افتقدته فى كتب العلم منذ صباى حتى أصبحت من الخريجين بكلية الحقوق والاقتصاد ، ومن الحاصلين على دبلوم الدراسات العليا للصحافة والنشر بكلية الاعلام جامعة القاهرة .. وأحد الكتاب الصحفيين بمدرسة أخبار اليوم .. هذا العطاء الانسانى وجدته فى الفريق عزيز المصرى أحد رجالات الحرب المصريين الأفذاذ .. عاش بأخلاق وسلوكيات الفرسان مع الأهل والأصدقاء ورفاق السلاح .. كانت خصومته شريفة وسلوكياته سوية .. أحب الله فكان إنسانا مسلما قولا وعملا .. وكره الخيانة .. وأحب الخط المستقيم فى علومه العسكرية وحياته العامة والخاصة .. لذلك أحببت أن أقدمه لشباب مصر لأنه كان قدوة فى عمله وحبه وتضحيته من أجل مصر .

المؤلف

محمد ممتاز

السعر ٣ جنيهات

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم